

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين. سطيف 2

قسم: علم الاجتماع

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:



أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في فرع علم الاجتماع

تخصص: علم الاجتماعي الثقافي
بعنوان:

الشرف في المجتمع الجزائري: دراسة في محدداته وتحولاته

إعداد الطالب:

شلابي يوسف عبد العظيم

لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتساب	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة سطيف 2	أستاذ	نور الدين كوسة
مشرفا ومقررا	جامعة سطيف 2	أستاذ	حسان حامي
عضوا	جامعة سطيف 2	أستاذ محاضر قسم أ	علي شبيطة
عضوا	جامعة مستغانم	أستاذ	منصور مرقومة
عضوا	المدرسة العليا للمحاسبة والمالية قسنطينة	أستاذ محاضر قسم أ	فريال عباس

السنة الجامعية: 2025/2024

شكر و عرفان

لا يكتمل عمل الإنسان إلا بشكر أولئك الذين رافقوه في تحقيق إنجازاته فبعد شكر المولى عز وجل بمنحه إياي الصبر، القوة، الإرادة والعزيمة لتحقيق هذا المبتغى، أتقدم بجزيل العرفان والتقدير والاحترام لمشرفي أ. د حسان حامي الذي كان خير رفيق ونعم المشرفين، نصائحكم وإرشاداتكم كانت بمثابة البوصلة خلال رحلة بحثي الدكتورالي. شكرا لكم أستاذي القدير.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل الطاقم الإداري والبيداغوجي لقسم علم الاجتماع وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، على جهودهم المبذولة في سبيل تحقيق البيئة العلمية المواتية لتمكيننا، نحن كطلبة، من التحصيل العلمي والأكاديمي النوعي. وهنا أرفع شكري الخاص للبروفيسور نورالدين كوسة مسؤول اختصاص علم الاجتماع الثقافي الذي كانت لتوجيهاته وإرشاداته علامة مميزة في اعداد هذا العمل.

لا يفوتني كذلك أن أعرب عن خالص امتناني للبروفيسور نورة قنيفة، والتي لم تبخل علي، حتى وهي خارج الوطن، بعلمها وكتبتها منذ الإعلان عن نتائج مسابقة الالتحاق بالدكتوراه إلى آخر لحظة من إتمام هذا العمل المتواضع.

أستاذتي الدكتورة جباس هدى، زميلي في العمل الدكتور أحمد بن عزة، صديقي وأخي الدكتور سعسع خالد، لن تفي الكلمات للتعبير عن عمق المشاعر ونبالة المكانة التي أكنها لكم ولا عن وصف الشكر والتقدير لمساندتكم لي منذ بداية مشواري الدكتورالي وبخاصة في تلك الأيام العويصة التي مررت بها. من القلب ألف تحية لكم جميعا...

في الأخير، أتقدم إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه ومقامه بجزيل الشكر والامتنان على بدل جهدهم وتخصيص جزء من وقتهم الثمين لقراءة ومناقشة هذا العمل، فكلما الشكر والثناء لن تفي في مقابل ما قدمتموه.

شلابي يوسف عبد العظيم

قسنطينة في 12 نوفمبر 2024

إهداء

إلى من حملوا عناء تربيّتي، أمي مدرستي الأولى وأبي معلمي الأبدى، إلى روحكما الطاهرة
النقية، الزكية... اللهم بكل حرف من هذا العمل صدقة جارية عليهما،
إلى أختي وإخوتي وكل طالب علم،
إلى كل من ساهموا في تحرير العقل البشري عبر الزمن من أوهامه المكبّلة للتطور الإنساني...

فهرس المحتويات

01	فهرس المحتويات
06	فهرس الجداول
09	فهرس الأشكال
10	مقدمة

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي للدراسة

14	أولاً: أسباب ودوافع اختيار الموضوع
15	ثانياً: الإشكالية
20	ثالثاً: أهمية وأهداف الدراسة
20	1- أهمية الدراسة
20	2- أهداف الدراسة
21	رابعاً: الدراسات السابقة والمثابفة
22	1- الدراسات الجزائرية
26	2- الدراسات العربية
28	3- الدراسات الأجنبية
34	خامساً: مفاهيم الدراسة
34	1- القيم
37	2- التحول
38	3- المخيال الاجتماعي

41	سادسا: منهجية الدراسة
41	1-مجتمع البحث
42	2-الحدود الزمانية
42	3-الحدود المكانية
43	4-منهج وأدوات الدراسة
44	سابعا: التأويلية الرمزية كتقريب نظري.....
46	1-التأويلية الرمزية، المفهوم والمبادئ
47	2- الجذور التاريخية للتأويلية
49	3- رواد التأويلية الرمزية
52	4- المنهج التأويلي الرمزي
56	5- مفاهيم أساسية في النظرية التأويلية الرمزية

الفصل الثاني: مدخل عام لمفهوم الشرف

66	أولاً: مفهوم الشرف
66	1-التعريف اللغوي
69	2-التعريف الفلسفي
72	3-التعريف السوسيو-أنثروبولوجي
79	ثانياً: طبيعة الشرف
80	ثالثاً: أنواع الشرف
80	1-أنواع الشرف عند شوبنهاور
83	2-أنواع الشرف عند جوليان بيت ريفرز

- 3-أنواع الشرف عند فرانك هندرسون ستويات 84
- رابعاً: وظائف الشرف 86
- 1-الوظائف السيكولوجية 87
- 2-الوظائف الاجتماعية 89
- 3-الوظائف الثقافية 92
- خامساً: الشرف في علاقات مفاهيمية أخرى 93
- 1-الفن والشرف 93
- 2-القانون والشرف 95
- 3-الدين والشرف 97

الفصل الثالث: الشرف في سياقات تاريخية واجتماعية مغايرة

- أولاً: الشرف في العصور الوسطى الأوروبية: النبلاء والشرف 100
- 1-النبالة: المفهوم والجذور 100
- 2-الشرف ودرجات النبلاء 106
- 3-محددات الشرف لدى النبلاء 110
- 4-مظاهر الشرف عند النبلاء 112
- ثانياً: الشرف عند العرب في العصر الجاهلي 121
- 1-العرب في الجاهلية 121
- 2-محددات الشرف عند العرب في الجاهلية 124
- 3-أنواع الشرف عند العرب في الجاهلية 131
- 4-العوامل المغذية للشرف القبلي لدى العرب في العصر الجاهلي 134

- 136 ثالثا: الشرف في منطقة الريف المغربي من خلال دراسة رايمون جايموس
- 137 1-ميادين الممنوعات
- 138 2-مبادلات العنف (Les échanges de Violences)
- 140 3-طرق العنف الجسدي

الفصل الرابع: الشرف في الثقافة الجزائرية

- 145 أولا: عن الثقافة الجزائرية: أصولها ومقوماتها
- 147 ثانيا: مفهوم الشرف في الثقافة الجزائرية
- 150 1-الشرف عند المرأة: بين الموروث التقليدي والوازع الديني
- 158 2-شرف الرجل بين الطبيعة البيولوجية والثقافة المجتمعية
- 162 ثالثا: الشرف والتنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري
- 171 رابعا: حماية الشرف في المجتمع الجزائري
- 171 1-حماية شرف المرأة: بين الممارسات التقليدية والطب الحديث
- 175 2-الثأر، الطلاق وصيانة الشرف عند الرجل
- 179 خامسا: الشرف في التشريع الجزائري

الفصل الخامس: مسارات في تطور الشرف الجمعي في الجزائر: من الشرف القبلي إلى الشرف الوطني

- 184 أولا: في ماهية الشرف القبلي والشرف الوطني
- 184 1-مفهوم الشرف الوطني
- 184 2-مفهوم الشرف القبلي
- 185 ثانيا: الشرف القبلي في الجزائر

- 1-محددات الشرف القبلي في الجزائر 185
- 2-الشرف القبلي: بين النسب البربري والنسب العلوي 194
- ثالثا: الشرف الوطني في الجزائر 199
- 1-الجزور التاريخية لتبلور الشرف الوطني في الجزائر 199
- 2-محددات الشرف الوطني في الجزائر 211

الفصل السادس: الدراسة الميدانية

- أولا: عرض وتحليل المعطيات الميدانية 229
- ثانيا: مناقشة نتائج الدراسة 273
- خاتمة 278
- قائمة المصادر والمراجع 280
- الملاحق 304

فهرس الجداول

الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
226	خصائص عينة الدراسة	01
229	ملخص إجابات المبحوثين حول ماهية الشرف في بيئتهم الاجتماعية	02
231	ملخص إجابات المبحوثين حول الكلمات والمصطلحات الأكثر تداولاً للتعبير عن الشرف في وسطهم الاجتماعي	03
233	ملخص إجابات المبحوثين حول العناصر المحددة للشرف في المجتمع الجزائري	04
234	ملخص إجابات المبحوثين حول المجالات التي يبرز فيها الشرف	05
235	ملخص إجابات المبحوثين حول البيئة الاجتماعية التي يكتسب الفرد قيمة الشرف	06
236	ملخص إجابات المبحوثين حول الوسط الاجتماعي الأكثر تأثيراً في اكتساب الفرد لقيمة الشرف	07
237	ملخص إجابات المبحوثين حول تغير الوسط الاجتماعي وتأثيره على نظرة الفرد لقيمة الشرف	08
238	ملخص إجابات المبحوثين حول الطرق الممارسة لتمكين الفرد من اكتساب قيمة الشرف	09
239	ملخص إجابات المبحوثين حول طرق تلقين الفرد لقيمة الشرف	10
240	ملخص إجابات المبحوثين حول الشروط الواجب توفرها في الفرد حتى يكون كامل الشرف	11
243	ملخص إجابات المبحوثين حول ردة فعل الفرد في حال انتهاك شرفه	12
246	ملخص إجابات المبحوثين حول مدى تضامن أفراد المجتمع مع الفرد الذي انتهك شرفه	13
247	ملخص إجابات المبحوثين حول سبل وطرق استرجاع الشرف في حالة فقدانه	14
248	ملخص إجابات المبحوثين حول رمزية لباس المرأة في المحيط الاجتماعي	15
249	ملخص إجابات المبحوثين حول دور اللباس في المحافظة على شرف المرأة	16

250	ملخص إجابات المبحوثين حول كيف يساهم اللباس في المحافظة على شرف المرأة	17
252	ملخص إجابات المبحوثين حول الإخلال بالوعد وعلاقته بشرف الفرد	18
253	ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في المحافظة على الهوية	19
254	ملخص إجابات المبحوثين حول كيف يعمل الشرف على المحافظة على الهوية	20
255	ملخص إجابات المبحوثين حول مساهمة الشرف في تحقيق التضامن بين أفراد المجتمع	21
256	ملخص إجابات المبحوثين حول آليات عمل الشرف في تحقيق التضامن	22
257	ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في تحديد مكانة الأفراد والأسر	23
259	ملخص إجابات المبحوثين الذين يروا بأن الشرف يمنح المكانة الاجتماعية	24
260	ملخص إجابات المبحوثين حول مدى ضبط الشرف لسلوكيات الأفراد	25
261	ملخص إجابات المبحوثين حول ضبط سلوك الأفراد من خلال الشرف	26
262	ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في بناء العلاقات الاجتماعية	27
263	ملخص إجابات المبحوثين حول كيفية عمل الشرف على بناء العلاقات الاجتماعية	28
264	ملخص إجابات المبحوثين حول أهمية الشرف في المجتمع الجزائري	29
265	ملخص إجابات المبحوثين حول فيما تكمن هذه أهمية الشرف	30
267	ملخص إجابات المبحوثين حول تحسيس أفراد العائلة بأهمية قيمة الشرف	31
268	ملخص إجابات المبحوثين حول أسباب منعك من القيام بتحسيس أفراد العائلة	32
269	ملخص إجابات المبحوثين حول بغير العائلة هل تقوم بالتحسيس حول قيمة الشرف	33
270	ملخص إجابات المبحوثين حول ماهي المناسبات التي تقوم فيها بالتحسيس حول الشرف	34
271	ملخص إجابات المبحوثين حول مدى تمسكهم بهذه القيمة الاجتماعية	35

272	ملخص إجابات المبحوثين حول هل تشعرك قيمة الشرف بالاعتزاز في حياتك اليومية	36
-----	--	----

فهرس الأشكال

الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
77	مراحل تبلور الشرف في تصور جوليان بيت ريفرز - إعداد الباحث	01
85	مكونات الشرف الأفقي عند هاندرسون ستوارت - إعداد الباحث	02
228	مستويات الدراسة لقيمة الشرف	03
233	العناصر المحددة للشرف	04
234	المجالات التي يبرز فيها الشرف	05
236	أين يكتسب الفرد قيمة الشرف	06
237	الوسط الاجتماعي الأكثر تأثيرا في اكتساب الفرد لقيمة الشرف	07
238	تغير الوسط الاجتماعي وتأثيره على نظرة الفرد لقيمة الشرف	08
239	هل هناك طرق معينة تمارس لتمكين الفرد من اكتساب الفرد لقيمة الشرف	09
246	هل يتضامن أفراد المجتمع مع الفرد الذي انتهك شرفه	10
250	هل يساعد اللباس في الحفاظ على شرف المرأة	11
253	عدم الوفاء بالوعد يقلل من شرف الفرد في مجتمعكم	12
254	هل يعمل الشرف على المحافظة على الهوية	13
256	هل يساهم الشرف في تحقيق التضامن بين أفراد المجتمع	14
258	هل المكانة الاجتماعية تتحدد وفق الشرف	15
261	هل يضبط الشرف سلوكيات الأفراد	16
263	هل يلعب الشرف دورا في بناء العلاقات في وسطكم الاجتماعي	17
265	هل ترى أن الشرف له أهمية في المجتمع الجزائري	18
269	هل تقوم بتحسيس أفراد عائلتك بأهمية قيمة الشرف	19
270	بغير العائلة هل تقوم بالتحسيس حول قيمة الشرف	20
271	المناسبات التي تقوم فيها بالتحسيس حول الشرف	21
272	هل تتمسك بهذه القيمة الاجتماعية	22
273	هل تشعر بقيمة الشرف بالإعتزاز في حياتك اليومية	23

مقدمة

إن المتصفح للتطور التاريخي الأنثروبولوجيا يجد أن الدراسات حول مفهوم الشرف في هذا الحقل المعرفي لم تنبثق إلا في خلال منتصف القرن العشرين، وتحديدًا في ستينيات القرن الماضي مع أعمال الأنثروبولوجيون البريطانيون جان بيرستيانى وجوليان بيت ريفرز. حيث يظهر الشرف في دراساتهم المقارنة التي أجريت في منطقة البحر الأبيض المتوسط باعتباره قاسم ثقافي مشترك بين المجتمعات المتوسطة على الرغم من التنوع الحضاري والثقافي الكبير الذي تزخم به المنطقة.¹

ولعل تأخر الدراسات حول مسألة الشرف في هذه الحقول المعرفية راجع إلى كون الشرف موضوعًا قيمياً، وأن الأساس العلمي في دراسة المجتمعات هو التحلي بالموضوعية والابتعاد عن الأحكام المسبقة والقيمية خاصة، وما يترتب عنها من أحكام بَعْدِيَّة قد تؤثر على النتائج النهائية للدراسات السوسيولوجية والأناسية وحتى طبيعة القيم في ذاتها. وفي هذا الصدد يقول الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس (Claude Levi-Strauss) "بما أن مهمة أي علم هي أن يعبر عن الظاهرة بأسلوب منطقي فإننا نخشى أن يفرضي الكلام -علمياً- عن القيم إلى التناقض الحادث من تفسير بيانات غير منطقية فهذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات ويشوه طبيعة القيم"²

والدراسات حول قيمة الشرف في المجتمع الجزائري تزامنت هي الأخرى بفترة الستينيات، أين نجد أبرز دراسة والتي تعود للسوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو التي أجراها في منطقة القبائل الجزائرية في سنة 1960³، والتي تم نشرها في سنة 1972 في مؤلفه: *Esquisse d'une théorie pratique*. ومنذ ذلك الحين تضاءلت الدراسات باستثناء تلك التي اهتمت بشرف المرأة على وجه الخصوص أو التي جاء الشرف فيها ضمنياً في كتابات العديد من الباحثين الجزائريين أمثال مالك شبل، مصطفى بوتنفوشت وآخرون.

¹ HÉRISSON, Audrey (2014) : **Une anthropologie de l'échange de violence**, Inflexions, 2014/3 N° 27, armé de terre, France, p.39.

² فوزية دياب (1980): **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية**، ط2، دار النهضة العربية، مصر، ص 17.

³ HÉRISSON, **ibid**, p.40.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا الموسومة بـ: الشرف في المجتمع الجزائري، دراسة في محدداته وتحولاته" لتتظّر في موضوع الشرف في المجتمع الجزائري من حيث كيفية تبلور هذه القيمة الثقافية في الوسط الاجتماعي الجزائري، وكذا التباحث في التحولات التي لا بست المفهوم بخاصة وأن المجتمع الجزائري عاش ولا يزال يعيش جملة من التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي من شأنها أن تؤثر على التصور الاجتماعي للمفهوم باعتباره خاضع للواقع الثقافي الذي بدوره -أي الواقع الثقافي- أضحي حبيس جملة من المتغيرات السوسيو-اقتصادية.

كما حاولت دراستنا البحث في الحمولة الدلالية للشرف في المجتمع الجزائري واستكشاف مظاهره التعبيرية بالإضافة إلى الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي ألفت بعبء التمثيل الرمزي للشرف على كاهل المرأة بوجه خاص، وصولاً إلى إبراز العناصر الثابتة والمتغيرة الملامسة لمفهوم الشرف في المجتمع الجزائري.

ولتحقيق هذا المسعى، فقد اعتمدنا على مجموعة من المناهج بين ما هو كفي وما هو كمي، مرتكزين على مصادر ومراجع التي سعينا أن تكون متنوعة من حيث اللسان أو المجال بين العربية والأجنبية، والسوسيولوجية والأنثروبولوجية والتاريخية إضافة إلى المعاجم المتخصصة والموسوعات العالمية، وكلها ذات الصلة بموضوع الشرف في سياقاته العلمية والمجتمعية أو بالمجتمع والثقافة الجزائريين.

وعلى هذا النحو فقد جاءت أطروحتنا مكونة من ستة فصول، حيث أوضحنا في الفصل الأول من الدراسة الإطار النظري والمنهجي، ثم تطرقنا في الفصل الثاني لمدخل عام حول قيمة الشرف أين تباحثنا المفهوم من وجهات نظر متباينة بين الفلاسفة والسوسيولوجيين والأنثروبولوجيين وكذا اللغويين، ناهيك عن طبيعة هذه القيمة الاجتماعية وظائفها وكذا علاقتها ببعض المفاهيم الأخرى. وفي ذات السياق جاء الفصل الثالث كمحاولة للنظر في قيمة الشرف في مجتمعات مغايرة عن المجتمع الجزائري سواء في السياق الاجتماعي أو التاريخي.

وفي الفصل الرابع تناولنا موضوع الشرف في إطار الثقافة الجزائرية، حيث فحصنا مفهوم هذه القيمة الاجتماعية بتفكيكها ثم إعادة بنائها لرصد أهم أبعادها، كما تطرقنا لآليات

اكتسابها وكذا سبل حمايتها في الثقافة الشعبية الجزائرية، متباحثين في آخر الفصل موضوع الشرف في التشريع الجزائري.

أما الفصل الخامس فقد تعرضنا فيه لأهم أنواع الشرف الجمعي التي سادت في المجتمع الجزائري، حيث ميزنا بين نوعين: القبلي والوطني مبرزين محددات وأبرز مظاهر كل نوع على حدا. على اعتبار أن كل نوع من أنواع هذا الشرف ظهر في سياقات تاريخية من تاريخ المجتمع الجزائري لها خصائصها السياسية والاجتماعية.

وجاء الفصل السادس كدراسة ميدانية حاولنا من خلالها تباحث التحولات التي طرأت على التصور الاجتماعي لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري وذلك من خلال دراسة مقارنة بين جيلي الستينيات/السبعينيات وجيل الألفية لإبراز الثابت والمتغير حول هذا المفهوم.

في الأخير، تضمنت الأطروحة خاتمة كحوصلة للنتائج المتوصل إليها واستنتاجات عامة لمجمل ما جاء في متنها، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع وكذا ملاحق البحث المتضمنة الاستمارة الخاصة بالجانب الميداني للدراسة.

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي للدراسة

أولاً: أسباب ودوافع اختيار الموضوع

ثانياً: الإشكالية

ثالثاً: أهمية وأهداف الدراسة

رابعاً: الدراسات السابقة

خامساً: مفاهيم الدراسة

سادساً: منهجية الدراسة

سابعاً: التأويلية الرمزية كتقريب نظري

أولاً: أسباب ودوافع اختيار الموضوع

قبل الشروع في الحديث عن إشكالية بحثنا، نرى أنه من الضروري التطرق لأسباب ودوافع اختيارنا لموضوع الشرف في المجتمع الجزائري. وهنا نوضح أن الموضوع كان من بين ثلاثة مواضيع رئيسية تم اقتراحها علينا بعد نجاحنا في مسابقة الالتحاق بالدكتوراه. وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع انطلاقاً من رغبة شخصية في دراسته، كون الشرف بالرغم من غموضه إلا أنه يشكل عنصراً أساسياً في الهندسة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري. إضافة إلى التقاء الموضوع بالمجالين السوسولوجي والأنثروبولوجي، كونهما مرتبطان بمجال تكويننا من جهة وكذا الجانب القيمي الاجتماعي باعتباره جزءاً من اهتماماتنا العلمية من جهة أخرى.

من جانب آخر، فباعتبارنا جزءاً من الفاعلين في الثقافة الجزائرية فإن دراسة موضوع مثل الشرف يشكل خطوة أساسية بالنسبة لنا للغوص في عمق ثقافتنا والتعرف عليها عن كثب وبنظرة علمية. سواء من الجانب التاريخي الذي تزخر به الجزائر والذي لا يزال ينتابه الكثير من الغموض. أو في الوقت الراهن، والذي يسمح لنا بإدراك بعض الممارسات الثقافية ذات الصلة بموضوع الشرف محاولين في ذات السياق فهمها وتفسيرها.

أما عن الجوانب الموضوعية الدافعة بنا لدراسة موضوع الشرف في المجتمع الجزائري، فقد انبثقت بعد قراءة اتنا المتعددة حول الموضوع والتي يمكن حصرها في العنصرين التاليين:

- أولاً، أن الدراسات والأبحاث التي تعرضت للموضوع شحيحة خاصة في المجال الحضري؛ حيث نجد في أغلبية ما اطلعنا عليه من أدبيات سوسولوجية وأنثروبولوجية على وجه الخصوص، أن الشرف دُرس في المناطق الريفية أو على الطبقات الفقيرة وهو ما يؤكد كارميل كاسار (Carmel Cassar) في كتابه "الشرف والعار في الفضاء المتوسطي" حيث يقول: "تم دراسة الشرف من قبل

الأنثروبولوجيون خاصة، وقد تركزت دراستهم حول الجماعات الريفية، الفقيرة عوض الغنية"¹

- ثانيا، أن الشرف قيمة اجتماعية وثقافية منتشرة في الوسط الاجتماعي الجزائري لها امتدادات تاريخية عميقة، بالتالي وجب الوقوف على هذه الجذور لفهم واقع الظاهرة في أزمنة غابرة ما يسمح باستنتاج مختلف التحولات التي مست هذه القيمة خاصة فيما يتمثل في محدداتها.

ثانيا: الإشكالية

يعتبر التغير الاجتماعي والثقافي ظاهرة اجتماعية قديمة بقدم الإنسانية، فمند أن وجد الانسان على سطح المعمورة وهو يعيش حالة من التغيرين الاجتماعي والثقافي، فكم من حضارة شيدت وزالت وكم من ثقافة ظهرت واختفت عبر الزمن. الأمر الذي استدعى التساؤل حول هذه الظاهرة، ما دفع بالكثير من العلماء والباحثين إلى دراستها والبحث في ثناياها محاولين وضع تفسيرات من شأنها أن تساهم في فهمها والوقوف على القوانين التي تحكمها. فهناك من ذهب إلى تحديد مراحل التغير الثقافي معتبرا في ذلك أن التغير الثقافي هو التطور والمرور من مرحلة ثقافية إلى أخرى، وذهب آخرون إلى دراسة التغير الثقافي من خلال التحولات التي تطرأ على السمات الثقافية ووظائفها، في حين ذهب باحثون آخرون إلى دراسة أسباب التغير الثقافي والعوامل المؤثرة في حدوثه.

إلا أنه بالرغم من تعدد جوانب الدراسات والأبحاث حول ظاهرة التغير الثقافي، فحدوثها في واقع الأمر يأتي نتيجة الظروف والبيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها الانسان باعتباره الفاعل الثقافي في وسط اجتماعي معين. وقد يحدث التغير الثقافي بسبب حروب أو أزمات اقتصادية أو اجتماعية، من نتائجها تغير في مفاهيم ومضامين الرموز

¹ Carmel Cassar (2005) : *l'honneur et la honte en méditerranée*, Edisud, Aix-en-Provence, France, P78

الثقافية وحتى السمات الثقافية في حد ذاتها، إضافة إلى السلوكيات البشرية الخاضعة لتلك المفاهيم.

وباعتبار الثقافة جزئين: مجرد، مرتبط بالمفاهيم والمضامين التي يضيفها الفاعلين عليها وهو المستوى التحتي للثقافة، ذلك أنه كامن. وجزء مادي، مجسد من خلال الممارسات والسلوكيات الاجتماعية والثقافية وهو المستوى الفوقي للثقافة ما. بذلك نجد أن التغير الثقافي يحدث على مستويين: تحتي وفوقي. أما الأول فيمس الشكل العام للثقافة متمثلا أساسا في القيم الناظمة للمجتمع والعادات والتقاليد والقوانين، في حين أن الثاني يمس سلوكيات الأفراد داخل الثقافة. بمعنى آخر أن التغير الثقافي على المستوى الفوقي يمس مضمون الثقافة والمفاهيم التي تشكلها، أما التحتي فيمس الممارسات التي تشكل مظهر الثقافة. وهذه المستويات في حقيقة الأمر مرتبطة ببعضها، فكلما حدث تغير فوقي يحدث معه تغير تحتي والعكس.

وتعتبر القيم الاجتماعية العمود الفقري الذي تتأسس وفقه العلاقات والثقافات الاجتماعية في أي مجتمع كان. فهي المحدد والضابط للخصائص الاجتماعية والثقافية التي ترغب الجماعة في إقامتها باعتبارها مثلًا عليا، ومن ثم فإنها ترسم وتشكل النسيج الثقافي المرغوب فيه. حيث أنها- القيم الاجتماعية- تحدد للفرد السلوك الواجب انتهاجه من خلال الممنوعات والمرغوبات التي وضعتها الجماعة، تقول الباحثة بلمادي أحلام " أنها- أي القيم- تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كي لا ينقلب على عقله ووجدانه لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام في ضوئها وعلى هديها"¹. كما أنها تساهم في تحقيق التماسك الاجتماعي للجماعات من خلال الانسجام الثقافي لأفراد المجتمع.

والثقافة الجزائرية كباقي الثقافات الإنسانية لها أسسها القيمة التي تميزها عن الثقافات الأخرى، يعدُّ الشرف فيها من ضمن تلك القيم المشكّلة لها. فهو واحد من العناصر الأساسية

¹ بلمادي أحلام (2016): سوسيولوجيا القيم والتغير القيمي في المجتمع، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 04 العدد 07، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، ص 112.

للسلمّ القيمي الاجتماعي؛ ذلك أن السلوكيات، الأدوار والمكانات الاجتماعية تتحدد وفقه. وبهذا فإنّ الشرف يمثل قيمة اجتماعية وثقافية محورية في الوسط الاجتماعي الجزائري يأخذ أنواعا وأبعادا مختلفة باختلاف الجماعة الحاضنة له.

ومن منظور سوسيو أنثروبولوجي، فالثقافة الجزائرية هي مزيج من الثقافات القبائلية، العربية، التارقية، الشاوية والمزابية كلهم فيما بينهم يشكلون النسيج الثقافي الجزائري. فالمجتمع الجزائري يعرف تنوعا كبيرا في ثقافته، تنوعٌ تحددت معالمه وأنظمتها في سيرورة تاريخية أفرزت، نتيجة لظروف سياسية واجتماعية محددة، نسقا ثقافيا متباينا أفرز بدوره ثراء ثقافيا جعل أن تكون المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري متباينة هي الأخرى من نطاق جغرافي وثقافي (GEOCULTUREL) إلى آخر.

إلا أنه رغم هذا التباين الثقافي يمثل الشرف قيمة اجتماعية مشتركة بين مختلف الثقافات المحلية الجزائرية. وبالرغم من كونه قيمة مشتركة إلا أن محدداته وتمظهراته هي الأخرى نسبية؛ إذ ما يكون مفهوم الشرف في الثقافة القبائلية يختلف عند المزابيين أو لدى التوارق أو العرب الجزائريون، بل حتى من منطقة حضرية إلى أخرى. وهذا راجع إلى البنية التحتية لكل منطقة ثقافة. ففي دراسة أجرتها الباحثة حجلة مريم، خلال سنة 2020، حول التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل أسر الشرق الجزائري لعينة مكونة من 60 فرد. أظهرت النتائج أن 50% من عينة البحث ترى أن محددات الشرف في المناطق الحضرية ممثلة أساسا في عامل الدين، في حين نجد أن الشرف مقرون لدى سكان الريف والقرى بعامل العرف حيث 33.33% تمثل هذا الاتجاه.¹

وللشرف ارتباطات متعددة بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات. فنجده عادة يرتبط بجملة من العناصر منها: المرأة، الدين، الأخلاق، الأرض، إلى غير ذلك من الجوانب الحياتية الاجتماعية التي تتأثر - أي الشرف - بها ويؤثر فيها. ففي دراسة

¹ حجلة مريم، بوخرسة بوبكر (2021): التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل الأسر الجزائري أسر الشرق الجزائري أنموذج، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 7 العدد 01، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر ص.ص 184-200.

أعدتها الباحثة بوزيدي سولاف بعنوان: "إشكالية الشرف لدى المرأة رؤية نقدية للطالبة الجامعية الداخلية بوهران"، أجريت سنة 2014 على 113 طالبة جامعية بجامعة وهران حول إشكالية الشرف لدى المرأة قصد فهم تصورهن لمفهوم الشرف، عبرت 48.67% منهن، أي 55 مبحوثة، لارتباط الشرف بعذرية المرأة و38.82% يرون أن الشرف هو الكفاءة وقوة المرأة في تحقيق وجودها داخل المجتمع، في حين أجابت مبحوثة واحدة بما يمثل 2.65% من مجتمع الدراسة أنه لا يوجد شرف. فعلى الرغم من تصدر العذرية للنظام القيمي للشرف لدى المبحوثات، إلا أنه توجد قيم أخرى تتسج العناصر الحاضنة لهذا المفهوم، بل ينطوي تحت هذا التصور محددات وعوامل جعلت من عذرية المرأة أن ترتبط بالشرف.

ويظهر الشرف في المجتمع الجزائري بصورة عنيفة بمجرد المساس في أحد المحددات مثل المرأة، الأرض، الشتم... إلخ إذ يشكل التعدي على هذه العناصر انتهاكا لشرف الفرد الجزائري ما يدفع به إلى التفاعل بعنف لاسترجاع ما ضاع منه، أي شرفه. في حين يأخذ هذا الأخير شكل سلمي خلال المناسبات الثقافية مثل الأعراس، الولادة،... إلخ ذلك أن هذه المواسم تشكل في ذاتها تشريفا للفرد الجزائري بالنظر إلى رمزية الأحداث. ويعيش المجتمع الجزائري كغيره من مجتمعات العالم الحديث ومنذ عقود عملية تغير واسعة النطاق، تظهر سمات هذا التغير على البيئة الاجتماعية بكل مكوناتها وكذا نمط معيشة الأفراد. وقد توسع نطاق هذا التغير ليصل إلى النسق الثقافي، ذلك أن ثقافة المجتمع ليست محصنة ضد التغيرات والتحويلات الحاصلة في مجالات أخرى من الحياة الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة.

والتغير كظاهرة في الجزائر ليس وليد الظروف الراهنة وإنما ترجع جذوره إلى عصور مضت خاصة مع دخول المستعمر الفرنسي، أين تعرضت البنية الثقافية لعملية تتأقف مجبرة من خلال محاولة المستعمر طمس الهوية الجزائرية واستحداث عناصر ثقافية مرتبطة بمقوماته الفكرية. وقد عرف المجتمع ابتداء من ذلك الزمن ثنائية في ثقافته، من جهة ثقافة

محلية ومن جهة أخرى ثقافة المستعمر وذلك نتيجة التشكيلة الاجتماعية العصرية التي أُدرجت حاملة لرموز جديدة حسب النمط الثقافي للمستعمر، الأمر الذي أدى إلى تدهور تشكيلة النسق القيمي وبنيته التقليدية وحل محله مفهوم النسق القيمي الحداثي وأخذ بالانتشار.

وبعد الاستقلال أصبح التغيير مسعى سياسة البلاد، فقد شهدت الجزائر منذ سنة 1962 تغيرات سياسية هامة، حيث مرت بمرحلتين تاريخيتين الأولى تمثلت في نظام الحزب الواحد والذي شكل البنية السياسية منذ الاستقلال حتى سنة 1990، والثانية متمثلة في التعددية الحزبية من 1990 إلى يومنا. كذلك بالنسبة للنظام الاقتصادي الذي كان اشتراكي في بداياته إلى غاية تسعينيات القرن الماضي أين باشرت الجزائر بتبني النظام الرأسمالي الذي يعتمد على اقتصاد السوق من خلال تشجيع الاستثمار وفتح رأسمال الشركات والمؤسسات العمومية. فجل هذه التغيرات وغيرها كان لها تأثير على المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري.

والملاحظ أن الثقافة الجزائرية مسها الكثير من التغيير سواء على المستوى الشكلي أو الضمني، فالمجتمع الجزائري له خصوصيته في اللباس حيث نلاحظ أن هذه السمة الثقافية تأثرت كثيرا بالتحويلات التي يشهدها العالم و الجزائر بصفة خاصة، إذ أن اللباس الممزق كان في الماضي مظهر من مظاهر الفقر في حين أننا نجد اليوم الشباب الجزائري خاصة المراهقين منهم يرتدون اللباس الممزق عن قصد لإظهار شيء من الرمق و المكانة الاجتماعية العالية، إضافة إلى هذا فاللباس كان سمة من سمات الحشمة و الحياء في الماضي، خاصة بالنسبة للمرأة، ذلك أن الجسد يشكل جزء من شرف المرأة و الرجل على حد سواء.

وعلى ضوء ما تقدم نطرح التساؤل الرئيسي التالي:

- كيف تبلور مفهوم الشرف كقيمة ثقافية في المجتمع الجزائري؛ وما هي أوجه التحويلات التي لامست هذا المفهوم؟

وللإجابة على هذا التساؤل المحوري نطرح جملة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي الحمولة الدلالية للشرف في المجتمع الجزائري؟
- فيما تتجلى المظاهر التعبيرية للشرف في المجتمع الجزائري؟
- ما هي الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي ألفت بعبء التمثيل الرمزي للشرف على كاهل المرأة بوجه خاص؟
- ما هي العناصر الثابتة والمتغيرة التي لامست مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري؟

ثالثا: أهمية وأهداف الدراسة

1- أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع دراستنا أهمية خاصة للعديد من الاعتبارات يأتي في مقدمتها أنها وبحسب اطلاعنا، الأولى من نوعها التي تحاول في دراسة موضوع الشرف في المجتمع الجزائري عبر حقبة زمنية مختلفة، منذ ما قبل الاستعمار الفرنسي إلى زمننا المعاصر.

إن الأثر الذي تخلفه قيمة الشرف في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإنسانية بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة عميق جدا، ما يدفع للبحث والتقيب في ثنايا هذا الموضوع واكتشاف التحولات التي مست هذه القيمة الجوهرية تماشيا والتطورات التي تشهدها المجتمعات الإنسانية.

يعيش العالم الحديث تحولات جوهرية على جميع الأصعدة الحياتية: الاقتصادية، التكنولوجية، السياسية، العلمية... إلخ مما يؤدي إلى تغيير وتغير في شتى الجوانب الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإنسانية. وعلى اعتبار أن الجزائر ليست بمنأى عن هذه التحولات، فإننا ارتئينا أن البحث في موضوع الشرف في الوقت الراهن ذا أهمية بالغة، باعتباره موجه لسلوكيات البشر على حد قول ستيفارت فرانك هندرسون (Stewart Frank Henderson) في كتابه "الشرف"، وأنه يتأثر كذلك بجل التحولات التي تعيشها الإنسانية.

بالإضافة إلى هذا، فالتطور الذي تشهده الساحة الإجرامية بما يسمى ب: جرائم الشرف، جعل من الشرف موضوعا يستدعي الدراسة والفهم. ولو أن اهتمام العلماء الغرب بموضوع الشرف كان سابقا لنا، لأسباب موضوعية وتاريخية، إلا أن هذا لا ينفي انبثاق جهود وبحوث جديدة في الموضوع تسمح بإبراز طاقاتها الفكرية والعلمية لا ستعاب أكثر وفهم أعمق لظاهرة الشرف بخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

2- أهداف الدراسة:

لكل بحث علمي أهداف يُسطرها الباحث ويسعى لتحقيقها عبر ما توصل إليه من معطيات. وللدراسة التي بين أيدينا أهداف متعددة نلخصها فيما يلي:

- التعرف على دلالات مفهوم الشرف وأهم العناصر النازمة له في المجتمع الجزائري من خلال تفكيك النظام الرمزي الحاضن لهذه القيمة الثقافية وتجليات مظاهرها التعبيرية.
- الوقوف على الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي ألفت بعبء التمثيل الرمزي للشرف على كاهل المرأة بوجه خاص.
- التعرف على طرق وأساليب تكوين قيمة الشرف لدى الفرد في المجتمع الجزائري.
- الوقوف على أهم التطورات التاريخية التي عرفت قيمة الشرف في المجتمع الجزائري منذ ما قبل الاستعمار الفرنسي إلى زمننا المعاصر.
- الكشف على أهم العناصر الثابتة والمتغيرة التي لامست مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري

إن دراستنا الحالية في عمومها هي محاولة لوصف وفهم قيمة الشرف في الوسط الاجتماعي الجزائري في بعض جوانبه الثقافية التاريخية والراهنة، متوخين في رحلة بحثنا الموضوعية العلمية في مقاربتها واكتشاف أهم التحولات التي لامستها.

رابعا: الدراسات السابقة والمثابفة

إن دراسة قيمة الشرف في المجتمع الجزائري والتحولت التي طرأت على محدداتها موضوع ضئيلة هي الدراسات حوله كما أسلفنا. ذلك، وبحسب اطلاعنا على ما قدم في هذا المجال، وجدنا بعض الدراسات لباحثين جزائريين تم نشرها في مجلات علمية بالإضافة إلى دراسة تعود إلى الحقبة الاستعمارية للسوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو على وجه الخصوص. كما وجدنا دراسات عربية وأجنبية مشابهة تناولت الموضوع من زوايا مختلفة وعلى مجتمعات غير المجتمع الجزائري. وسنحاول هنا تقديم ما تيسر من تلك الدراسات التي أمكن الاطلاع عليها حيث قسمناها إلى ثلاثة أصناف: دراسات جزائرية، دراسات عربية ودراسات أجنبية. كما قمنا بترتيبها كرونولوجيا من الأقدم إلى الأحدث.

1. الدراسات الجزائرية

- الدراسة الأولى: قدمت الباحثة بوزيدي سلاف دراسة ميدانية سنة 2014 بعنوان: "إشكالية الشرف لدى المرأة رؤية نقدية للطالبة الجامعية الداخلية بوههران". نشرت في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية في العدد 16 من نفس سنة الدراسة.

وقد تناولت الدراسة إشكالية تمثلات الجسد الأنثوي في الفكر الأنثوي وعلاقته بالشرف، معتمدة على المنهج الإحصائي والاستمارة كتقنية لجمع المعطيات الميدانية موزعة على عينة مكونة من 100 مبحوثة. حيث عالجت الباحثة الموضوع من ثلاث زوايا رئيسية: التصور الاجتماعي لجسد المرأة، التصور الاجتماعي لمفهوم الشرف والرؤية الأنثوية للرجل.

إذ أفضت الدراسة إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- ارتباط مخيال الطالبة بالفضاء التقليدي الذي ترتب فيه وفق أصول تتشوية تركز على جسد الفتاة وتكثر فيه، الحواجز بين الفتاة والذكر، يتمظهر من خلال نفس الطرح الذي تنطلق منه الجماعة الكلية عند الفرد الجزئي، وهو اعتبار جسد الفتاة شرف المجتمع، وهذا بمعدل 60,78%، وهي نسبة تفرض منطق الجماعة على منطق الفرد.

- مازال للعدزية في تصور المبحوثات مكانة اجتماعية قوية كتلك التي يراها المجتمع التقليدي حيث مثلت 48,67% نسبة المبحوثات اللاتي ربطن الشرف بوجود عدزية، وإن كان هذا الطرح كما سبق وأن أشرنا لا يتوافق مع المعنى الحقيقي لصفاء الجسد الأنثوي، وهذا ما يعبر فعلا على معنى الإدراك الجدي للمبحوثات لمتطلبات الجماعة التقليدية، ويكون ذلك معبرا للدخول في الحياة الاجتماعية من خلال نقطة فصل التي تمثلها "ليلة الدخلة".

*تقييم وتوظيف الدراسة:

ولو أن الرؤية الأنثوية لموضوع الشرف ذات أهمية بالغة، باعتبار المرأة فاعل اجتماعي يؤثر ويتأثر بذات القيمة، إلا أن اقتصار الدراسة على النظرة الأنثوية فقط للوقوف على مفهوم شائك ومتداخل مثل الشرف، ينقص الدراسة إماما بالموضوع. مما يؤدي إلى غياب الشمولية في كل جوانبه؛ ذلك أن الشرف يخص جميع أفراد المجتمع ولا يقتصر على فئة معينة أو جنس واحد.

أما عن جوانب الاستفادة، فقد سمحت لنا الدراسة من الوقوف على بعض الإحصائيات التي من شأنها أن تساعدنا في الوقوف على واحد من محددات مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري المعاصر ألا وهو المرأة والعدزية.

- الدراسة الثانية: للأستاذين بلحيدة فاطمة الزهراء ومحمد حمداوي، حيث تطرقا لموضوع الشرف من خلال التغير الذي طرأ على القيم الاجتماعية في الوسط الأسري الجزائري في مقال نشر سنة 2020 موسوم ب: "القيم الأسرية الجزائرية بين الثبات والتغير: قيمتا الجماعة والشرف".

وقد استعرض الباحثين التغير الذي طرأ على قيمة الشرف بدءاً بالتطرق للتصور الاجتماعي للشرف في المجتمع التقليدي والذي كان منحصرا في المرأة، ومن ثم تحديد أهم التغيرات التي برزت في المجتمع الجزائري المعاصر من خلال اتجاهات المرأة نحو التمدرس وخروجها إلى العمل.

وقد توصلا إلى أن المجتمع الجزائري لا يزال متمسك بقيمة الشرف على الرغم مما شابها من تغير سواء في طريقة ودرجة تمثيلها، وذلك يعود لارتباطها بعدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، وأن أي تغير يحصل في هذه المنظومات يؤثر لا محال في منظومة القيم الأسرية، وهذا ما يفسر التغيرات النسبية التي مست منظومة القيم الجزائرية في إطار التحديث.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

حصر مفهوم الشرف في المرأة هو أبرز ما يعاب على هذه الدراسة، فالشرف في الثقافة الجزائرية مفهوم واسع ويتعدى المرأة ليشمل عناصر أخرى في الفضاء الاجتماعي والثقافي الجزائريين.

- الدراسة الثالثة: دراسة ميدانية أجراها الباحثان حجلة مريم وبوخريسة بوبكر سنة 2020 بعنوان: "التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل الأسر الجزائرية" حيث دامت الدراسة أربعة أشهر ونصف في عشر ولايات من الشرق الجزائري. وقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي التحليلي والمقارن للوصول إلى الأهداف المسطرة والمتمثلة أساسا في تسليط الضوء على تمثيلات الأسرة الجزائرية للشرف كقيمة ومفهوم يتجسد في مضامين الحشمة والنيف والحرمة.

وقد اختار الباحثان عينة قصدية عشوائية من أسر الشرق الجزائري من جنسين مختلفين لم تحدد فيها المستوى التعليمي، معتمدان على الاستمارة والمقابلات في رصد المعطيات الميدانية. حيث وصل عدد المبحوثين إلى 63 مفردة. حيث خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- الشرف داخل الأسرة الجزائرية لا يزال قضية جماعية وليست فردية.

- المحدد الأساسي الذي ينبني عليه شرف الأسرة، يتمثل في الجانب الديني كما وجدنا ان مصطلح "الحرمة" هو المفهوم الأكثر تعبيراً عن الشرف في الأسرة بالشرق الجزائري وهو مسألة تنتقل من الآباء إلى الأبناء عبر عملية التنشئة.
 - العرض ليس الشرف نفسه ذلك لأن الشرف "رأسمال رمزي" أما العرض فهو "رأسمال اجتماعي" حسب العينة يعني شبكة من العلاقات القوية بين أفراد الجماعة. كما يحتوي على رؤوس الأموال الثقافية والرمزية والاقتصادية التي يمتلكها الفاعلون المشاركون في شبكة العلاقات والأسرة واحدة منها.
 - الالتزام بالقيم السائدة في المجتمع هو ما يجعل الفتاة شريفة في نظر الغير، وهو انعكاس لأخلق وتربية عائلتها لها، لتأتي طهارة العذرية بعد ذلك كبرهان قوي على عفة العائلة.
 - بدأ تأثير التغيير الاجتماعي والثقافي واضحاً في قيم أخلق وعادات العائلة الجزائرية التي عرفت تحولات عديدة في أنظمتها وبنيتها التقليدية، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية. وابتعاد العائلة الجزائرية عن الأخلاق الإسلامية يعود إلى تأثير العولمة والعصرنة في حياة الأفراد والجماعة.
 - ما يعزز قيمة الشرف ويصونه داخل الأسرة يعود إلى التمسك بتعاليم الدين (القرآن والسنة) وهو (العامل الديني) الذي يتمتع بسلطة قاهرة، تفرض قيمه ومبادئه وقواعده على سلوكيات الأفراد والمجتمع.
- *تقييم وتوظيف الدراسة:

ما يعيب على هذه الدراسة هو اقتصارها على ثلاث عناصر محددة لمفهوم الشرف وهي الدين العرف والقانون، إلا أن محدداته تتمثل في النسب، الوظيفة، نمط المعيشة والمستوى التعليمي كما يرى ماكس فيبر. كما أن القانون لا يحدد الشرف وإنما يعمل على حمايته وهو ما سنوضح قادمًا في المدخل العام لمفهوم الشرف.

إضافة إلى هذا، فغياب دراسة تاريخية لموضوع الشرف في المجتمع الجزائري يجعل النتائج خالية من المرجعية التاريخية، وبالتالي يصعب الجزم بأن تصور مفهوم الشرف لا يزال قضية جماعية وليس فردية. كما أن الشرف ظاهر اجتماعية في حد ذاته وليست فردية، ذلك أنه قيمة اجتماعية يتفاعل من خلالها الأفراد داخل المجتمع.

2. الدراسات العربية:

- الدراسة الأولى: هي عبارة عن قراءة للتصور الاجتماعي لقيمة الشرف في البيئة الثقافية العربية، وجاءت معنونة بـ "مفهوم الشرف في الثقافة العربية" للباحث عبد الغاني سلامة تم نشرها سنة 2012، حيث انطلق الباحث من تساؤل مفاده أن قيمة الشرف تعرضت لتشويهات جوهرية في المجتمعات العربية بحيث أصبحت مختزلة في جسد المرأة وسلوكياتها. وأن التشويهات تكونت على يد السلاطين لتثبيت حكمهم ومن ثمة ترسيخ النظام الاجتماعي الباطرياركي.

مستعرضاً أصول فكرة ارتباط الشرف بالمرأة من خلال المكانة الاجتماعية التي كانت تحظى بها في أزمنة غابرة، حيث كان النظام الاجتماعي أمومي، وصولاً إلى الوقت الراهن أين أضحي باطرياركيًا، يرى الباحث أن قيمة الشرف أُفرغت من محتواها الحقيقي والمتمثل في الجانب الأخلاقي.

ومن جملة العوامل التي أثرت في تغير مفهوم الشرف في المجتمعات العربية، يرى عبد الغاني سلامة أن إدراك الرجل بالعلاقة الكامنة بين الجماع والإنجاب، جعلت أن تنزل المرأة من مكانة الآلهة المؤنثة إلى مرتبة الكائن الحاضن لدور الرجل التي يلقيها فيها قصد الإنجاب "وانتقلت العبادة من الآلهة الأم إلى الإله السيد، حدث هذا مع سيطرة الرجل اقتصادياً ونشوء النظام البطريركي". إضافة إلى ما تقدم، يرى الباحث سلامة بأن الوظائف البيولوجية والاجتماعية للمرأة متمثلة في الإنجاب، التربية والانشغال بشؤون الأسرى وكذا عدم التمرن على استعمال السلاح، شكلوا عاملاً آخر في إعاقتها في حربها ضد الرجل وبالتالي هزيمتها.

وقد توصل الباحث إلى أن كون الشرف مرتبط بالمرأة لا بالرجل في المجتمعات العربية، مسألة اضطهادية محضة ذلك أن النفس البشرية تميل إلى استسهال الظلم كلما تمكنت منه، أي تسلط القوي على الضعيف، طالما أن تاريخ البشرية القديم يقوم على القوة الجسدية. كما أنها لا تشكل موضوعا دينينا فقهيا وحسب بل تأسيسا لتصور اجتماعي جديد قوامه النظرة السلبية للمرأة. كما أنه ومن أجل إعادة الاعتبار لمفهوم الشرف وإعطائه مضامينه الحقيقية وترقيته إلى درجة أخلاقية أعلى؛ يرى الباحث أنه لا بد أن يرتبط الشرف برأس الإنسان وبمسلكه وأخلاقه، لا بفرجه وماله، ولا بد أن تسود القيم الإنسانية على قيم التملك والملكية الخاصة، وأن لا نجعل من الأطفال والنساء كبوش فداء لأخطاء الرجال وشماعة لفسقهم وفجورهم، ويجب أن يتمسك الناس بجوهر الشرف من حيث الصدق والعدالة والمساواة والحرية، وأن يكون للإنسان حياة واحدة وشخصية واحدة، هي حياته العلنية وشخصيته العلنية، وهذا هو معيار الشرف، أما أن يكون للإنسان حياتين وشخصيتين، واحدة يدعي فيها الشرف وأخرى سرية يمارس فيها كل الرذائل، فهذا هو العهر بعينه، ويجب أن يكون العلم والأخلاق والعمل هو معيار الشرف ومقياسه، لا الشكليات والمظاهر البراقة.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

إن التصور الذي قدمه عبد الغاني سلامة لمفهوم الشرف في المجتمعات العربية والذي جاء من خلال تعقب لواقع المرأة ومكانتها الاجتماعية عبر حقبة زمنية مختلفة، نرى أنه قد حصره في كونه عملية صراع قائمة بين الرجل والمرأة وبفعل عوامل بيولوجية وأخرى اجتماعية تحول إلى كونه قيمة مرتبطة بالمرأة. إلا أن الواقع والتاريخ يظهران عناصر أخرى ذات صلة بالشرف في المجتمعات العربية بخاصة في المجتمع الجزائري باعتباره ميدان دراستنا، الأمر الذي يجعل من التصور الذي قدمه الباحث قاصرًا مختصرًا في جانب واحد. من جهة أخرى تتفق دراستنا مع التصور الذي قدمه الباحث سلامة في أن الشرف يجب أن يرتبط برأس الإنسان ومسلكه وأخلاقه لا بفرجه وماله.

- الدراسة الثانية: للباحث محمد عبد الراضي بعنوان: "الشرف ودلالاته الاجتماعية في صعيد مصر"، منشورة سنة 2022 في العدد الثاني من مجلة العلوم الاجتماعية الصادرة عن جامعة الكويت. وهي دراسة في إطار الأنثروبولوجيا الثقافية، سعى من خلالها الباحث لرصد مفهوم الشرف ودلالاته ورموزه الاجتماعية في صعيد مصر، وكذا الكشف عن الممارسات الثقافية المرتبطة بهذا المفهوم في صعيد مصر، وطبيعة العلاقة بين مفهوم الشرف والجنس.

ولتحقيق الأهداف المسطرة أعتمد الباحث على المنهج الأنثروبولوجي بمقاربة تفاعلية رمزية من خلال إجراء مقابلات، كأداة لجمع المعطيات، مع عينة مكونة من 20 أخصائي تراوحت أعمارهم بين 20 و60 سنة.

وقد توصل الباحث إلى أن الشرف مفهوم ثقافي نسبي يختلف بين أبناء المجتمع الواحد وفقاً للمستوى التعليمي والمكانة الاجتماعية والطبقة الاجتماعية، وهو مفهوم جنسري حيث يشكل رأس مال رمزي لكل فرد.

والرجل مسؤول عن حماية شرفه من خلال إحكام السيطرة على الإناث، وإلزامهن بالحشمة والالتزام، كما أنه هناك كثير من الرموز الدالة على الشرف في الصعيد المصري كالأشخاص المسنون، العذرية، المهنة الأخذ بالتأثر.

وتختلف معايير الشرف وفقاً للنوع الاجتماعي حيث يعد ختان الإناث من الممارسات الثقافية الناجمة عن صياغة مفهوم الشرف لدى الصعيديين.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

الدراسة مهمة جداً في جوانبها المنهجية وكذا في النتائج المتوصل إليها، وقد حاولنا الاستفادة منها في دراستنا الحالية بخاصة من جانب المراجع التي اعتمدها الباحث والتي كان ثرية جداً أو في اختيار العينة وتحديدها.

3. الدراسات الأجنبية:

- الدراسة الأولى: للسوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو (Pierre Bourdieu)، حيث أجرى دراسة في منطقة القبائل الجزائرية في ستينيات القرن الماضي، أين كانت الجزائر تحت وطأة المستعمر الفرنسي، وقد قدمها في كتابه " Esquisse d'une théorie de la pratique, procédé de trois études d'ethnologie kabyle". وقد اعتمد على المنهج الإثنوجرافي في رصد المعطيات الميدانية، حيث توصل إلى:

أ. أن الشرف في المجتمع القبائلي عبارة عن عملية تبادلية مرتبطة بالتحدي والردّ، وحتى يكون هناك تحدّي، يجب أن يُقدّر المُتحدّي في أن من يتحدّى قادرٌ على رفع التحديّ، بمعنى آخر أن يكون للمتحدّيين مستوى واحد من الشرف. من هنا وضع بورديو ثلاث لوازم (Corollaires) خاصة بقانون التحدي والرد في المجتمع القبائلي:

- أن التحدي يصنع الشرف،
- من يتحدّى إنسانا غير قادر على رفع التحدي، يفقد شرفه،
- يجب على من يُتحدّى أن يُقدّر بأن من أرسل التحدي مساوٍ له في الشرف،

ب. أن قواعد الشرف في المجتمع القبائلي تحكم القتال والمعارك، فالتضامن يفرض على كل فرد أن يحمي أبويه ضد غيرهم، أن يدافع على أحد سكان القرية ضد الغرباء، الدفاع عن حليف أمام فرد من حزب آخر، وكذا الدفاع عن أفراد القبيلة ضد قبيلة أخرى. وفي ذات الوقت يمنع قانون الشرف في المجتمع القبائلي أن يتصارع مجموعة من الأفراد ضد فرد واحد.

ج. أن نظام الشرف يتمظهر في العديد من المحطات في المجتمع القبائلي، فنجده في المنافسة بين القبائل حول من تملك أبهى مسجد أو نافورة الماء الأحسن تأنيث والحماية، الطرقات الأحسن نظافة، في الزواج... إلخ. فأى منافسة بطقوس مؤسسية، أي معترف بها من طرف الجماعة، نجدها تخضع لنظام الشرف.

د. أن المجتمع القبائلي يعبر على الشرف بمفهوم الحرمة المرتبط بالمقدسات الجماعية، ونقطة الشرف بمفهوم النيف. وكل انتهاك للحرمة يترتب عنه ردًا. هذا، الأخير يتجسد فيه مفهوم النيف الذي يعيد الشرف المفقود. وفي حالة عدم وجود النيف يفقد الفرد والجماعة على حد سواء شرفهم، ما يترتب عليه جملة من الإجراءات الردعية على الفرد الذي لم يحافظ على شرفه كالطرد من المجموعة.

هـ. أن الدية، وهي مبلغ مالي تقدمه قبيلة لأخرى تعويضا عن جريمة قتل في حق الأخيرة، لا تطبق إلا في القضايا الخارجية عن الجماعة. ذلك أنه إذا طبقت في المسائل الداخلية للقبيلة تشكل مساسا بشرف القبيلة ذاتها.

و. أن النيف والحرمة مفهومان متلازمان، فكلما كانت العائلات غير محصنة بالحرمة أي الشرف، كلما توجب عليها امتلاك "النيف" للدفاع عن مقدساتها، ما يزيد من شأن وتقدير سكان القرية لهذه العائلة.

ز. أن الحرمة ترتبط أساسا بالنساء وعالمهن الذي يصبح ممنوعا على الرجال، في حين النيف يرتبط بالرجال وعالمهم الذي بدوره يكون ممنوعا على النساء. من هنا تصبح النافرات التي تذهب إليهن النساء والبساتين أماكن خاصة بالنساء، أما المساجد والمزارع ... إلخ فهي أماكن خاصة بالرجال ممنوعة على النساء.

ح. أن رجل الشرف هو من يقابل، أي يرفع التحدي ويواجه الآخرين وينظر إليهم في الوجه. من هنا يرى بورديو أن لكلمة "يقابل" رمزية خاصة في المخيال الاجتماعي القبائلي ذلك أنها تمثل المقدس الأيمن الخاص بالرجال. فالنظام الأسطوري-الشعائري (Mythico-rituel) القبائلي ينظر في الشرق رمزية خاصة فهو اتجاه يمثل السمو، المستقبل، الخير، القبلة، الرجل... الخ بعكس الغرب الذي يمثل الأسفل، الماضي، الشر، المرأة... الخ

ط. أن الزواج في المجتمع القبائلي له علاقة وثيقة بالشرف، إذ يتزوج أفراد المجتمع القبائلي بنات عماتهم وخالتهم وذلك حفاظا على نقاوة الدم وكذا ضمان عدم نقشي أسرار العائلة في المحيط وبالتالي المحافظة على نفاء وشرف العائلة.

ي. أن الزواج في المجتمع القبائلي له علاقة وثيقة بالشرف، إذ يتزوج أفراد المجتمع القبائلي بنات عماتهم وخالتهم وذلك حفاظا على نقاوة الدم وكذا ضمان عدم نقشي أسرار العائلة في المحيط وبالتالي المحافظة على نفاء وشرف العائلة.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

بالرغم من أن بيار بورديو قدم عمل يستحق الثناء حقيقة خاصة وأنه توصل إلى استنتاج بعض القوانين الشفوية التي تحكم المجتمع القبائلي من خلال نظام الشرف، على غرار نظام التحدي والاستجابة للتحدي إضافة إلى إبرازه لرمزية بعض المصطلحات ذات الارتباط بمفهوم الشرف مثل الحرمة والنيف. إلا أن تفسيره لمعطيات أخرى يجعل من الدراسة التي قدمها تفتقد لشيء من العمق والفهم الكامل لسلوك الفرد الجزائري بالإضافة إلى عدم ربط بعض المفردات بمعطيات أخرى ما يجعل التفسير لمفهوم الشرف في الواقع الاجتماعي الجزائري ضعيف من وجهة نظرنا.

فنظام "الدية"، على سبيل المثال، ولو أن له ارتباط بقيمة الشرف، إلا أنه يجد معناه الحقيقي في كتاب المسلمين القرآن الكريم. وبالتالي نظام الدية يأخذ نطاقا جغرافيا وسكانيا أوسعاً ليشمل المجتمع الجزائري ككل باعتبار أن الأغلبية القاطنة في الجزائر ذات ديانة إسلامية مستمدة تعاليمها من الدين الإسلامي، وأنه لا ينحصر على منطقة القبائل فقط.

مثال آخر عن تضيق بيار بورديو في تفسيره لمفهوم الشرف وحصره في منطقة القبائل، مسألة "القبلة" والتي يرى بأنها تدخل في مجال الشرف الخاص بالرجل وفي حقيقة الأمر المفهوم مرتبط بمقدس ديني يتمثل في الكعبة الواقعة في شبه الجزيرة العربية وهي وجهة المسلمين عبر العالم. فلو توجهنا إلى العرب الجزائريين أو الشاوية أو الإباضيين أو

التوارق لوجدنا نفس التصور يحملونه حول هذا المفهوم. كما أن المرأة في أدائها لشعائرها الدينية كالصلاة تقابل القبلة.

وكل هذا يدلي بأمر مهم وهو عدم اطلاع بيار بورديو على الجذور الفكرية التاريخية المهيكلة للنظام الاجتماعي في المجتمع القبائلي والجزائري بصفة عامة، فدراسته كانت تزامنية حيث اكتفى بمعطيات آنية في تفسير ظاهرة الشرف في المجتمع الذي درسه.

- الدراسة الثانية: في إطار بحث دكتورالي قدمت الباحثة ديلماك جولي أليف (Dilmaç

Julie Alev) دراسة ميدانية، أجرتها سنة 2014، بعنوان: "الشرف: مبدأ للوقاية من

الانحراف؟" (L'honneur: Principe de prévention de la déviance ?) والهدف

المتوخى منها هو معرفة أهمية الشرف في العلاقات الاجتماعية في المجتمع التركي.

حيث انطلقت الباحثة من فرضية مفادها أنه يوجد شرف مدني يشمل جميع

السلوكيات الحضرية، إضافة إلى العناصر القانونية (مثل احترام الآخر، واحترام كرامة

الإنسان) الموجودة في المجتمع والتي تهدف إلى تنظيم الفضاء العام للحفاظ على النظام

الاجتماعي. ولاختبار فرضيتها، اختارت الباحثة عينة من الشباب التركي، ذكور وإناث،

يقطنون مناطق حضرية، من الطبقة المتوسطة والمتوسطة العليا. وتتراوح أعمارهم بين 20

و27 سنة. واعتمدت على المقابلات النصف مقننة في تجميع المعلومات حول موضوع

الدراسة. حيث توصلت إلى النتائج التالية:

أ. أن الشرف عند الشباب التركي، يعتبر مبدأ أخلاقيا أساسيا للأفراد، وأنه مطالب به

ومستحب ويشكل قيمة أهم من الحياة. ذلك أنه يعطي معنى للوجود في حد ذاته

وينظم التفاعلات؛ وهو، أي الشرف، يدعو إلى احترام الذات واحترام الآخرين. لذلك،

يُقصد به أن يكون شرفاً حضارياً لا يتمثل هدفه في قطع العلاقة، بل إنقاذها. لذلك،

لا يتطلب الشرف بالضرورة أن يكون عنيفاً، لأن أكثر الانتصارات والفتوحات

المشرفة هي تلك التي يتم كسبها على الذات، أي تمكن الانسان من السيطرة على

ذاته وهو أكبر الانتصارات.

- ب. المبادئ التي ينادي بها الشرف، مثل الصدق والثبات وضبط النفس، تسمح للأفراد بأن يستثمروا في الواجب: هذا الواجب يتمثل في تكريس النظام الاجتماعي. فالشرف يستجيب إلى إقامة مجتمع خيالي ومثالي، حيث يتم فيه إبعاد كل انحراف.
- ج. قيمة الشرف تسمح للأفراد بالاندماج في المجتمع بمنحهم سبل التمدن والحضرية، بهذا يشكل الشرف دافع الحركية والعلاقات الاجتماعية.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

سمحت لنا دراسة الباحثة ديلماك جولي أليف من الوقوف على جانب مهم في الدراسات السوسيولوجية للشرف متمثلاً في كونه قيمة اجتماعية وثقافية متبلورة كذلك في المجال الحضري، على اعتبار أن موضوع الشرف كان قد دُرس في المجتمعات الريفية والفقيرة على وجه الخصوص.

- الدراسة الثالثة: بعنوان "Honneur" "الشرف" للباحثتان ماري لوس جيلار (Marie-Luce Gélard) وإيلان كلودو (Hélène Claudot-Haward) نشرت في الموسوعة البربرية سنة 2000. حيث قدمت الباحثتان في مقال من عشرات الصفحات عن الشرف لدى البربر في الشمال والجنوب (الطوارق) المغربي. وقد أبرزت الباحثتان علاقة الشرف ببعض الممارسات والرموز الثقافية في المجتمعات البربرية القاطنة بالشمال على غرار العنف باعتباره من أبرز المظاهر التي يتبلور من خلالها الشرف إضافة إلى الحفلات، الأرض، التنظيم الاجتماعي وحتى الحياة اليومية. بالإضافة إلى تقديمهما للمصطلحات ذات الاستعمال المرادف لمفهوم الشرف في المجتمعات البربرية مثل: العرض والذي يقترن بصفة مباشرة بمفهوم الشرف، "اللو" وهو مصطلح بارز لدى البربر الطوارق ويعني الإنسان النبيل.

وقد توصلت الباحثتان إلى جملة من النتائج نلخصها في العناصر التالية:

أ. أن السمات الثقافية للمجتمعات البربرية في المناطق الريفية تتحدد في سمة الشرف. ذلك أنه يُنمذَجُ السلوكيات والتمثلات الثقافية.

ب. يثبت الشرف وجوده في العديد من الأقوال والسلوكيات. كما يعمل على تجديد ودوام القبيلة وهويتها. إذ أن بصمته تبرز في عمق القوانين، الأرض، القرية والدم أي العلاقات الأسرية.

ج. يعمل الشرف كلاوعي جماعي يسمح للمجموعة الاجتماعية بالاستمرار في الوجود، كوحدة وهوية واحدة.

*تقييم وتوظيف الدراسة:

لقد أتاحت لنا الدراسة من الاطلاع على التصور الاجتماعي لمفهوم الشرف بدي الطوارق المغاربة وهم جزء من النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع المغربي ككل ما يساعدنا في فهم قيمة الشرف وجملة العناصر المرتبطة بها في فضاءنا الجغرافي متمثلا في الجزائر. بالإضافة إلى القائمة البيبليوغرافية الثرية في المقال والتي مكنتنا من التعرف على مجموعة من المؤلفات المهمة على غرار دراسة بيار بورديو للشرف في منطقة القبائل والتي سنتحدث عنها فيما بعد.

خامسا: مفاهيم الدراسة

إن صياغة المفاهيم في الدراسات والأبحاث العلمية، عملية أساسية بحيث أنها تتيح للقارئ من فهم واستيعاب أهم الاصطلاحات التي اعتمدها الباحث في دراسته وذلك لتقادي التأويلات غير المجدية وتحقيق القراءة السليمة للبحث. وفي دراستنا الحالية مجموعة من المفاهيم قمنا بصياغة مقاصدنا منها وهي كالتالي:

1. القيم: لغة، القيم هي جمع قيمة، من أصل قام ومن الجدر قوم سكنت الواو وكسر ما قبلها فتحولت الياء لمناسبة الكسرة، كما ينظر في هذا علماء الصرف. وتأتي كلمة القيمة في اللغة العربية بمعان عدة، إذ تأخذ معنى التقدير والقياس والحساب

فنقول قيمة هذه السلعة هي كدى أي سعرها كدى وقيم الشيء أي قدر قيمته.¹ وتكون بمعنى الثبات كأن نقول فلان ليست له قيمة أي لا يملك ما يثبت عليه. كما قد تشير إلى الاعتدال والاستقامة فنقول قوم الأستاذ الطالب بمعنى عدل عمله ليستقيم ويعتدل.

أما في اللغة الفرنسية فتكتب Valeur وهي مفردة تشير إلى صفة جسمانية، فكرية أو أخلاقية لشخص ما، أو خاصية للأشياء التي تستحق الاهتمام والاحترام.² فالقيمة في معناها اللغوي إذن هي الثمن الذي تقوم به الأشياء وتعتدل وهي تشير إلى معان مختلفة تختلف باختلاف موضعها في السياق الخطابي القائمة فيه.

أما في الاصطلاح، فقد ظهرت تعريفات عدة لمفهوم القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية، وقد تنوعت بتنوع المدارس وزوايا الطرح، ناهيك عن النظرة التي تحكم المجتمع اتجاه الأفراد والتي تحتكم بدورها إلى ثقافة المجتمع وفلسفته اتجاه الحياة والكون وما إلى ذلك من أفكار التي جعلت من الباحثين ذاتهم يختلفون في تحديد مفهوم القيم.

إن تحديد مفهوم واحد وشامل يوضح خصائص وطبيعة القيم بشكل غاية صعبت المنال خاصة وأن العلوم والمجتمعات في تطور مستمر. لهذا فسنعوم بفحص جملة من التعريفات التي قدمها في هذا الشأن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا خاصة، باعتبار أن موضوع الدراسة الحالية ينطوي ضمن هذين المجالين، ومن ثم الخروج بتصور من شأنه أن يساعدنا في معالجة موضوع دراستنا.

ويشكل مفهوم الفعل الاجتماعي عند عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر الموضوع الأساسي في دراسة علم الاجتماع، مميزا في ذات السياق بين أربعة أنواع من الأفعال الاجتماعية: الفعل العقلاني حسب الهدف، الفعل العقلاني حسب القيمة، الفعل العاطفي والفعل التقليدي.

¹ مجموعة من الباحثين (2004): المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، مصر، ص771.

² Claude Dubois, Op. Cit, P1149.

وإذا كان الفعل الاجتماعي هو الموضوع الذي انطلق منه ماكس فيبر في دراسة المجتمعات فإنه يرى بأن القيم هي واحدة من المحددات للفعل الاجتماعي العقلاني، فالفرد وبمجر اعتقاده بالقيمة (أخلاقية، جمالية، دينية أو أخرى) يوجه سلوكه نحوها من أجلها وفي ذاتها بعيدا عن أي مطامع ومهما كانت النتائج. فتحقيق القيمة يشكل غاية في ذاتها، معتمدا -الفرد- في ذلك على كل الوسائل التي تدعم إيمانه بهذه القيم.¹ فالقيم بالنسبة لماكس فيبر هي غاية في ذاتها يتوجه سلوك الفرد نحوها ومن خلالها حيث تفرض نمط سلوك معين إضافة لضرورة كينونتها إلا في نظر الفاعل الاجتماعي.

أما بالنسبة للباحث الأمريكي هاري جونسون فالقيم في نظره عبارة عن "فكرة أو معيار ثقافي تقارن على أساسه الأشياء أو الأفعال فتحظى بالقبول أو الرفض نسبة لبعضها البعض باعتبارها من الأمور المستحبة أو غير المرغوبة، الصحيحة أو الخاطئة"²، بمعنى أن الأشياء والسلوكيات تأخذ معناها من خلال المعنى الذي يضيفه الأفراد على القيم الاجتماعية والتي تحدد مدى الصحة من عدم، فهي معيار قياس السلوكيات.

في حين يذهب أحمد زكي بدوي إلى أن القيم هي عبارة عن أحكام ناجمة عن البيئة الاجتماعية، والتي يكتسبها الفرد ويطوع تفكيره وفقها فيقول "هي أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه"³.

من جهته يرى الأنثروبولوجي البريطاني برونيسلاف مالينوفسكي (Bronislaw Malinowski) بأن القيمة لها ارتباط قوي وحتمي بين الكائن الحي (الإنسان) وبعض الأهداف، والمعايير، والأشخاص المعيّنين الذين يُعتبرون وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي.⁴

من هنا فلقيم دورا مهما في تصور البناء الاجتماعي ويأتي هذا الدور من أن القيمة هي التي تعطي المعنى للضرورات أو الحاجات البيولوجية للإنسان، ذلك أن للإنسان

¹ Max Weber, Op. Cit, P55-56.

² الفاروق زكي يونس (1982): الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، الطبعة الثانية، عالم الكتاب، القاهرة، ص134.

³ أحمد زكي بدوي (1982): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، ص438.

⁴ دفع الله حسن بشير (2018): صراع القيم.. بصافحونك بيد وبالآخرى يخشون الخنجر المسموم!، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/05/02.

رابط الموقع: <https://urlz.fr/IEEi>

ضرورات أساسية مثل الكائنات الحيوانية غير أنه يتميز عن تلك الكائنات بالقيم، وهي دوافع وبواعث تتلاءم في إشباعها مع الخصائص والاحتميات الثقافية التي توارثها المجتمع.

ويرى تالكوت بارسونز (Talcot Parsons) بأن القيم عبارة عن ظاهرة اجتماعية ثقافية مصدرها البناء الثقافي الذي يتكون من نسق الأفكار وأنساق الرموز.¹ بمعنى أن ظاهرة القيم تخص البشر عن غيرهم من الكائنات ثم أن الأساس التكويني لها ناجم عن البناء الثقافي الذي ينطوي على نسقي الأفكار والرموز وبالتالي وجب الرجوع إلى هذه الأنساق لتفكيك معنى القيم وفهمها.

فالقيم الاجتماعية هي جملة من المثل العليا المتفق عليها من قبل المجتمع والتي تتحدد وفقها المبادئ والمعايير التي يكتسبها الأفراد من خلال تفاعلهم الاجتماعي المستمر؛ ويولون لها احتراماً عميقاً وأهمية خاصة، ذلك أنها تصور مجرد يظهر للجميع كحتمية تعمل على توجيه سلوك الفرد نحو الاتجاه الأكثر توافقاً وملاءمة مع ما يراه الفرد والمجتمع، على حد سواء، خيراً و/أو خبيثاً. حيث تأخذ معناها من خلال النسقين الفكري والرمزي واللذان يشكلان البناء الثقافي للمجتمعات. وتلك هي نظرتنا لمفهوم القيم في دراستنا الحالية.

2. التحول: جاء في لسان العرب أن التحول عن الشيء هو الزوال عنه إلى غيره² أي

التحوي عن الشيء وتركه لشيء آخر. أما في اللغة الفرنسية فالكلمة تشير إلى التفاوت أو التعديل في مجموعة أو مراحل وهي كلمة مرادفة لكلمات أخرى من قبيل التغيير والثورة.³ إن التحول في اللغة وباختلاف الألسنة هو عموماً يعني الانتقال من وضع معين إلى وضع آخر بما يفرضه هذا الانتقال في الوضعية من تغيير واختلاف.

وقد برز مصطلح التحول (Mutation) في حوالي القرن الثاني عشر للميلاد عبر رجال القانون للتعبير على بعض التغيرات الواقعة في الأنظمة التشريعية، إلا أن الاستخدام العلمي للمصطلح جاء متأخراً فنجد مثلاً عالم الأحياء جان باتيس لامارك (Jean-Baptiste

¹ صحراري وافية: قيم العمل والدافعية للإنجاز لدى إطارات المؤسسات الجزائرية، رسالة ماجستير: جامعة الجزائر، ص15.

² ابن منظور (د.ت): لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ص 178.

³ Larousse dictionnaire de français compact, Paris, 2005, P924.

(Lamarck) كان يتداول كلمة التحول في كتاباته للإشارة إلى التغيرات المورفولوجية الضئيلة.¹ وهذا التأخر في استخدام المصطلح وتوظيفه العلمي راجع في نظرنا إلى سيرورة ووتيرة تطور العلوم والعقل البشري بصفة عامة.

وتستخدم كلمة التحول في ميادين علمية مختلفة، ففي العلوم البيولوجية غالباً ما تستعمل المفردة للإشارة على ذلك "التغير المفاجئ في الذرية عن الأصول، يظهر في بعض الصفات الهامة، وقد كان هذا التحول من العوامل الهامة في تطور الأنواع الحالية، والأنواع المنقرضة"². كما نجده لدى علماء الحفريات أين يقابلون مفهوم التباين، الذي يعنون به الاختلافات المورفولوجية الظاهرة بين أفراد الطبقة الواحدة، بمفهوم التحول الذي يشير إلى الاختلافات بين الأفراد المتعلقة بالطبقات المتعاقبة.³

أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فقد استعارت مصطلح التحول، مثله مثل مصطلح التطور ومصطلحات أخرى، من العلوم البيولوجية للدلالة على "كل تغير يطرأ على بيانات المجتمع، خلال فترة معينة، فهو يهتم كل تغير مادي أو رمزي، يحدث تبدلات في أنماط العلاقات وأشكال الوظائف والأدوار ونظام الرموز والقيم والتصورات"⁴

ومهما يكن من حال فإن التحول في دراستنا الحالية نعني به ذلك التغير الذي طرأ على شيء معين سواء كان فكرة أو رمزا أو فعلا في الشكل أو في المعنى الذي يضيفه المجتمع على عنصر من العناصر الثقافية النازمة للحياة الاجتماعية.

3. المخيال الاجتماعي: يعتبر مفهوم المخيال الاجتماعي (L'Imaginaire Social) من المفاهيم السوسولوجية المعقدة والتي تطرق إليه العديد من العلماء الاجتماعيين الغرب والعرب على حد سواء في العديد من أعمالهم العلمية، كونه من المفاهيم

¹ Balandier Georges (2004) : **Sens et puissance**, Presses universitaire de France, Paris, P76.

² أحمد زكي بدوي (1982): **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)**، مكتبة لبنان، بيروت، ص 277.

³ Balandier Georges, **Op.Cit**, P76.

⁴ عبد الرحيم عطري (2015): **احتمالات التحول القيمي: صغ التفاوض والترميح**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ص2.

المفتاحية التي تساهم في تفكيك وفهم الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع البشري. كما قد عرف موضوع "الخيال الاجتماعي" أو "المخيلة الاجتماعية"، وهي اصطلاحات مرادفة لمفهوم المخيال الاجتماعي، في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا صعودًا ونزولًا تاريخيًا في سياقه البحثية والنظرية بحسب المدارس التي تعرضت له.

وتبرز ملامح هذا الصعود والنزول التاريخيين في المعاني والدلالات التي عرفها المفهوم على مر التاريخ، فقد كان يعني الواقعي (Le Réel) ثم انتقل إلى مجال اللاوعي أو غير الحقيقي (Irréel) بمعنى التوهمي (Chimérique). لينتهي به الأمر باعتباره مفهوما مرادفاً للتخيل (Imagination) والخيال النزوي (Fantaisie) الأمر الذي جعل منه مفهوماً فانتازياً (خرافياً) لا يمت بصلة بالواقع.¹

إلا أن الإرهاصات العلمية مكنت من إعادة وضع المفهوم في سياق علمي سمح للعلوم الاجتماعية والإنسانية لاسيما علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من التجديد في الموضوع والنظرية. وتعود فكرة إعادة بناء المفهوم إلى عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز (Charles Wright Mills) الذي نادى من خلال كتابه الموسوم "المخيال السوسيولوجي" المنشور في عام 1959، بضرورة أن يتجه البحث الاجتماعي إلى النظر إلى حقيقة التجربة الاجتماعية بما تشكلها من وعي الأفراد والصور التي يخلقونها في مخيلاتهم عن واقعهم يقول ميلز: "يسمح المخيال السوسيولوجي لأولئك الموهوبين به بفهم المسرح الأوسع للتاريخ من حيث المعاني التي يحملها للحياة الداخلية للأفراد ومسيرتهم المهنية. وبفضل هذا المخيال، من الممكن أن نلاحظ أنه في خضم التجربة اليومية، يسيء الأفراد فهم المكانة التي يحتلونها في المجتمع. في قلب هذا الاضطراب، نبحت عن إطار المجتمع الحديث،

¹ فالنتينا غراسي (2018): مدخل إلى علم الاجتماع المخيال نحو فهم الحياة اليومية، تر. محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص ص 15-16.

وفي قلب هذا الإطار يتم التعبير عن نفسية عدد معين من الرجال والنساء¹. بهذا فرايت ميلز ينبه إلى عدم الانغماس في الماكروسوسولوجيا (Macrosociologie) التي تحصر دراسة المجتمع في البنى والسياقات والأنساق الاجتماعية الكبرى.

وعرّف رايت ميلز المخيال السوسولوجي إجازا بكونه "صفة ذهنية تسمح لهم بالاستفادة من المعلومات واستغلال العقل، حتى يتمكنوا، بوضوح تام، من تقييم ما يحدث في العالم، وكذلك ما يمكن أن يحدث في أعماقهم. هذه هي الجودة التي يتوقعها الصحفيون والأكاديميون والفنانون وجماعات ورجال العلم والمعلقون مما يمكن أن نسميه المخيال السوسولوجي"² والطرح الذي وضعه رايت ميلز لمفهوم المخيال السوسولوجي يخص فئة الباحثين الاجتماعيين الذين يتمتعون بملكات ذهنية تتيح لهم من التعمق والغوص في أعماق العقل البشري لفهم الوقع الاجتماعي والثقافي.

وبالرغم من الأهمية التي يوليها ميلز لمفهوم المخيال السوسولوجي إلا أنه لم يكن الوحيد الذي تناول فكرة المخيال، فقد تعرض لها العديد من السوسولوجيين والمفكرين بتنوع مذاهبهم ومدارسهم. فقد عرّفه غاستون باشلار (Gaston Bachelard) بأنه "إرادة ديناميكية تعمل على إعادة تشكيل النسخ المتغذية بواسطة التصور"³ في حين يذهب الأنثروبولوجي الفرنسي إلى اعتبار المخيال أنه "الإرادة القوية التي تظهر لنا الدلالة الجمالية المثلى للعالم، وتكشف عن القيم الخالدة التي تقبع في أعماقنا"⁴

والمخيال الاجتماعي في دراستنا الحالية لا نعني به الآليات الفكرية التي تسمح بدراسة الواقع الاجتماعي والتي يختص بها الباحثين السوسولوجيين والطبقة المثقفة في مجتمع ما، ولو أنهم جزء من المجتمع وبالتالي يشتركون في المفهوم، وإنما نعني به "مجمل التصورات وأشكال الوعي التي يبنها الفاعلين الاجتماعيين في إطار مجتمع محدد بنسق

¹ Wright Mills (1977) : **L'imagination sociologique**, Trad. Pierre Clinquart, Librairie François Maspero, Paris, P07.

² Wright Mills, **Idem**, P7.

³ محمد الشبة (2014): **مفهوم المخيال عند محمد أركون**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص17.

⁴ محمد الشبة، **نفس المرجع**، ص 21.

رمزي وثقافي خاص به وهو الآلية التي يستعيد بها الأفراد ذواتهم التاريخية بهدف إنتاجها وإعادة بنائها في صورة جديدة قد تظهر في سلوكياتهم الحاضرة أو توقعاتهم المستقبلية¹. وهو بذلك يخص كل أفراد المجتمع باختلاف طبقاتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الأيديولوجية والإثنية. فلما نتحدث عن الشرف، وهو موضوع دراستنا، فنجد أن له تصور محدد في المخيال الاجتماعي لكل أفراد المجتمع الجزائري على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والثقافية.

سادسا: منهجية الدراسة

باعتبار أن دراستنا الميدانية ستبحث أساسا في التحولات التي طرأت على محددات الشرف في المجتمع الجزائري، فإن مجتمع دراستنا جاء مكونا من فئتين أساسيتين لتجميع المعطيات حول الموضوع وهما على التوالي: جيل الستينيات/السبعينات وجيل الألفية. بحيث جاء هذا الخيار على أساس التباعد الزمني بين الفئتين ما يمكن من ضبط أهم الفوارق النازمة للتصور الاجتماعي لقيمة الشرف.

1. مجتمع البحث: تعتبر مرحلة تحديد مجتمع الدراسة أهم خطوة منهجية في مسار البحث العلمي، وعليه فدقة اختيار الباحث لمفردات مجتمع البحث والعينة التي سيحددها لها أهمية بالغة في الوصول إلى نتائج صحيحة ودقيقة.

وفي دراستنا هذه حددنا مجتمع البحث من شريحة الجامعيين، طلبة وأساتذة... الخ والسبب في ذلك يتمثل في المستوى التعليمي، حيث أن شريحة الجامعيين غالبا ما تكون لها وعي أكبر بالواقع الاجتماعي مقارنة بالفئات الأخرى خاصة فئة الأطفال والمراهقين الذين يعتبرون في مراحل تكوين الذات واكتشاف العالم المحيط بهم أو نفس الشيء بالنسبة للأشخاص المتوقعين عن الدراسة. بالإضافة إلى هذا، فإن موضوع الشرف يقتضي أفراد ذو وعي بهذه القيمة على اعتبار أنه موضوع مرتبط بكافة أفراد المجتمع إذ أنه قيمة اجتماعية يتشارك فيها جميع الفاعلين في الحقل الاجتماعي تتجسد من خلال التفاعل الواعي.

¹ سميرة مناد (2005): *الزعامة النسوية في المخيال الاجتماعي دراسة ميدانية لتصور الزعامة لدى عينة من النساء بالجزائر*، إنسانيات، ع 30-29، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ص ص 67-68.

2. **عينة الدراسة:** على اعتبار أن العينة في البحث العلمي تُشكّل الجزء الذي يختاره الباحث ليمثل مجتمع البحث، فقد اعتمدنا في دراستنا على العينة القصدية النمطية "غير الاحتمالية"، وذلك لعدم توفر قائمة كاملة لمجمل أفراد المجتمع الإحصائي، حيث اخترنا أفراد من حقل الجامعيين من الشباب والكهول من مناطق متنوع من الجزائر (شرق، غرب، شمال وجنوب) وذلك للتعرف على التصور الاجتماعي حول مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري من وجهة نظر الفاعلين في المجتمع الجزائري عبر جيلين ومن مناطق متنوعة.

ويعود اختيارنا لهذه الفئة، أي الجامعيين، من المجتمع كونها عنصرا واعيا وفاعلا في المجتمع الذي تعيش فيه، لأن دراسة موضوع القيم بصفة عامة والشرف بصفة خاصة يقتضي ضرورة وعي المبحوث بهذه القيمة كما سبق وأن ذكرنا وكذا أن يكون فاعلا في مجتمع البحث.

وعلى هذا النحو فقد حددنا شرطين أساسيين وجب توفرهما في المبحوثين لتوزيع الاستمارة عليهم:

- أن يكون للفرد حد أدنى من التعليم ممثلا في شهادة البكالوريا، يُمكن المبحوث من فهم أسئلة الاستمارة والإجابة عليها.
- ثمانية عشر (18) سنة كسن أدنى للمبحوثين الشباب وذلك لتحقيق مبدأ الوعي والإدراك بالقيمة الاجتماعية موضوع دراستنا.

3. **الحدود الزمانية:** حددنا لدراستنا فترة زمنية مقدرة بستة أشهر (06) وتمتد من شهر جويلية من سنة 2024 إلى نهاية شهر ديسمبر من السنة ذاتها. وهي مدة كافية في نظرنا لرصد الكم الكافي لطبيعة المعلومات المراد استقاؤها وتحليلها للوقوف على مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري المعاصر وأهم التحولات التي طرأت عليه.

4. **الحدود المكانية:** وهي الإطار المكاني الذي سنجري فيه الدراسة، وللوصول إلى الأهداف المرجوة والمسطرة في بادئ بحثنا والإجابة على الإشكالية التي بادرتنا. فقد

قمنا بتوزيع الاستمارة على مناطق متنوعة لإجراء دراستنا وهي: قسنطينة، سكيكدة، قالمة، عنابة، الجزائر العاصمة، المدية، تلمسان، وهران، تامنغست، أدرار، الجلفة، غيليزانن معسكر.

5. منهج وأدوات الدراسة:

أ. **المنهج:** إن اختيار منهج الدراسة عملية لا تخضع لإرادة الباحث بقدر ما تتعلق بموضوع البحث من حيث طبيعته والهدف منه. وبالنظر إلى طبيعة إشكالية بحثنا التي تتطلب منا الوقوف أولاً على واقع الشرف في المجتمع الجزائري في سياقه التاريخي فإننا سنعتمد، في مرحلة أولى، على المنهج التاريخي، ثم المنهج الإحصائي الكيفي المعروف بالوصفي، في مرحلة ثانية. باعتبار أن دراستنا الميدانية تتدرج في إطار الدراسات الوصفية المقارنة، كما أن المنهج الإحصائي الوصفي يهتم بدراسة الظواهر والأحداث من حيث خصائصها، أشكالها والعوامل المؤثرة فيها. إذ سنعتمد عليه من خلال وصف الظاهرة وتحليلها للحصول على معلومات دقيقة وكافية حول قيمة الشرف في المجتمع الجزائري المعاصر. وبالتالي سنقوم بوصف مظاهر الشرف في المجتمع المدروس مبرزين محدداته وكذا آليات اكتسابه لدى كل جيل. وأخيراً، قصد مقارنة المعطيان التاريخية وراهن الظاهرة ومن ثمت تحديد التحولات التي مست مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر، فإننا اعتمدنا على "المنهج المقارن".

ب. **الأدوات:** لتحقيق الأهداف المسطرة في دراستنا، وجب علينا الاستعانة بمجموعة من الأدوات المنهجية لجمع المعطيات والتي تتسق عموماً مع الاتجاه المنهجي الذي اخترناه. وبالتالي سنعتمد على الأدوات التالية:

✓ المصادر التاريخية: إن أكبر معضلة يقع فيها الباحث عند إجرائه لأبحاثه ودراساته هي عدم توفر المعطيات، باعتبارها المادة التي يرتكز عليها في تكوين المعلومات والمعارف للوصول إلى نتائج علمية دقيقة. وبالنظر للمسافة الزمانية التي تبعدنا عن

الوقائع التاريخية حول موضوع دراستنا، فإننا سنعتمد، بالإضافة إلى مراجع ودراسات أجرية حول المجتمع الجزائري في حقبة زمنية مختلفة من تاريخ الجزائر، على أبرز المصادر التاريخية المتوفرة لأبرز المؤرخين ونذكر من بينها:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم في ذوي السلطان الأكبر، للمؤلف عبد الرحمان ابن خلدون.

- كتاب أخبار الأئمة الرستميين، لمؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير.

- كتاب تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لمؤلفه اسمعيل ابن الأحمر.

✓ الملاحظة العلمية: تعد الملاحظة المباشرة من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الباحث في جمع المعطيات والمعلومات الخاصة بالدراسة، حيث كانت المنطلق للقلق العلمي الذي انتابنا حول الظاهرة المراد دراستها، واعتمدنا عليها في دراستنا للوقوف على محادثات ومظاهر الشرف في المجتمع الجزائري المعاصر.

✓ الاستمارة: اعتمدنا في دراستنا على الاستمارة كأداة علمية لتجميع المعلومات حول موضوع الدراسة وذلك من خلال توزيعها على الفاعلين في الثقافة الجزائرية من طلبة وأساتذة جامعيين، وموظفين في مجالات مختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستمارة قمنا بإعدادها ثم تصويبها بعدما توزيعها على عينة تجريبية حيث عدلنا الأسئلة من خلال تبسيطها حتى يتسنى لمبحوثنا فهمها قصد تمكينهم من إفادتنا بالإجابات اللازمة.

وقد قمنا بتوزيع الإستمارات على المبحوثين خارج أسوار الجامعة حيث في بعض الأحيان كنا نلتقي في المقاهي وحتى عبر وسائل التواصل الاجتماعي، خاصة مع العنصر النسوي الذي كان لا يحبذ إجراء المقابلة مباشرة، الأمر الذي ألزمتنا ببناء استمارة رقمية وارسالها إلى المبحوثات.

سابعا: التأويلية الرمزية كتقريب نظري

تعتبر الأنثروبولوجيا الرمزية من الفروع الأنثروبولوجية المناهضة للفعل العلمي في الحقل الانساني، إذ ظهرت في سياقات معرفية عرفت بالركود والانكماش البحثي، حيث حصر الدكتور كوسة نور الدين هذه المرحلة في عنصرين: الأول يتمثل في أزمة الموضوع، ذلك أن الأنثروبولوجيين وحتى زمن قريب ظلوا عاكفين في دراسة ما يسمى "بالمجتمعات البدائية". والعنصر الثاني يتمثل في ضمور فاعلية الأداء التثري كون النظريات الأنثروبولوجية الكلاسيكية أضحت غير قادرة على اختراق بؤر بحث وتفكير جديدة على حد تعبير الدكتور.¹

وعلى هذا الأساس فإن مقاربتنا النظرية تتدرج في إطار الأنثروبولوجيا الرمزية التي ظهرت في ثلاثينيات القرن الماضي² والتي تعنى بدراسة وفهم شبكة الرموز الثقافية باعتبارها صناعة بشرية تستخدمها المجتمعات في تفاعلاتها للتعبير عن مواقفها أو تحديد سلوكيات وجل المظاهر الحياتية الثقافية في مجتمع معين. إذ هي كما يرى فرونسوا لابولونتين (François Lapantine) فرع معرفي يسمح بتحديد منطق الأنظمة العقلية الميثولوجية، الدينية والكونية في تصور المجتمعات التقليدية.³

وبالنظر إلى خصوصية موضوع دراستنا فإن التأويلية الرمزية كمقاربة نظرية جاءت كاختيار نحاول من خلالها تفكيك قيمة الشرف في المجتمع الجزائري واستيعاب معانيه عبر تأويل الرموز الناظمة لهذا المفهوم من جهة، ثم تحديد أبرز التحولات التي مست هذه القيمة من خلال التأويل التاريخي للرموز الناظمة له.

من هنا، فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم التأويلية الرمزية ومبادئها، وكذا الجذور التاريخية للفكر التأويلي ورواد التأويلية الرمزية. إضافة إلى تبيان منهج البحث في هذا الفرع المعرفي وأهم المفاهيم الناظمة له لا سيما تلك التي جاء بها مؤسس هذه المقاربة كليفورد غيرتز.

¹ نور الدين كوسة (2021): أهمية توظيف المقاربة التأويلية في الدراسات الأنثروبولوجية لتفكيك المعاني الرمزية، مجلة رفوف، مج 09، ع01، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ص 296-297.

² François Laplantine (2001) : *l'anthropologie*, Payot, Paris, P113

³ François Laplantine, *Idem*, P113.

6- التأويلية الرمزية، المفهوم والمبادئ

تعتبر التأويلية الرمزية من المقاربات العلمية الأنثروبولوجية الحديثة النشأة والمجددة للفعل العلمي في الحقل الأناسي، حيث تزامن ظهورها مع أبحاث المدرسة الثقافية الأمريكية في النصف الثاني من القرن المنصرم، تحديدا في السبعينيات والثمانينات مع أعمال ثلة من الباحثين الأنثروبولوجيين على غرار كليفورد غيرتز، فيكتور تورنر، جيمس كليفورد وجورج ماركوس.¹

والتأويلية الرمزية مقارنة تضع الثقافة على رأس الاهتمامات البحثية في الحقل الأنثروبولوجي، إذ أنها تهتم بتأويل الرموز الثقافية بهدف الوصول إلى المعاني التي تنتشر من ورائها السلوكيات والظواهر الاجتماعية عامة وهو ما ذهب إليه مؤسس هذه النظرية الأنثروبولوجي الأمريكي كليفورد غيرتز (Clifford Geertz): "أنا أبحث عن الشرح، شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة على السطح"² إذ هي مقارنة "تنطوي على أليات لتفكيك وقراءة المنظومة الرمزية الكامنة في الثقافة، من خلال رصد دلالاتها والوقوف على أبعادها"³

من هنا فالتأويلية الرمزية تقوم على مبدئين:

- أن الواقع يمكن تصويره أو قراءته من خلال سلوكيات الأفراد ومواقفهم: أي أنه يوجد مجموعة متجانسة من الأفكار الصادرة عن الفاعلين الاجتماعيين التي تعبر عن ثقافتهم، ذلك أن الثقافة هي "تلك الوثيقة المتمثلة بالأفعال"⁴ يقول كليفورد غيرتز، وبالتالي هي النص الذي يمكن تأويله لفهم الواقع.
- أن السلوك الإنساني مطوّقٌ بشبكات الرموز التي يصنعها الإنسان نفسه: "الإنسان حيوان عالق في شبكات رمزية، نسجها بنفسه حول نفسه"⁵ يقول غيرتز. وبالتالي

¹ نور الدين كوسة، نفس المرجع، ص 299.

² كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 82.

³ نور الدين كوسة (2021): أهمية توظيف المقاربة التأويلية في الدراسات الأنثروبولوجية لتفكيك المعاني الرمزية، مجلة رفوف، مج 09، ع01، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ص 298.

⁴ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 91.

⁵ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 82.

فالرموز الثقافية تجد معناها لدى الفاعلين داخل الثقافة ذاتها باعتبارهم الناسجين لها والمتفاعلين معها.

ومن خلال البحث عن المعنى فالتأويلية الرمزية لا تزعم الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم المجتمعات وإنما التعمق في القضايا المطروحة باعتبارها مقارنة مجهرية (Microscopic) مثلما يرى جيرترز؛ لهذا فهي تطمح إلى فهم العضلات الوجودية في الحياة من خلال التزويد بإجابات يقدمها الآخرون، الفاعلون الاجتماعيون في بيئتهم الثقافية، ذلك "أن النظر في الأبعاد الرمزية للعمل الاجتماعي... هو الغوص في خضم هذه العضلات"¹

وعلى هذا النحو فالتأويلية الرمزية في الحقل الأنثروبولوجي أحدثت قطيعة إبستيمولوجية بين التفسير الوضعي الخارجي للثقافة والذي يُقدّم بضرورة معالجة الظاهرة بأقصى مستويات الموضوعية بهدف استنباط القوانين الناظمة والمتحكمة في السلوك البشري، والتفسير التأويلي الذي يدعو إلى ضرورة فهم الظاهرة الثقافية من وجهة نظر الفاعلين فيها لاستخلاص المعاني، وهو ما يؤكد غيرترز في قوله "أرى أن تحليلها -الرموز الثقافية- يجب ألا يكون تجريبيًا يبحث عن قانون بل علماً تأويلياً يبحث عن معنى"²

7- الجذور التاريخية للتأويلية:

إن ما يمكن تقديمه باعتباره حقيقة، على الأقل حسب قراءتنا التاريخية لتطور العلوم والمناهج، هو أن عملية التأويل ذاتها ليست وليدة العصر الحديث وإنما تعود جذورها إلى الحضارات الإنسانية الأولى، حيث ومع الحضارة اليونانية بدأت عملية التأصيل الفكري والمنهجي لهذا الفعل العقلي.

ومع التطور العلمي واستقلال العلوم عن الفلسفة أخذ العلماء لا سيما في المجال اللغوي، السوسولوجي والأنثروبولوجي بوجه أخص في الأخذ بالمناهج الفلسفية وتطبيقها وفق الأسس العلمية. فكليفورد غيرترز ذاته يقر باستعارة بعض الأفكار من الفلاسفة التأويلين على غرار بول ريكور (Paul Ricoeur) الذي أخذ منه على سبيل المثال فكرة تدوين

¹ كليفورد غيرترز، نفس المرجع، ص.ص 127-128.

² كليفورد غيرترز (2009): تأويل الثقافات، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ص.82.

العمل.¹ لهذا فالتطرق إلى أهم أفكار العلماء والمفكرين الذي سبقوا السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين يعد في رأينا ضرورة من شأنها أن تقدم إضافة نوعية لهذه المقاربة، تسمح بإدراك بعض السياقات التاريخية لتطور العملية التأويلية.

والتأويل كمنهج تفسيري ظهر في بداياته في الحقل الديني في الفكر الغربي مقرونا بمصطلح الهرمونيوطيقا (Herméneutique) وهي مفردة مشتقة من الفعل الإغريقي (Hermeneuein) وتعني "يفسر" وإسمها (Hermeneia) وتعني "تفسير".² وقد أرجع العلماء أصل هذه الكلمة إلى ارتباطها بآلهة من آلهات اليونان القديمة الملقب ب: هرمس (Hermès)، إذ، وبحكم اتقانه للغة الربوب وفهمه ما يجول بخاطرهم، عُرف عنه أنه كان الوسيط بين الآلهات والبشر.³ ثم هكذا أصبح المصطلح يعني "فن الفهم وتأويل النصوص" كون خصائص هذا المفهوم وتلك المرتبطة بالإله هرمس متشابهة إلى حد ما.⁴

وقد اهتمت التأويلية أو الهرمونيوطيقا في بداياتها بتحليل النصوص المكتوبة حيث كانت تعرف "بفن إدراك وتحديد المعنى المختبئ في النصوص" فنجد الكتابات الشعرية كالإلياذة أو الأوديسا لمؤلفهما هوميروس من النصوص الشعرية التي اشتغل عليها كثير التأويلين بالإضافة إلى الكتب الدينية كالكتاب المقدس عند المسيحيين أو القرآن الكريم عند المسلمين الأمر الذي يقودنا للتقديم بأن هذا المنهج لم يكن منحصرًا لدى الغرب فقط وإنما كان شائعًا في جميع الأوساط الاجتماعية التي تعمل على فهم معاني النصوص باختلاف الأنواع السائدة لديها.

لكن الذي تجدر الإشارة إليه وهو ما يهمنا أكثر، أن المنعرج الحقيقي للتأويلية كمنهج، كان مع الفيلسوف الألماني فريديريك شلايرماخر (Friedrich Schleiermacher) (1768-1834) الذي نشر كتابا بعنوان (Hermeneutik) والذي حاول من خلاله وضع الأسس والمحاور العريضة للفعل التأويلي، بحيث انتقل معه التأويل من الانصباب حول

¹ كليفورد غيرتزر، نفس المرجع، ص 108.

² عادل مصطفى (2007): فهم الفهم مدخل إلى الهرمونيوطيقا نظرية التأويل من أفلطون إلى حادامر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 24.

³ عادل مصطفى، نفس المرجع، ص 24.

⁴ عادل مصطفى، نفس المرجع، ص 26.

النص الديني وفهمه إلى الفلسفة واللغويات ثم باقي العلوم لا سيما الاجتماعية والإنسانية منها.

وينظر شلايرماخر بأن النص هو وسيط لغوي بين المؤلف والقارئ بمعنى أنه الناقل لأفكار المؤلف إلى القارئ. وتبرز علاقة جدلية في النص بين اللغة والأفكار كون اللغة تشكل أداة إظهار الأفكار الكامنة والتي يتواصل عبرها الفرد والأفكار كونها تشكل الفكر الذاتي أو البعد السيكولوجي لمبدع النص. ثم أن النص في فكر شلايرماخر يخضع لعامل الزمن الذي كلما تقدمنا فيه -أي الزمن- كلما قلة درجة فهمنا له وبالتالي وجب اعتماد مناهج دقيقة تسمح بفهمه وبالتالي تفسيره.¹

ومن الفلاسفة التأويليين كذلك والذين كان لهم تأثير على الأنثروبولوجيون نجد، كما سلف الذكر بنا الذكر، بول ريكور. إذ يرى أن الهرمونيوطيقا هي المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص² كما أن اهتمامه كان مرتكزا على تفسير الرموز مميزا في ذلك بين سبيلين في التعامل معها: الرموز كونها نافذة نطل منها على عالم من المعنى، والرموز باعتبارها حقيقة زائفة لا يجب الوثوق بها، بل وجب تحيئتها للوصول إلى المعنى المختفي من ورائها.³

من خلال ما تقدم، يمكن القول بأن الفعل التأويلي أو التأويلية كمنهج في الحقل الأنثروبولوجي كانت عملية تاريخية طويلة المسار بدأت في الفكر الإنساني منذ القدم ثم تبلورت في الحقل العلمي الاجتماعي والإنساني من طرف الأنثروبولوجيون الرمزيون والذين سنحاول تقديم أبرزهم في الجزء الموالي.

8- رواد التأويلية الرمزية:

أ- **كليفرود غيرتزر:** يعتبر غيرتزر أهم وأبرز التأويليين الرمزيين والمجددين للفعل العلمي في الحقل الأنثروبولوجي، ولد جايمس كليفرود غيرتزر (James Clifford

¹ أبو زيد ناصر (1981): الهرمونيوطيقا ومعضلة تفسير النص، مجلة فصول، م.1، ع.3، مصر، ص145.

² Paul Ricoeur (1988): Hermeneutics and the Human Sciences, translated by John B. Thompson, 1. Cambridge University Press, p. 42

³ أبو زيد ناصر، مرجع سابق، ص156.

(Geertz) بمدينة سان فرانسيسكو في 26 من شهر أوت لسنة 1926¹. وترعرع بين أحضان جديه حتى سن السابع عشر أين التحق بالجيش الأمريكي فرع البحرية. وبعد إنهاء الخدمة العسكرية التي أداها في بحرية الولايات المتحدة الأمريكية (U.S. Navy) سنوات الحرب العالمية الثانية (1943-1945) التحق بكلية أنتيوك (Antioch College)، يذكر كليفوردي غيرتز في إحدى المقابلات "التحقت بكلية أنتيوك في أوهايو. فقد اشتركت في الحرب العالمية الثانية وعندما عدت، التحقت بكلية أنتيوك من خلال قانون جي. أي. بيل³ (G.I. Bill) وربما لم أكن لألتحق قط بالجامعة لولا هذا البرنامج كوني أنحدر من عائلة فقيرة"⁴.

وبفضل منحة دراسية جديد تمكن غيرتز من الالتحاق بجامعة هارفارد المرموقة أين درس، بالإضافة إلى الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع وعلم النفس علم النفس العيادي والإحصاء لمدة ثلاث سنوات⁵ وهو تكوين مكنه من قيادة أعماله الميدانية حيث توجه سنتي 1952 و 1953 رفقة زوجته وفريق متعدد التخصصات إلى مدينة جاوة الأندونيسية لدراسة خصائصها الدينية والاجتماعية. ثم عاد سنتي 1957 و 1958 لكن هذه المرة إلى مدينة بالي وبعدها إلى مدينة صفرو المغربية (1963-1969)⁶.

لقد شكلت هذه التنقلات الميدانية لمدة تزيد عن العشر سنوات رصيذا معرفيا ميدانيا سمح لغيرتز من بلورة جملة من الأفكار التي يسرت له تكوين فكره التأويلي الرمزي. حيث تبلورت هذه الرؤية الأنثروبولوجية في جملة من المؤلفات من بينها: "ديانة جاوة" الذي نشره في سنة 1960، "الإسلام ملاحظا" الذي نشر عام 1963. "تأويل الثقافات" الذي نشر سنة

¹ الموسوعة البريطانية: الموقع <https://ii1.su/9sXBc> تم الاطلاع يوم 11 أوت 2023.

² Jackie Assayag (2007) : **Clifford Geertz (1926-2006)**, *L'Homme*, 182, P233.

³ قانون أمريكي تمت المصادقة عليه من طرف الكونغرس في جوان 1944، يعمل على إعادة إدماج الجنود في الحياة المدنية من خلال منح العسكريين المسرحين تمويل لإتمام دراساتهم الجامعية أو تكوين مهني كما يسمح باقتناء منزل أو إنشاء مؤسسة. (الموقع الرسمي للدفاع الأمريكي: https://link.infini.fr/L5vBX_g5 زيارة الموقع يوم 2023/08/08 الساعة 12:20)

⁴ ينظر مقابلة مسجلة مع كليفوردي غيرتز في سنة 2004 من طرف جامعة كامبريدج منشورة في موقع يوتيوب: <https://ii1.su/sU5pC> تم الاطلاع يوم 11 أوت 2023.

⁵ Jackie Assayag : **Op. Cit**, P233.

⁶ Jackie Assayag : **Op. Cit**, P233.

1973 وترجم إلى العديد من اللغات من بينها العربية على يد الدكتور محمد بدوي، وغيرها من المؤلفات الأصيلة والمهمة في الحقل الأنثروبولوجي.

ب- فيكتور تورنر

وجه آخر من أوجه الأنثروبولوجيون الذين اهتموا بالتأويل الرمزي في الدراسات الأناسية، هو فيكتور تورنر (1920-1983) والذي كانت أعماله أقل ما يقال عنها أنها ثرية ومتنوعة صنعت التميز الفكري لتورنر سواء من ناحية المنهج أو الموضوع.

ولد فيكتور تورنر في 28 ماي 1920 بمدينة غلاسكو الأسكتلندية من عائلة متوسطة الحال حيث كان أبوه نورمان تورنر (Norman Turner) مهندسا في الإلكترونيات أما أمه فيوليت ويدر (Violet Witter)، فكانت ممثلة في المسرح الوطني الأسكتلندي. وفي سن الثامن عشر حصل تورنر على منحة روبرت طومسون التي مكنته من الحصول على البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة لندن بين عامي 1938 و1941 ثم بعد الحرب العالمية الثانية عاد مجددا للدراسة ليتحصل على البكالوريوس في الأنثروبولوجيا الاجتماعية سنة 1949.¹

وبدأت حياة تورنر الأنثروبولوجية فعليا سنة 1950، أين توجه لدراسة قبائل الندامبو (Ndembu) بزيمبابوي، والتي مكنته من الحصول على درجة الدكتوراه في سنة 1955، حيث قدم أطروحته بعنوان: Schism and continuity in an African society: a study of Ndembu village life، وقد توصل إلى أن مجتمع الندامبو يتميز بالفردانية ما يجعل نسبة التعاون والتضامن بين أفرادهم منخفضة، وعلى هذا النحو فإن العنصر النسوي هو الذي يعمل على تحقيق شيء من الاستقرار في البنية الاجتماعية لهذا المجتمع.²

وفي سنة 1968 نشر تورنر مقال موسوم بـ: Colour Classification in Ndembu Ritual A Problem in Primitive Classification وقد عرض فيه نظرة مميزة حول رمزية الألوان وعلاقتها بالجسد عند الندامبو، إذ وجد أن الأشكال الأولى لتصنيف الألوان مقرونة

¹ موقع أكسفورد ببليوغرافي: <https://urlz.fr/p0Rc> تم الاطلاع يوم 21 ديسمبر 2023.

² Robert Deliége (2006): **Une histoire de l'anthropologie**, Seuil, Paris, P.P 359-360.

أساسا بالجسد، ذلك أن الألوان تمثل قوى الحياة في إطار طقوسي يمنح الفرد الاعتقاد بأنه يسيطر على الحياة.¹

توفي فيكتور تورنر سنة 1883 مخلفا وراءه ارثا فكريا نظريا مهما في مجال الأنثروبولوجيا والذي كان محصلة لأعماله الميدانية، فقد نشر الأنثروبولوجي العديد من المؤلفات نذكر منها على سبيل والمثال: The Ritual Process: structure and anti-structure الذي نشره في سنة 1967 و The Forest Of Symbols: Aspects Of Ndembu Ritual الذي نشره سنة 1969 و From Ritual to Theatre والذي نشر سنة 1982. حيث مكنته أعماله من المنفردة من العمل كأستاذ للأنثروبولوجيا في جامعة إيثاكا الأمريكية بين سنتي 1964 و1968.²

ومن أهم ما جاء به تورنر في المقاربات التأويلية الرمزية، أنه وضع تصنيفا للرموز الثقافية من شأنه أن يسهل عملية الفهم والتأويل للمنظومة الثقافية لمجتمع ما. بحيث ميز بين نوعين من الرموز:

الرموز المهيمنة (Dominant Symbols): وهي رموز تتمظهر في الطقوس أو في التفاعلات الاجتماعية، بحيث تعتبر أهدافا في حد ذاتها، أي غاية يأمل الفرد في تحقيقها. وعلى هذا النحو فهي النقاط الثابتة نسبيا.³ وتتميز الرموز المهيمنة بمجموعة من الخصائص هي التكتيف، الوحدة وقطبية المعنى.⁴

الرموز الأدائية (Instrumental Symbols): هي رموز تعمل على تحقيق الأهداف الظاهرة للطقوس الثقافية أو شعائر معينة، يذكر تورنر "كل الطقوس لها غائية خاصة بها، ولها أهدافها المعلنة بوضوح، ويمكن اعتبار الرموز الأدائية وسيلة لتحقيق تلك الأهداف"⁵

9- المنهج التأويلي الرمزي

¹ Robert Delière (2006): **Une histoire de l'anthropologie**, Seuil, Paris, P.363.

² موقع أكسفورد ببليوغرافي: <https://urlz.fr/p0Rc> تم الاطلاع يوم 31 ديسمبر 2023.

³ Turner Victor (1967): **The Forest of Symbols**, Cornell University Press, New York, P.P 31-32.

⁴ ينظر الأسود حافظ (1991): **المدخل الرمزي لدراسة المجتمع**، حولية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، ع14، جامعة قطر، قطر، ص.ص 331-330.

⁵ Turner Victor (1967): **The Forest of Symbols**, Cornell University Press, New York, P32.

يمر البحث العلمي وفق المقاربة التأويلية الرمزية على مرحلتين أساسيتين: جمع المعطيات ومعالج المعطيات.

أ. جمع المعطيات:

بعد اختيار الموضوع وتحديد الإشكالية وهلم جر من المسائل العلمية المنهجية التي يمر عليها الفاعل العلمي في بدايات بحثه، يصل الباحث إلى واحدة من المراحل الحساسة في سيرورة البحث والمتمثلة في جمع المعطيات. هذه الأخيرة التي تشكل هاجسا حقيقيا في البحوث الاجتماعية باعتبارها المادة العلمية التي يستند عليها الباحث للإجابة على كل تساؤلاته.

وإذا كانت الطرائق في جمع المعطيات تتنوع بتنوع الدراسات وطبيعتها من حيث كونها كمية أو كيفية، فإن البحث في الحقول العلمية الثقافية والأنثروبولوجية على وجه الخصوص يعتمد على الوصف الميداني للظاهرة موضوع الدراسة، ما يعرف تقنيا بـ: الأثنوجرافيا. هذه الأخيرة التي تبلورت مع تطور الدراسات الأنثروبولوجية وقد قدم الفرنسي مارسيل موس (Marcel Mauss) حولها شرحا مستفيضا في مؤلفه "دليل الأثنوجرافيا".

إلا أن الممارسة الفعلية للأثنوجرافيا كانت موضوع نقاش من طرف التأويلين وفي مقدمتهم غيرترز الذي يرى بأن قدرة الباحث على التموضع محل السكان المحليين ماهي إلا خرافة، ولهذا فهو يدعو الباحثين إلى تقادي التّشاعر (Empathie) المفرط الذي يؤدي بالباحث إلى حد ذوابان ذاته في محاولة تقمص الآخر، الأمر الذي يستحيل حدوثه¹ وعلى هذا النحو فقد اقترح غيرترز مفهوم: الوصف المكثف.

¹ Leca, Bernard, et Loïc Plé (2013): **Une épistémologie à hauteur d'homme : l'anthropologie interprétative de Clifford Geertz et son apport potentiel à la recherche francophone en management**, Management & Avenir, vol. 60, no. 2, France, P39.

والتوصيف الكثيف أو الوصف المكثف¹ (Thick Description) مصطلح صاغه الفيلسوف البريطاني جيلبرت رايل² (Gilbert Ryle) وأكد عليه غيرتز في كتابه تأويل الثقافات. وهو عملية وصفية تقتضي من الباحث الاجتماعي والأنثروبولوجي تحليل الثقافة من الداخل أي "رؤية الأشياء من وجهة نظر الفاعل"³.

وعلى هذا النحو فإن العمل البحثي يقتضي من الباحث وجوباً الولوج إلى الميدان لجمع المعطيات من خلال الفاعلين في الثقافة موضوع الدراسة، خلافاً لما كانت عليه الأنثروبولوجيا في بداياتها أين كان الباحث يعتمد في دراساته على ما يقدمه العسكريون والإداريون من تقارير حول الشعوب المستعمرة أو ما توفر من وثائق تاريخية ومن أمثال هؤلاء نجد صاحب مؤلف "الغصن الذهبي" السير جاييمس فريزر (Sir James Frazer) (1854-1941)⁴. ثم أن رصد المعطيات يتم بالملاحظة والاحتكاك بالفاعلين الاجتماعيين باعتبارهم الحاملين لمعنى الرموز الثقافية، لهذا فمن الضروري وصف أدق التفاصيل كونها جزئيات تحمل جانب معين من معاني الثقافة.

إن الوصف المكثف هو في واقع الأمر عمل إثنوجرافي يقوم به الباحث خلال عمله البحثي والذي تكون الغاية منه تجميع الكم الوافي والدقيق من المعطيات وترتيبها والتي تمكنه من الوصول إلى المعنى حول الرموز الثقافية موضوع الدراسة. إذ يرى في هذا الشأن كليفورد غيرتز أن موضوع الإثنوجرافيا يكمن في: "الترتيب الطبقي الهرمي لتراكيب ذات معنى تنتج حركات... وتقدم تفسيراً لكل هذه الحركات وكيف ينبغي فهمها والنظر إليها"⁵

وتعتبر عملية الوصف المكثف من أعسر العمليات التي تواجه الباحث السوسولوجي والأنثروبولوجي خاصة في عمله. ذلك أنه يجد نفسه أمام كم هائل من "التراكيب المفهومية

¹ اختلف العلماء في ترجمة المصطلح، فنجد في ترجمة كتاب "تأويل الثقافات" اعتماد المترجم لمصطلح التوصيف الكثيف وفي كتاب "الأنثروبولوجيا من البيئية إلى التأويلية" نجد مصطلح الوصف المكثف. ولا نرى في هذا الاختلاف خلل منهجي ذلك أن المصطلحين يشيران إلى معنى واحد، إلا أننا اعتمدنا الترجمة الثانية كونها أكثر دقة ووضوح في نظرنا ومن جهة أخرى الأقرب إلى المصطلح في لغته الأصلية.

² كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 84.

³ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 99.

⁴ Voir François Laplantine (2001) : l'Anthropologie, Payot, Paris, P68.

⁵ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 86.

المعقدة، التي يكون الكثير منها متراكبا ومتشابكا بعضها مع البعض الآخر، والتي هي غريبة وغير منتظمة وغامضة¹.

في الأخير، تجدر الإشارة إلى أن الوصف المكثف كمفهوم جاء كردة فعل على الممارسة الاثنوجرافية التقليدية المتمثلة في إقامة علاقات ود وانسجام، اختبار المخبريين، تدوين النصوص، رسم خرائط الحقول، تدوين المفكرة اليومية... الخ والتي يدعو غيرترز إلى تجاوزها باعتبارها لا تحدد ماهية المهمة الاثنوجرافية ذلك أن هذه الأخيرة تتحدد في "الجهد الفكري المبذول"²؛ لهذا فمفهوم الوصف المكثف يشكل إضافة نوعية للعمل الاثنوجرافي في الحقل الأنثروبولوجي.

ب. معالجة المعطيات

بعد انقضاء عملية جمع المعطيات تأتي مرحلة المعالجة وهي العملية التأويلية لذلك الكم المعطياتي المجمع من الرموز اللامتجانسة والمبعثرة في ذهن الباحث. وهي مرحلة بدورها تقوم على مستويين: الفهم والشرح.

والفهم هو الوصول إلى استيعاب القصد والشرح هو وصف الاستيعاب، بمعنى أنه لما يستوعب الباحث معنى الرموز الثقافية يقدم وصفا للقارئ حول ذلك الفهم الذي يشكل شرحا. وهنا يكون للوصف المكثف دورا محوريا في تأويل معاني الرموز الثقافية إذ من خلاله يتم تفكيك المعاني عبر وصف العلاقات القائمة بين الرموز والمعاني التي يضيفها عليها الفاعلون الاجتماعيون.

إن معالجة المعطيات هي عملية تحليل، تفكيك وإعادة بناء لذلك الوصف الكثيف الذي رصده الباحث من الميدان، حيث يقوم بمقتضاها "بترتيب وفرز للتركيب التي تحمل معاني وتحديد أرضيتها الاجتماعية ومغازيها"³ يقول كليفورد غيرترز. إذ هي عملية من أعسر المراحل في البحث التأويلي الرمزي كون الباحث أمام مفاهيم وعبارات "يكون الكثير

¹ كليفورد غيرترز، *نفس المرجع*، ص 91.

² كليفورد غيرترز، *نفس المرجع*، ص 83.

³ كليفورد غيرترز، *نفس المرجع*، ص 90.

منها متراكبا ومتشابكا بعضها مع البعض الآخر، والتي هي غريبة وغير منتظمة، وعليه - الباحث- أن يجهد أولا لفهمها واستيعابها ومن ثم تقديمها للقارئ¹

10- مفاهيم أساسية في النظرية التأويلية الرمزية

تعتمد النظرية التأويلية الرمزية على مجموعة من المفاهيم التقنية والمنهجية والتي حاولنا رصدها في العناصر التالية:

- الثقافة: لقد تنوعت تعاريف مفهوم الثقافة وتعددت بين العلماء بتنوع زوايا النظر والطرح في بحوثهم، إذ تجاوزت التعاريف أكثر من 164² فإذا كان أشهر تعريف لها هو ذلك الذي طرحه وأبدع في تقديمه الأنثروبولوجي البريطاني السير إدوارد بيرنت تايلور (Sir Edward Burnett Tylor) الذي دون في كتابه الشهير الثقافة البدائية (Primitive Culture) أن: "الثقافة أو الحضارة، التي اتخذت بمعناها الإثنوغرافي الواسع، هي تلك الكليّة المعقدة التي تشمل المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"³ إلا أنه تصور اقتصر على تحديد العناصر المشكلة للثقافة باعتبارها محددات يكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية نافيا بذلك كل عوامل بيولوجية وراثية لسمة ثقافية معينة. في حين أن الثقافة أوسع من مجموع عناصر وإنما هي نتاج تفاعلات بشرية على مدار التاريخ الإنساني تمخض من خلالها سلوكيات ينتهجها الإنسان.

كما قد ذهب برونيسلاف مالينوفسكي إلى كون الثقافة استجابة للحاجيات الإنسانية الأساسية من خلال المؤسسات السياسية والاجتماعية حيث يذكر في تعريفه للثقافة بأنها: "كل مبني من مؤسسات بعضها مستقل عن البعض الآخر وبعضها مترابط معه. وهي تحفظ معا بفضل سلسلة من المبادئ مثل القبلية المستندة إلى جماعة الرحم والترابط المكاني

¹ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص91.

² 164 هو الإحصاء الذي قدمه الباحثين ألفريد كروبر (Alfred Kroeber) وكلايد كلوكون (Clyde Kluckhohn) في خمسينيات القرن الماضي حول تعريفات الثقافة، وهو رقم تزايد مع التطورات العلمية التي شهدتها حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية لا سيما علم الأنثروبولوجيا.

³ Edward Taylor, **Primitive Culture : Researches in to the development of Mythology, Philosophy, Religion, art and Custom**, John Murrey, London, 1871, P01.

بصلة مع العمل الجماعي والتنشئة الاجتماعية للفاعليات وأخيرا وليس آخرا بفضل استعمال السلطة في التنظيم السياسي. ولكل ثقافة تماما واكتفاءها بذاتها الخاصان بها وذلك لأنها تستجيب لما يكفي لكامل المجال في الحاجات الأساسية ذات الغاية المحددة والوظيفة الإدماحية في الجماعة¹

وخلافا للتعريفات الشائعة حول مفهوم الثقافة التي تم عرضها أو أخرى لم تعرض، تذهب النظرية التأويلية الرمزية إلى تصور سيميائي للثقافة باعتبارها "شبكة رمزية، نسجها -أي الإنسان- بنفسه حول نفسه"² وهو تصور جاء كمناهضة للتعريفات السابقة التي قدمها الأنثروبولوجيون على وجه الخصوص والتي يرى فيها غيرتز تعريفات "تسهم في تعمية الأشياء لا في توضيحها"³

فالثقافة "شيء علني وليس بالفكرة الباطنة... وعلى الرغم من كونها -الثقافة- متعلقة بما هو فكري، فهي ليست شيئا في داخل رأس المرء؛ وعلى الرغم من كونها ليست شيئا ماديا، فهي ليست كيانا باطنيا محجوبا"⁴ فهي نص تبرز ملامحه وسمياته من خلال الأقوال والسلوكيات والأحداث والمواقف اليومية لدى الأفراد في حياتهم الاجتماعية.

"إن الثقافة، بما هي شبكة من أنظمة الإشارات (Signs) القابلة للتفسير والتأويل، ليست قوة قاهرة، وليست شيئا تعزى إليه سببيا أحداث مجتمعية أو سلوكيات أو مؤسسات اجتماعية أو سيرورات عملية، بل هي نسق يمكن من ضمنه إجراء توصيف كثيف قابل للفهم لهذه الأشياء"⁵

لقد أحدثت التأويلية الرمزية نقلة إبستمومية نوعية في مفهوم الثقافة حيث قفزت به من النظرة التقليدية القائمة على التصنيف والإحصاء إلى التصور السيميائي الذي ينظر في

¹ كريستوف فولف (2009): علم الأناسة التاريخ والثقافة والفلسفة، تر: أبي يعرب المرزوقي، الدار المتوسطة للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 151.

² كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 82.

³ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 81.

⁴ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 91.

⁵ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 98.

الثقافة على أنها شبكة الرموز الظاهرة والتي تحمل جملة المعاني التي تتيح للباحث من قراءتها، تحليلها وفهمها ومن ثم استيعابها.

- الرمز: إن مفهوم الرمز عند التأويليون الاجتماعيون بصفة عامة والأنثروبولوجيون بوجه أخص موضوع محل نقاش ذلك أنه لم يثبت على تعريف واحد جامع مانع بين العلماء، بل تعددت التصورات والاتجاهات فيه. وقد صنفتها الدكتورة حافظ الأسود إلى أربع اتجاهات رئيسية¹ نلخصها في الأسطر التالية:

الاتجاه الأول: يتزعم هذا الاتجاه الأنثروبولوجي البريطاني رونالد غودفراي لينهارت (Ronald Godfrey Lienhardt) والذي قدم دراسة بعنوان: Divinity and Experience. The Religion of the Dinka حول الديانة لدى قبائل الدينكا (The Dinka) الواقعة جنوب السودان. حيث يرى أن الفعل الرمزي هو ذلك الفعل الذي يستخدم في مواقف وحالات لا يصلح فيها في استخدام الفعل العملي أو التقني. فالفعل الرمزي يستهدف السيطرة على الاتجاهات العقلية والأخلاقية من خلال إقامة طقوس وشعائر معينة.

إنه وبرغم تخصيص لينهارت لفصل كامل حول مفهوم الفعل الرمزي (Symbolic Action) إلا أنه لم يقدم تعريفا واحدا للرمز بخاصة وأن اعتماده للمفهوم كان كثيفا في متن الدراسة. ويرجع الدكتور حافظ الأسود عدم تقيد أنصار هذا الاتجاه بتعريف الرمز إلى اعتقادهم في كون المفهوم بديهي المعنى وواضح لا يحتاج إلى تعريف.

الاتجاه الثاني: يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى اعتماد التعاريف اللغوية المعجمية في تعريف الرمز. ومن العلماء الذين اعتمدوا هذا الدرب في تعريف الرمز نجد أحد رواد التأويلية الرمزية فيكتور تورنر (Victor Turner) والذي عرف الرمز انطلاقا من التعريف المقدم في معجم أكسفورد الموجز. حيث جاء في مؤلفه The Forest of Symbols، وهي عبارة عن دراسة حول قبائل ندامبو Ndembu الواقعة في زامبيا، بأن الرمز هو "شيء منثق عليه بالإجماع العام على أنه يمثل أو يستدعي شيء آخر بصورة طبيعية عبر امتلاك صفات مماثلة أو عن طريق الارتباط في الواقع أو الفكرة"²

¹ الأسود حافظ، مرجع سابق، ص.ص 320-325.

² Turner Victor (1967): **The Forest of Symbols**, Cornell University Press, New York, P19.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الأكثر شيوعا في الحقل الأنثروبولوجي حيث يعتمد فيه العلماء إما على تعريفهم الخاص لمفهوم الرمز أو مستلهمين إياه من تعاريف الفلاسفة واللغويين من أمثال شارلز بيرز (Charles Peirce) وفرديناند دي سوسور (Ferdinand De Saussure).

ويشير الرمز في فكر الفيلسوف الأمريكي شارلز بيرز إلى "الموضوع المشار إليه بفضل قانون أو عادة أو اتفاق أو ارتباط في الأفكار من حيث أنه يعني ذلك الموضوع. وفي هذا المعنى تعتبر الكلمات والجمل أو العبارات والكتب وسائر الإشارات المتفق عليها رموزا ويلعب المفسر أو الشخص الذي يقوم بتفسير الرمز دورا أساسيا في إعطاء الرمز خاصيته الرمزية"¹ كما أن الرمز جزء ناظم لمفهوم الإشارة التي يرى فيها بيرز أنها تنقسم إلى صورة، دليل ورمز.

ومن جهته يرى دي سوسور بأن الرمز هو نوع من الإشارة (Signe) التي تربط بين المفهوم (Concept) والصورة الصوتية (Image Acoustique)². فلما نقول على سبيل المثال "القمر" هذه اللفظة تشكل صورة صوتية لها ارتباط بتصوير معين في أذهاننا حول مفهوم الشيء الذي يمثل هذه الصورة الصوتية. وبالتالي فالرمز هو الإشارة الدالة لمعنى المرموز إليه وبلغة دي سوسور فالرمز هو الدال (Signifié) والمرموز إليه هو المدلول (Signifiant).

وهكذا نجد الأنثروبولوجيون استلهموا أفكارهم من تعريفات الفلاسفة واللغويين في صياغة مفهوم سوسيولوجي أو أنثروبولوجي للرمز، فكليفورد غيرنز يرى أن الرمز هو "أي شيء يدل على شيء آخر لشخص ما، ويمكن لأي موضوع أو فعل أو حدث أو علاقة أن يصلح كحامل لتصوير ما، فالتصوير هو معنى الرمز. فالرمز هو حامل للتصوير أو المعنى سواء أكان ذلك الحامل موضوعا ماديا أو فعلا أو حادثة أو صفة أو علاقة" وإدوارد سابير (Edward Sapir) يرى في أنه "موضوع أو علامة أو إشارة الهدف منها استدعاء وتوجيه

¹ الأسود حافظ، مرجع سابق، ص 322.

² De Saussure Ferdianand (2002): **Cours de linguistique générale**, Talantikit, Bejaia, Algérie, P101.

الاهتمام الخاص نحو شخص موضوع أو فكرة أو نشاط مرتبط بصورة مبهمة أو غير مرتبط على الإطلاق على أساس طبيعي بذلك الرمز"¹

الاتجاه الرابع: وهو اتجاه مخالف تماما لباقي الاتجاهات حيث يصوغ فيه علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مفهوم الرمز انطلاقا من التعريفات والاستعمالات المحلية التي يفيدها بهم المخبريين في المجتمع المدروس. ولعل الأنثروبولوجي البريطاني إدوارد إيفانز بريتشارد (Edward Evans-Pritchard) ممن اعتمدوا هكذا نهج في صياغة مفهوم الرمز.

فقد خصص فصلا في كتابه ديانة النوير (Nuer Religion) ناقش فيه إشكالية الرمز لدى قبائل النوير الواقعة جنوب السودان، حيث انطلق من تساؤل مفاده: ما المعنى الذي يمكن أن نقدمه لخطابات النوير بأن هذا الشيء أو ذلك يعبر عن الله؟² حيث توصل إلى أن الرمز عند قبائل النوير عبارة عن فكرة ترمز إلى فكرة أخرى وأنه ليس بالشيء المادي الذي يرمز إلى فكرة ما.³

يظهر من خلال هذا الطرح تأثر الباحثون الأنثروبولوجيون بالمفاهيم التي صاغها الفلاسفة واللغويين وحتى بأفراد المجتمع المدروس حول مفهوم الرمز وهو في رأينا بالأمر العادي، ذلك أن هذه التخصصات سبابة في تعاطيها مع المفهوم ثم أن الأنثروبولوجيا كعلم مستقل لم يبرز إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبالتالي هو حقل معرفي فتي يستمد بالضرورة أسسه النظرية والمنهجية من باقي التخصصات العلمية مثله مثل باقي العلوم الأخرى. ثم أن إبداع العلماء الاجتماعيين والأنثروبولوجيين يكمن في هذه الجزئية بالذات وهي القدرة على تكييف المفاهيم والنظريات العلمية بصفة عامة في إطار الدراسات والأبحاث السوسيولوجية والأنثروبولوجية والتي ستتعرز بها هذه الحقول المعرفية.

ومهما يكن من شيء فإننا نرى بأن الرمز هو تلك العلامات أو الإشارات أو الحركات أو الخطابات أو المواقف، المادية وغير المادية، التي تحمل مجموعة من الأفكار المعبرة

¹ Encyclopedia of the social sciences (1934): **Symbolism by Sapir Edward**, vol 13, Macmillan compagny, New york, USA, P492.

² Evans-Pritchard (1956): **Nuer Religion**, Oxford University Press, P123

³ الأسود حافظ، مرجع سابق، ص 324.

عن تصور معين متفق عليه اجتماعيا حول وضعية أو موضوع ما. فالرمز هو وعاء حامل لجملة من الدلالات التي تجد مقصدها في الثقافة الحاضرة لها.

- التاويل: هي العملية التحليلية التي من خلالها يقوم الباحث بترتيب وفرز التراكيب التي تحمل المعاني حيث يقوم بتحديد أرضيتها ومغازيها¹ فهي الشرح الذي يقدمه الباحث لمعاني تلك الرموز الثقافية. "إن التحليل الثقافي هو تخمين المعاني، وتقويم هذا التخمين، ورسم استنتاجات تفسيرية من التخمينات الفضلى"²

والتاويل إذا كان هو الجهد الفكري الذي يقوم به الباحث لاستعاب الرموز الثقافية من خلال الوصف الكثيف، فإن هذه العملية تركز على تقنية "البستنة"³ أي مضاعفة التفسيرات من خلال ما يقدمه الأفراد الذي نعايشهم متمثلين في الإخباريون الرئيسيون أو الثانويون، ومن دون إغفال ما يطرحه الأخصائيون في التخصصات العلمية الأخرى: علماء الاجتماع والنفس والاقتصاد والتاريخ... الخ.

- الفاعل الاجتماعي: ويعبر عنه كذلك بالإخباري أو المخبري أو حامل الثقافة. وهو الشخص أو مجموع الأشخاص الذين من خلالهم يقوم الباحث باستقاء معطياته الميدانية والتي عبرها يتسنى له استعاب معاني الرموز الثقافية.

- الترتيب الطبقي الهرمي: يرى غيرتز بأنه الموضوع الأساسي للعمل الإثنوغرافي إذ أن جوهر الإثنوجرافيا هو الترتيب الطبقي الهرمي للتراكيب المفاهيمية لثقافة ما، فهو "ترتيب التراكيب الثقافية ذات معنى تنتج حركات وتقدم تفسيراً لكل هذه الحركات وكيف ينبغي فهمها والنظر إليها"⁴ بمعنى أن الترتيب الطبقي الهرمي هو الشكل العام لمعنى الرموز الثقافية الذي يصوغه الباحث من خلال التراكيب المفاهيمية والذي ينتج تصور حول ثقافة مجتمع ما، فمن دونه في ذهن الباحث "لن يكون لتلك الحركات أي معنى"⁵

¹ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 90.

² كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 109.

³ Jackie Assayag : **Op. Cit.**, P236.

⁴ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 86.

⁵ كليفورد غيرتز، نفس المرجع، ص 86.

إن ما يفعله الإثنوجرافي من تدوين للخطاب الاجتماعي وجل الأحداث التي يلاحظها خلاله رحلته العلمية، هي في واقع الحال تحويل لهذا الخطاب والأحداث "من مجرد حدث عابر لا يوجد إلا في لحظة حصوله إلى حكاية مكتوبة يمكن العودة إليها لاحقاً لدراستها من جديد"¹ لهذا فترتيب التراكيب المفاهيمية عملية جوهرية كونها تجعل القارئ يدرك ويستوعب المعاني التي تتستر وراء مختلف الرموز الثقافية لمجتمع ما.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترتيب قد يكون طبقياً أو هرمياً والإثنين معا وهذا يتوقف على الباحث وكيفية تنظيمة للتراكيب المفاهيمية بحيث يبقى النص الثقافي محافظاً على معناه الأولي أي مثلما يراه الفاعل الاجتماعي وليس الباحث العلمي.

- التركيب المفاهيمي: هو مجموع العبارات والمصطلحات الدالة على مجموعة من المعاني الثقافية والتي يستخدمها الفاعلون الاجتماعيون في حياتهم اليومية بحيث تشكل فيما بينها كل متكامل ناسج لثقافتهم المحلية. وهذه التراكيب المفهومية تكون معقدة في نظر الباحث، ذلك أن "الكثير منها متراكبا ومتشابكا بعضها مع البعض الآخر، والتي هي غريبة وغير منتظمة، وعليه -الباحث- أن يجهد أولاً لفهمها واستيعابها ومن ثم تقديمها للقارئ"²

وسنقدم مثالا من شأنه أن يوضح أكثر مفهوم "التركيب المفاهيمي". ففي الثقافة الإنجليزية توجد عبارة يستعملها الأنجليز كثيرا وهي "Once in a blue moon"³ لو نقوم بترجمتها سنجد بالتقريب عبارة "مناسبة واحدة في -أو على- القمر الأزرق". وهذه الترجمة تعطينا قراءة تبقى غامضة كونها غير واضحة ولا متجانسة ولا منطقية في أذهاننا كباحثين. فالقمر الأزرق شيء خيالي ومناسبة واحدة فوق القمر ضرب أيضا من الخيال. فما هي دلالة هذه العبارة ولماذا تحدث فوق القمر ولماذا القمر الأزرق... الخ من التساؤلات التي تقتضي الإجابة عليها الغوص في الثقافة الإنجليزية.

¹ كليفورد غيرتزر، نفس المرجع، ص 107.

² كليفورد غيرتزر، نفس المرجع، ص 91.

³ بادرنبي هذا المثال بعدما حدثت ظاهرة فلكية تسمى: بالقمر الأزرق العملاق، وقد قمت ببحث عن معنى هذه التسمية ومن ثم اكتشفت عبارة يستخدمها الإنجليز في خطابهم اليومي فحاورت أحد السكان الإنجليز الذين كانوا في عطلة صيفية بالجزائر، وقدم لي هذا التصور الثقافي الذي اعتمده كمثالا.

ولما نتحدث مع السكان الحاملون لهذه العبارة، الانجليز والبريطانيين عموماً، نجد بأنها عبارة تشير إلى حدوث فعل أو مناسبة أو حدث بوتيرة نادرة. وهي بالتالي عبارة تعني عدم تكرار المناسبة أو الفعل أو الحدث بشكل يومي روتيني. وهي عبارة مستلهمة من ظاهرة فلكية تحدث نادراً ألا وهي ظاهرة ظهور القمر في شكله الكلي الدائري والتي تحدث 13 مرة في السنة الشمسية عوض 12 المعهودة وهي ظاهرة فلكية نادرة الوقوع، ما جعل المجتمع يقوم بإسقاط تصوره لظاهرة فلكية للتعبير عن فكرة اجتماعية آلا وهي ندرة وقوع الحدث.

إن التركيب المفاهيمي هو عبارة عن شيفرات ثقافية أو مفاتيح تتيح للباحث استيعاب ثقافة الشعوب المختلفة من خلال جملة من المفاهيم المركبة فيما بينها والتي تتشكل من خلالها ثقافة مجتمع ما.

الفصل الثاني: مدخل عام لمفهوم الشرف

تمهيد

أولاً: مفهوم الشرف

ثانياً: طبيعة الشرف

ثالثاً: أنواع الشرف

رابعاً: وظائف الشرف

خامساً: الشرف في علاقات مفاهيمية أخرى

تمهيد:

يشكل الشرف جانبا مهما من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية في الحياة البشرية. وقد أَرهص العلماء في دراسته محاولين فهمه كل من وجهة نظره، لهذا فالغوص في دراسة قيمة الشرف في المجتمع الجزائري تقتضي منا الرجوع أولا إلى ما تم تقديمه من طرف الباحثين والمختصين حول هذه القيمة الاجتماعية قصد الفهم، الإلمام والتعمق بجوانب المفهوم ومن ثمة التوجه إلى دراسته وفهمه في الواقع الاجتماعي.

والشرف قيمة اجتماعية جد معقدة سواء من حيث التحديد أو التعريف عليها بالنظر إلى ارتباطها بالعديد من القيم والنظم الاجتماعية الأخرى بالإضافة إلى مختلف الوظائف التي تؤديها في مختلف البيئات الاجتماعية والثقافية.

من هنا فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم الشرف من وجهات نظر لغوية، فلسفية وسوسيو-أنثروبولوجيا لأهم المفكرين والباحثين الذي تناولوا الموضوع، إضافة إلى تحديد طبيعة هذه القيمة وكذا أنواعها والوظائف التي تؤديها على المستويات: السيكولوجية والاجتماعية والثقافية، كما ارتئينا ابراز علاقة مفهوم الشرف ببعض المفاهيم الأخرى ما يمكن من استيعاب هذه القيمة في أبعاد متعددة.

أولاً: مفهوم الشرف

1-التعريف اللغوي:

يقول مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة "إن الشيء لا يعد موجوداً في شعورنا إلا عندما يلد فكرة تصبح برهاناً على وجوده في عقلنا"¹ لهذا فقد ارتئينا أن نبدأ بتقديم التعريف اللغوي للكلمة وذلك لما للغة من أثر في تشكيل صور الأشياء في أذهاننا ومن ثمت تحديد لسلوكياتنا داخل الجماعة البشرية التي ننتمي إليها مثلما يرى في ذلك عالم اللسانيات الأمريكي بنيامين لي وورف (Benjamin Lee Whorf) "أن السلوك الثقافي للبشر محدّدٌ باللغة التي يستعملونها"².

والشرف في المعجم العربي الشهير "لسان العرب"، يعني الحَسْبُ بالآباء، شَرَفَ يَشْرُفُ شَرَفًا وشُرْفَةً وشَرَفَةً، فهو شريفٌ، والجمع أشْرَافٌ. غيره: والشَّرْفُ والمَجْدُ لا يكونان إلا بالآباء. ويقال: رجل شريف، ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف. والشرف: مصدر الشريف من الناس. وشريف وأشرف مثل نصير وأنصار وشهيد وأشهد، الجوهري: والجمع شرفاء وأشرف، وقد شُرِفَ، بالضم، فهو شريفٌ اليوم، وشارفٌ عن قليل، أي سيصير شريفًا.³

كما جاءت كلمة الشرف في مرادفات عديدة قي كتاب "الألفاظ الكتابية" للغوي عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني، والذي خصص للمصطلح فصل بكامله، فيكتب "يقال: فُلَانٌ غُرَّةٌ مُصَرَّرٌ أو غيرها من القبائل وسَنَامُهَا، وَذُوَابَتْهَا، وهو في بيت شرفها، وهو في ذراها، وَذِرْوَتِهَا. (وتقول): فُلَانٌ نَبْعَةٌ أَرُومَتِهِ، وَأَبْلَقُ كَتَيْبَتِهِ، وَبَيْضَةٌ بَلَدِهِ، وَمَدْرَةٌ عَشِيرَتِهِ، وَرَعِيمٌ قَوْمِهِ، وَفَتَى قَوْمِهِ، وَعَمِيدٌ بَيْتِهِ، وَقَرِيحٌ أَهْلِهِ، وَنَابٌ عَشِيرَتِهِ، وَمَلَاذُهُمْ، وَلِسَانُ قَوْمِهِ، وَوَجْهُ قَوْمِهِ. (وتقول): هو نِظَامُهُمْ، وَقَوْمُهُمْ، وَمِلَاكُ أَمْرِهِمْ، وَحِرْزُهُمْ وَكَهْفُهُمْ، وَمَلْجَأُهُمْ، وَمَعْقَلُهُمْ الذي إليه يرجعون. (وتقول) هو شَهَابٌ قَوْمِهِ السَّاطِعُ، وَنَجْمُهُمُ النَّاقِبُ، وَبَدْرُهُمْ

¹ Malek Bennabi (2012) : **Problème de la Culture**, Samar, 2eme ED, Alger, P43.

² Un collectif d'anthropologues québécois (1979) : **Perspectives anthropologiques**, Les Éditions du Renouveau pédagogique, Montréal, pp. 91 à 117.

³ ابن منظور، مصدر سابق، ص 169.

الطَّلَعُ، وَسَهْمَهُمُ النَّافِذُ. (وتقول): قد طَالَ قَوْمَهُ، وَفَاقَهُمْ فَوْقًا، وَبَدَّهُمْ، وَشَاءَهُمْ، وَسَادَّهُمْ، وَفَضَّلَهُمْ، وَرَجَّحَهُمْ، وَرَأَنَهُمْ، وَنَعَشَهُمْ، وَأَحْيَاهُمْ، أَي: سَبَقَهُمْ فِي الْعِلْمِ¹.

فالملاحظ أنه يوجد تباين في مدلول الكلمة في اللغة العربية فهي تارة صفة ملازمة للفرد تشير إلى الزعامة والسيادة فنقول عنه شريف قومه ومرة أخرى تدل على الرابطة القرابية، فيقال عنه شريف لانتساب الفرد إلى عائلة شريفة، إلى غير ذلك من المعاني. وهذا التباين الدلالي في اللغة إنما يشير لأمر مهم وهو خروج الكلمة من معناها الأصلي الحقيقي إلى المعنى المجازي. والمعنى الحقيقي أردّه الدكتور بشر فارس² إلى أنه العلو والارتفاع، ذلك أنه حسي والحسيات تسبق المعنويات على حد تعبيره.

من هنا وبالرجوع والبحث في أصل كلمة الشرف نجد أن العرب كانوا يستخدمونها للإشارة إلى أعالي الجبال. وقد أوضح ذلك الكاتب اللبناني بشر فارس³ من خلال أقوال وأشعار من الجاهلية فهذا أكثم بن صيفي وهو واحد من حكماء العرب في زمنه يقول: "على الشرف الأقصى فابعد"، ثم أنه توجد جبال في شبه الجزيرة العربية تحمل أسماء مثل شُرَيْفٍ والشرف وهي واقعة في دولة اليمن حالياً. كما أننا نجد في أقدم معجم عربي المعروف بـ: "كتاب العين" لابن أحمد الفراهدي والذي دَوَّن "الشَّرْفُ: ما أشرف من الأرض. والمَشْرَفُ: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعليها"⁴ ويذكر كذلك الجوهري في الصحاح أن الشرف هو العلو والمكان العالي⁵ بهذا فالشرف في اللغة العربية يعني المكان العالي.

إن كلمة الشرف في اللغة العربية في مبتدأها جاءت من هنا، من معناها الظاهر الحسي المتمثل في أعالي الجبال وقممها. ثم مع التطورات السوسيو-ثقافية اندرج المصطلح في الذهنية العربية للتعبير عن كل ما هو مرموق ودو مكانة ليشمل نواح عدة من نواحي الحياة. يقول مالك بن نبي أن هناك "عملية تعريف تبدأ عندما يطلق الاسم على الشيء،

¹ عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني (1991): الألفاظ الكتابية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 44-45.

² بشر فارس (1939): مباحث عربية، مطبعة المعارف، مصر، ص 95.

³ بشرف فارس، نفس المرجع، ص 95.

⁴ ابن أحمد الفراهدي (2003): كتاب العين، الجزء الثاني، تحقيق هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 325.

⁵ إسماعيل بن حماد الجوهري (2009): الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، ص 593.

وتتمو كلما أخذ الشيء معنا مركبا، أي أنه عندما يصبح اسما يصبح فكرة فمهما...¹ وهكذا فكلمة الشرف أخذت مضامينها وأبعادها السوسيو-ثقافية من فكر السمو والمكان العالي الذي يطمح الإنسان للوصول إليه ذلك أن الطموح فطرة في الإنسان ثم تطورت مع تطور استخداماتها لتصبح كلمة مركبة تحمل معان متعددة.

أما في اللغات الغربية فالشرف مفردة مشتقة من الكلمة اللاتينية Honos وهو اسم أحد آلهات الحروب الإغريقية والذي كانت وظيفته مد الجنود بالشجاعة للمحاربة، ثم مع مرور الزمن توسع نطاق المفهوم لتأخذ كلمة الشرف دلالات ومعان متعددة ومختلفة حتى أنه أصبح يمنح كاسم للبنات في البلدان الأنجلوسكسونية.²

وقد جاءت في اللغة الفرنسية كلمة الشرف، ونكتب Honneur وينطق "أونور"، بمعان متعدد فحسب موسوعة لاروس لسنة 1979، فهو شعور بالكرامة الأخلاقية؛ سمعة؛ تقدير يرافق الشجاعة والموهبة؛ سلوك؛ إظهار للتقدير والاحترام.³

أما في اللغة الإنجليزية فكلمة Honour، جاءت بتسعة معان، مذكورة ومرتبة في قاموس أكسفورد على النحو التالي:⁴

- الاحترام Respect: الاحترام الكبير للموضوع.
- الامتياز Privilege: شيء تؤديه بكل افتخار لأن الناس يظهرون لك احترام كبير.
- سلوك أخلاقي Moral Behavior: هي صفة لمعرفة وفعل ما هو أخلاقيا صحيح.
- السيرة Reputation: سيرة جيدة، الاحترام من طرف الآخرين.

¹ Malek Bennabi, **Op. Cit**, P46.

² Monque Canto-Sperber (1996) : **Dictionnaire d'éthique et de philosophie moral**, Tome1, PUF, Paris, P854.

³ Claude Dubois (1979) : **Dictionnaire Encyclopédique Larousse**, Librairie Larouss, Canada, P690.

⁴ Sally Wehmeier (2000) : **Oxford Advanced Learning Dictionary**, Sixth edition, Oxford University Press, China.

- موضوع أو شيء يؤدي إلى الاحترام subject/somthing causing respect: شخص أو شيء يدفع بالآخرين للاحترام والتقدير.
 - جائزة Award: جائزة تمنح لشخص نظير عمل قدمه.
 - في الجامعة او المدرسة: يستعمل الشرف للإشارة إلى الأقسام الجامعية عالية المستوى. وقد يكون تقدير يمنح بعد اجتياز امتحان أو رتبة بتقدير عالي.
 - الشرف صفة احترام، تستعمل عند الحديث أمام القاضي.
 - في لعبة الأوراق In Card Game: يعني الشرف الورقة التي لها أعلى قيمة.
- مما تقدم في اللغات المُختارة من تفسيرات لغوية لكلمة الشرف، نجد أنها مفردة تحمل معانٍ مختلفة تختلف باختلاف مواطن استعماله. ذلك أن لها ارتباطات متعددة الأبعاد والجوانب بكل ما يحيط بالإنسان باعتباره عضواً في المجتمع؛ سواء بذاته البشرية كتحقيق الاحترام؛ بالقيم الأخلاقية باعتبار الشرف قيمة أخلاقية؛ والقيم الاجتماعية باعتبار الشرف الضابط لسلوك الفرد داخل الجماعة.
- كما أن الشرف يمثل نظاماً لغوياً في حد ذاته يتواصل من خلاله بني البشر سواء كانوا من نفس الجيل أو من جيلين مختلفين. ونلاحظ ذلك فيما وضحه معجم لسان العرب عندما ربط بين الشرف والنسب، وكذلك في القاموس الإنجليزي أين نجد أن مصطلح الشرف يستعمل للحديث مع القاضي مثلاً.
- فالشرف من منظوره اللغوي، نجد أن معناه يختلف باختلاف السياق المستعمل فيه. إذ هو في مقام يحمل قيمة اجتماعية وثقافية وفي مقام آخر يكون صيغة تخاطب واحترام ونجده كذلك سلوك ينتهجه الفرد والجماعة كما هو موضح في القاموس الفرنسي.

2-التعريف الفلسفي:

يعتبر الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (Arthur Schopenhauer)، بالرغم من كون فلسفته لم تُشع في الساحة الفكرية كما فعله معاصره إيمانويل كانط أو قبله الهولندي

باروخ سبينوزا والفرنسي روني ديكارت، من أبرز الفلاسفة المحدثون الذين تناولوا موضوع الشرف حيث خصص للموضوع فصلا كاملا وذلك في كتابه " Aphorisme sur la sagesse dans la vie". وسنحاول في الأسطر القادمة التطرق إلى نظرة شوبنهاور لمفهوم الشرف من خلال التعريف الذي أعطاه إياه. فهو الذي يرى بأن الشرف قيمة اجتماعية موجودة في جميع المجتمعات والعصور حيث قال في هذا الصدد: " الشرف ... موجود عموماً لدى كل الشعوب وفي جميع الأزمنة"¹.

وانطلق الفيلسوف الألماني شوبنهاور حديثه عن الشرف بقوله: "الشرف هو الضمير الخارجي، والضمير هو الشرف الداخلي"². ومعنى ذلك أن الشرف هو الرأي الذي يحمله الآخرون حول قيمنا وذواتنا التي تعتبر جزءاً من الجماعة التي ننتمي إليها. وهو كذلك، رأينا الذي يميز بين الصواب والخطأ في تحديد شرفنا الذي هو جزء منا. وكل هذا وذاك يتحدد في مفهوم الضمير الذي اعتبره شوبنهاور المكان أو الوضعية التي يقوم الإنسان من خلالها بتقدير قيمته بما يمثله لنفسه في حد ذاته ومن خلال ذاته³. من هنا يرى شوبنهاور أن الشرف والضمير متلازمان ومقرونان بالإنسان والجماعة البشرية التي ننتمي إليها. فوجودنا مرتبط بالآخرين الذين يعبرون عنه من خلال نظرتهم لسلوكياتنا اليومية ومواقفنا في الحياة من جهة؛ وسعادتنا التي تجتاحنا عندما ندرك أن الآخرون عبروا على أفعالنا بالقبول من جهة أخرى، حيث يقول في هذا الصدد "أن الإنسان موجود إلا بتواجده وسط الجماعة"⁴.

ولتوضيح مقصده من الشرف كونه ضمير خارجي وأن الضمير هو الشرف الداخلي، يقول شوبنهاور: "الشرف هو، موضوعياً، الرأي الذي يحمله الآخرون على قيمتنا، وذاتياً، الخوف الذي يلهمنا من هذا الرأي. في هذه الخاصية الأخيرة، غالباً ما يكون لديه -الشرف- عمل مرحب به للغاية، بالرغم من أنه لم يتأسس إطلاقاً على الأخلاق البحتة، على رجل

¹ Arthur Schopenhauer (1880) : **Aphorismes sur la sagesse dans la vie**, Tra.J.-A Cantacuzène, Librairie Germer Baillière, Paris, P98.

² Schopenhauer, **Ibid**, P84.

³ Schopenhauer, **Ibid**, P70.

⁴ Schopenhauer, **Op. Cit**, P85.

الشرف¹ وهنا يبرز شوبنهاور مستويين من الشرف: الموضوعي والذاتي. أما الأول فيمثل رأي الجماعة كونها خارجة عن إرادة الفرد وذاته فتحدد له السلوك الواجب انتهاجه، والثاني داخلي مرتبط أساساً بالفرد وشعوره والأثر الذي يبقيه الشرف الموضوعي على الذات والمتمثل أساساً في الخوف من الضمير الخارجي في حال إخفاق الإنسان في تحقيق ما تنتظره منه الجماعة. فقد عبر شوبنهاور على رأي الآخرين بمفهوم "الضمير الخارجي" الذي أولاه أهمية بالغة في حديثه عن الشرف، حيث عرّفه بأنه وضعية موضوعية نستقبل من خلالها آراء الآخرين حول قيمنا².

ويعتبر شوبنهاور الشرف قيمة سامية توليها المجتمعات البشرية أهمية بالغة و السبب في ذلك كما سبق و أن ذكرنا أن شوبنهاور يرى أن الإنسان موجود إلا بتواجهه وسط الجماعة، و وحده لا يمكن أن يفعل الكثير من الأشياء ذلك أن الجماعة تزيد من قوة الإنسان في الأداء و النشاط، حيث يقول : "الإنسان لوحده لا يمكنه فعل إلا القليل، فهو عبارة عن روبنسون مهجور (في إشارة للشخصية الخيالية التي ابتدعها الروائي الإنجليزي دانيال ديفو في قصته الشهيرة روبنسون كروزو) ، فهو يستطيع أن يفعل الكثير من الأشياء إلا بتواجهه مع الآخرين"³.

بالإضافة إلى عامل الجماعة، فرغبة الفرد في اعتباره عضواً مفيداً في الجماعة التي يرغب بالانضمام إليها، عامل آخر يزيد من أهمية الشرف في تصور شوبنهاور، حيث يقول: "بمجرد أن يبدأ وعي الإنسان في التطور بشكل طفيف، تشتعل فيه الرغبة ليكون عضواً مفيداً في المجتمع، قادراً على المساهمة -من طرف واحد- في العمل المشترك ، وبالتالي له الحق في المشاركة في منافع المجتمع البشري"⁴ و هو يركز هنا على عامل ثالث المتمثل في الميزات التي تقدمها الجماعة بمجرد تمكن الفرد من تحقيق ما يقتضي عليه فعله و ما ينتظر منه فعله، فبعد تمكن الإنسان من رفع التحديات التي رسمها له المجتمع يُفسح له المجال للاستفادة من المزايا التي حددتها الجماعة.

¹ Ibidem.

² Ibidem.

³ Ibidem.

⁴ Schopenhauer, Op. Cit, P85.

ويميز شوبنهاور بين المجد والشرف، حيث يرى أن المجد، بعكس الشرف، له طابع إيجابي ذلك أنه يُكتسب نتيجة وصول الإنسان لامتلاكه صفات خاصة تميزه عن الآخرين، في حين أن الشرف يجب فقط ألا يفقد ذلك أن خصائصه يملكها جميع الأفراد على قدم سواء. حيث يقول: "الشرف، بمعنى ما، له طابع سلبي، على عكس المجد، الذي له طابع إيجابي، لأن الشرف ليس ذلك الرأي الذي يحمل حول بعض الصفات الخاصة، يمتلكها فرد واحد فقط؛ ولكنه -الرأي- يتعلق بصفات عادية مفترضة مسبقًا، والتي لا بد أن يمتلكها هذا الفرد أيضًا"¹.

لقد قدم شوبنهاور تعريفًا عميقًا للشرف مرتكزا على الضمير والجماعة في تصميمه لهذا المفهوم مقلدا من شأن الفرد باعتبار أن هذا الأخير ما هو إلا أداة في كف الجماعة، وأن الضمير الخارجي بحسبه له دور وأثر كبيران على سلوك الفرد ومن ثمت شرفه. وقد يكون تأثير المجتمع بالإيجاب أو بالسلب، وهو ما يظهر في وصفه لأثر الشرف في المجتمع أنه: "غالبًا ما يكون لديه عمل مرحب به للغاية" أي أن الشرف كخاصية في المجتمع مستحسنة لما لها من أثر إيجابي على سلوك الفرد.

3-التعريف السوسيو-أنثروبولوجي:

حاول علماء الاجتماع، والأنثروبولوجيا على وجه الخصوص، صياغة تعريفًا دقيقًا لمفهوم الشرف منذ ستينيات القرن الماضي، إلا أننا وبعد اطلاعنا على جملة من التعاريف وجدنا أنها متباينة فيما بينها وهذا راجع إلى التوجهات والرؤى والسياقات التي تندرج فيها الأبحاث والاكتشافات.

إذ يرى ماكس فيبر (Max Weber) أن المجتمع مكون من ثلاث تنظيمات رئيسية: التنظيم الاقتصادي، التنظيم السياسي والتنظيم الاجتماعي. أما التنظيم الاقتصادي فهو مكون من طبقات محددة حسب معايير اقتصادية متمثلة فيما تملكه الطبقة من سلع وخدمات. أما التنظيم السياسي فنجدته مكون من أحزاب محددة بمعايير سياسية ودينية تتمثل

¹ Schopenhauer, **ibid**, P88.

أساسا في السلطة والهيمنة. في حين أن التنظيم الاجتماعي مكون من مجموعات المكانة (Groupes de Statut) محددة بمعايير قيمية متمثلة أساسا في الشرف والرُمق¹.

من هنا يظهر أن مفهوم الشرف عند ماكس فيبر مقرونا أساسا بمفهوم المكانة الاجتماعية التي اعتبرها سمة من سمات الشرف الاجتماعي، حيث يقول في كتابه الديانة الهندية - سوسولوجيا الهندوسية والبوذية: "إن المكانة هي صفة من سمات الشرف الاجتماعي أو عدمه، وهي في الأساس مشروطة ومعبر عنها من خلال أسلوب حياة معين. يمكن أن يرتبط الشرف الاجتماعي بشكل مباشر بحالة طبقية، كما أنه، في الواقع وفي معظم الأحيان، يتأثر كذلك بمعدلات الحالة الطبقية لممثلي المجموعة"²

وعلى هذا الأساس فالمكانة الاجتماعية تشكل في جوهرها شرف الفرد في الوسط الاجتماعي ويتحدد من خلال الخصائص والشروط التي تصيغها مجموعة الأفراد الحاضنة له والتي من خلالها يحقق الفرد شرفه من عدمه، كما أنه -الشرف- يتأثر بطريقة مباشرة بوضعية الطبقة المتواجده فيها والأفراد المكونين لها ما يجعل محددات الشرف الاجتماعي تختلف من طبقة إلى أخرى وكذا من أسلوب العيش الذي تنتهجه مجموعة الأفراد إلى آخر. ويعتبر فيبر مجموعات المكانة ذلك الامتياز، إيجابيا أو سلبيا، للاعتبار الاجتماعي المطالب به فعليا. وهي تتوقف على العناصر التالية: نمط العيش، المستوى التعليمي، رمق الولادة (النسب) ورمق المهنة.³ يقودنا هذا إلى الوقوف على محددات الشرف والتي بحسب ماكس فيبر ترتبط بالعناصر الأربعة سالفة الذكر. لكن باعتبار أن الامتياز نسبي عند فيبر واقع بين الإيجاب والسلب فالشرف هنا يخضع للتقييم حيث مستوى التعليم، على سبيل المثال، كلما كان مرموقا كلما كانت مكانة الأفراد مرموقة هي الأخرى، والعكس. فكلما تدنى مستوى تعليم الفرد كلما اندثرت مكانته الاجتماعية وبالتالي شرفه. كما أن المكانة التي يحظى بها الفرد تختلف بحسب العناصر الأربعة، فقد يكون للفرد شرف النسب باعتباره

¹ Voir, Max Weber (1971) : **Economie et Société, Tome1 : les catégories de la sociologie**, Plon, Paris, PP 391-397

² Max Weber (1958): **The Religion Of India The Sociology of Hinduism and Buddhism**, Tran. Don Martindale and Hans H. Gerth, The Free press Glencoe, United states of America, P39.

³ Max Weber, **Economie et Société, Tome1: les catégories de la sociologie**, P395-396.

منحدر من عائلة نبيلة وألا يكون له شرف المستوى التعليمي أو المهنة ما يجعل مكانته في مجموعات المكانة نسبية إلى حد ما.

من خلال هذا التصور للمكانة نجد أن الفرد لا ينال شرفه الاجتماعي إلا إذا توفرت فيه الشروط والخصائص التي تسمح له بالولوج والتفاعل مع أفراد المجموعة المراد الانتساب لها والتي تمنحه شرف الانضمام لها.

من جانب آخر، يرى السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو أن الشرف يظهر أساسا في مفهوم رأس المال. فهذا الأخير هو عنصر من العناصر الأساسية في التحليل البوردياوي للمجتمع، ويميز بين ثلاث أنواع من رأس المال: رأس المال الثقافي، رأس المال الاجتماعي وأخيرا رأس المال الرمزي.

أما رأس المال الثقافي فهو مكون من مجمل الممتلكات الرمزية التي تشير من جهة إلى مجموع المعارف التي يكتسبها الفرد وتظهر من خلال ملكات الفرد اللامادية كتمكنه من اللغات والمعارف حيث تسمح له أن يكون مثقفا وأن يدرك ذاته ومكانته في العالم الذي يحيط به. ومن جهة أخرى، الملكات المادية كامتلاكه للكتب، لوحات فنية، آلات موسيقية... إلخ. ثم أن رأس المال الثقافي قد يظهر من خلال الممتلكات الرسمية كالشهادات الجامعية، النجاح في المسابقات... إلخ والتي تسمح للمجتمع بالاعتراف للفرد بقدراته الفكرية والعلمية ما يتيح له المجال لتقلد وظائف في الوسط الاجتماعي مثل: أستاذ أو محامي... إلخ.¹

وبالنسبة لرأس المال الاجتماعي فيعرفه بورديو على أنه "مجموع الموارد المحققة والمتوقعة التي تعود للفرد أو الجماعة كونهم حققوا شبكة من العلاقات المستمرة التي تكون أقل أو أكثر تنظيم للمعرفة واستطلاع المعارف المتبادلة بمعنى آخر هو الانتماء لمجموعة"² من هنا فرأس المال الاجتماعي يتركب من خلال العلاقات الاجتماعية التي يكونها الفرد لتحقيق الانتماء داخل الجماعة أو المجموعة للالتحاق بتنظيم معين.

أما رأس المال الرمزي فيرى بيار بورديو بأنه يشمل جميع رؤوس الأموال، سواء كان اقتصادي، ثقافي أو اجتماعي حيث يقول في كتابه *Raison Pratique*: "أسمي رأس المال

¹ Christiane Chauviré, Olivier Fontaine (2003) : **Le vocabulaire de Bourdieu**, Ellipses. Paris, PP12-13.

² Gisèle Sapiro (2020) : **Dictionnaire international Bourdieu**, CNRS, Paris, P82.

الرمزي أي نوع من رأس المال (اقتصادي، ثقافي، تعليمي أو اجتماعي) عندما يُنظر إليه وفقاً لفئات الإدراك، ومبادئ الرؤية والتقسيم، وأنظمة التصنيف، والمخططات التصنيفية، والمخططات المعرفية، والتي هي، جزئياً على الأقل، نتاج دمج الهياكل الموضوعية للمجال قيد الدراسة، أي هيكل توزيع رأس المال في المجال قيد الدراسة¹ ثم يضيف: "الشرف في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط هو شكل نموذجي لرأس المال الرمزي، والذي لا يوجد إلا من خلال السمعة، أي التمثيل الذي يمتلكه الآخرون، بقدر ما يتشاركون في مجموعة من المعتقدات الخاصة لجعلهم يدركون ويقدرّون خصائص معينة وسلوكيات معينة شريفة أو شريفة"².

فالشرف إذن هو جزء من رأس المال الرمزي وهو مقرون بسمعة الإنسان كونه فرد من مجتمع ما، يدفعه بالدفاع عنها لحماية سمعته وبالتالي شرفه. وهو مفهوم مرتبط بالمجتمعات التقليدية ويأخذ معنى الرمز في المجتمعات المعاصرة أو الرأسمالية، بحسب وصف الباحثان أن جوغدان وسيدوني نولان لدى دراستهما لنظرية بيار بورديو.³

من هنا، يتضح أن رأس المال بالمفهوم البوردياوي، يتيح للفرد من تحقيق مكانته الاجتماعية التي عبر عنها ماكس فيبر بالشرف. فالرصيد الثقافي المكون من الملكات المادية واللامادية وكذا رأس المال الاجتماعي المكون من مجموع العلاقات الاجتماعية التي يكونها الفرد ورأس المال الرمزي يشكلون فيما بينهم في نهاية المطاف مفهوم الشرف الذي يعمل عليه الفرد والجماعة على حد سواء لتحقيق الانتماء الاجتماعي ومن ثمة المكانة الاجتماعية.

وذهب الأنثروبولوجي البريطاني جوليان بيت ريفرز (Julian Pitt-Rivers) إلى تعريف الشرف على أنه: "القيمة التي يمتلكها الشخص في نظره، وكذلك في نظر مجتمعه".⁴

¹ Pierre Bourdieu (1994) : **Raisons pratiques**, Seuil, Paris, P161.

² Ibidem.

³ Anne Jourdain, Sidonie Naulin (2011) : **La théorie de Pierre Bourdieu et ses usages sociologiques**, Armand Colin, Paris, P80.

⁴ John George Peristiany (1965) : **Honour and Shame The values of Mediterranean Society**, Weidenfeld and Nicolson, London, P21.

فالشرف لدى بيت ريفرز بمثابة المعيار الاجتماعي الذي يحدد قيمة الفرد في بيئته الاجتماعية، ويتم ذلك على مستويين: الأول ذاتي يتمثل في نظرة الفرد لشخصه وتقييمه له والثاني اجتماعي يرتبط بنظرة المجتمع للفرد، ذلك أن الشرف قيمة جماعية بحيث السلوك غير المشرف للفرد يؤثر على الشرف العام للجماعة، يقول بيت ريفرز في هذا الشأن: "تتمتع المجموعات الاجتماعية بشرف جماعي يشارك فيه أعضاؤها؛ بحيث يعكس السلوك المخزي للفرد شرف الجميع"¹.

إضافة إلى ما ذكر، فالشرف، حسب بيت ريفرز، يمنح الفرد حق الشعور بالفخر والاعتزاز لكن تحقيق هذا العنصر لا يمكن إلا من خلال المجتمع الذي يقر بتميز الفرد ما يمنح هذا الأخير سمعة عالية في بيئته الاجتماعية. فالشرف مرهون بمدى إقرار المجتمع للتقييم الذي قدمه الفرد لذاته. حيث يشير بيت ريفرز في هذا الصدد على أن الشرف هو: "تقدير الفرد بما يستحقه؛ أي المطالبة بالافتخار، في نفس الوقت يكون الاقرار بهذه المطالبة من خلال الاعتراف الاجتماعي بتميز الشخص، أي حقه في الافتخار"²

مما تقدم نجد أن الشرف لدى جوليان بيت ريفرز يحمل ثلاث جوانب: شعور بالشرف، تمظهر الشعور في سلوك الفرد وأخيرا تقييم ذلك السلوك من طرف المجتمع. وهو ما يؤكد فرانك هندرسون ستيوارت في كتابه "Honor" حيث يقول: "الشرف في تصور بيت ريفرز له ثلاث جوانب: الشعور، تمظهر هذا الشعور من خلال السلوك وتقييم السلوك من طرف الآخرين"³

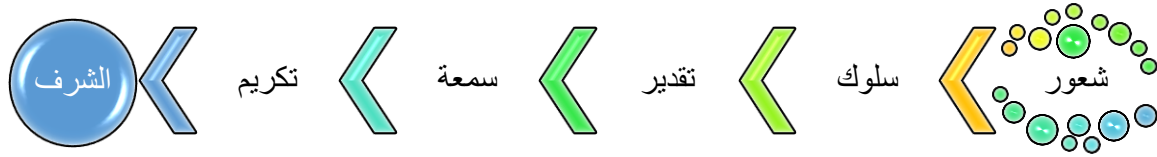
فالشرف عملية سيكو-سوسولوجية (Psycho-sociologique) بحيث تبدأ من خلال شعور الفرد بهذه القيمة وتنتهي بالتكريم وهو تأكيد المجتمع لامتلاك الفرد على هذه القيمة إذ يقول في هذا الصدد بيت ريفرز: "إن الشعور بالشرف يلهم السلوك المُشرف، السلوك يحظى بالتقدير ويؤسس السمعة والسمعة تُقدّس أخيرا بالتكريم"⁴

¹ Peristiany, Ibid, P35.

² Peristiany, Ibid, P21.

³ Frank Henderson Stewart (1994): **Honor**, The university of Chicago, United States of America, P13.

⁴ Peristiany, Op. Cit, P22.



شكل 1 مراحل تبلور الشرف في تصور جوليان بيت ريفرز - إعداد الباحث

لكن الأمر الذي تجدر الإشارة إليه حول عملية تكوين الشرف في تصور بيت ريفرز هو مسألة النية أو القصد (Intention) والتي يرى فيها الأنثروبولوجي البريطاني أنها مفصلية في تحديد تكوين الشرف، إذ يذكر في هذا الصدد "النوايا تلعب دورا حاسما في تكوين الشرف، فهي دليل الشعور والشخصية التي ينبع منها الشرف من خلال السلوك"¹ ذلك أن الأمر الذي يلزم الفرد بالعمل بمنطق الشرف هي "الفكرة التي يكونها عن نية الآخر"² فبمجرد أن يتمثل للفرد بأن شرفه على المحك إلا وتم إخضاع سلوكه لقواعد هذه القيمة. إن النوايا تشكل جزء أساسيا في مسألة الشرف إذ هي التي تبين ما إذا كان الفعل ذو علاقة بالشرف من عدمه.

وفي سياق آخر يعتبر الأنثروبولوجي الأمريكي فرانك هاندرسون ستيوارت أن الشرف هو الحق في الاحترام لكل فرد في المجتمع، حيث يقول: "أقترح أن ننظر إلى الشرف على أنه حق... الحق في أن يُعامل الفرد على أنه له قيمة معينة، سأشير له بشكل عام على أنه الحق في الاحترام"³

وفي ذات السياق يرى ستيوارت، من خلال تحليله لدراسات بعض الباحثين في هذا المجال، أن الشرف يحتوي على وجهين: شرف داخلي وشرف خارجي، حيث عبر عن هذه الظاهرة بالنظرية الثنائية (The Bipartite Théorie)⁴، وتتمثل في كون الشرف يشكل قطبين الأول هو أنه قيمة متجلية بين الفرد وذاته وهو الشرف الداخلي الذي يشكل مجموع الفضائل والصفات التي يتمتع بها الفرد. في حين الثاني هو الشرف الخارجي الذي يُشكل سمعة الفرد

¹ Julian Pitt Rivers (1997) : **Anthropologie de l'honneur**, Pluriel, Paris, P25.

² Pitt Rivers, **Op. Cit**, P26.

³ Stewart, **Op. Cit**, P21.

⁴ Stewart, **Ibid**, P19.

في وسطه الاجتماعي والتي تتحدد من خلال مجموع الخصائص الاجتماعية التي يصيغها المجتمع.

ويرى أن طرفي الشرف الداخلي والخارجي متكاملان، بحيث أن امتلاك الفرد لمجموعة من الفضائل والصفات تسمح له بتكوين سمعة في وسطه الاجتماعي والعكس. وفي الوقت ذاته يمكن للفرد أن يُكوّن شرف داخلي من دون التمتع بشرف الخارجي والعكس. إذ يقول بهذا الصدد "العلاقة بين الشرف الداخلي والخارجي ثابتة، على الرغم من أنه يمكن للمرء أيضًا أن يمتلك أحدهما دون الآخر"¹.

إلا أن هذا التباين بين الشرف الداخلي والشرف الخارجي يعكس في حقيقة الأمر التقسيم الإزدواجي لمفهوم الحق، وعليه اقترح ستيوارت على أن ننظر في الشرف على أنه حق في المطالبة أي "حق الفرد في شيء ما يؤديه الآخر"² بمعنى أن الحق هو واجب الآخر اتجاه حامله، إذ يذكر ستيوارت "من ناحية، هناك الحامل -أي صاحب الحق- الذي يملك شيء ما عن نفسه يعطيه الحق في الاحترام. ومن ناحية أخرى هو العالم الذي من واجبه أن يعامل حامله -أي حامل الحق- باحترام"³.

وبالرجوع إلى مفهوم الحق في الاحترام الذي قدمه ستيوارت كمرادف لمفهوم الشرف، يتضح لنا أنه -الحق في الاحترام- سلوك الآخرين اتجاه الفرد الذي يحمل بالضرورة قيمة أو شيء ما يمنحه الاحترام في وسطه الاجتماعي. فالشرف إذن هو عملية تفاعلية بين الفرد والجماعة قائمة على ثلاث مبادئ: الحق، الواجب والاحترام، بحيث كلما زاد شرف الفرد زاد احترام الجماعة له، والعكس، أي كلما تدنى شرف الفرد كلما قل احترام الجماعة له.

بعد هذا العرض نخلص إلى نتيجة مفادها أن الشرف نظام قيمى، أي مجموعة من القيم المتحكمة هي الأخرى في قيمة الشرف، لها محدداتها السوسيو-ثقافية التي تختلف باختلاف المجتمع بحيث تفرض على الفرد والجماعة على حد سواء سلوك معين وجب

¹ Stewart, Op. Cij, P18.

² Stewart, Ibid, P21.

³ Ibidem.

التحلي به. والشرف على هذا النحو هو كذلك قيمة اجتماعية تمنح الفرد والجماعة مكانتهم التي تحقق لهم الاحترام والتقدير في البيئة الاجتماعية التي يتفاعلون معها.

ثانياً: طبيعة الشرف

والآن وبعد أن أدركنا مفهوم الشرف نتساءل ما هي طبيعته؟ ومن خلال ما تقدم من تعريفات لغوية، فلسفية وسوسيو-أنثروبولوجية، أمكن ردُّ طبيعته إلى ستة عناصر (06) فصلها كما يلي:

● فطري: ذلك أن الشرف، كما يرى شوبنهاور، شعور متأصل في كل إنسان إذ يقول في هذا الصدد "أصل وجذور الشعور بالشرف والعار، فطرية في الإنسان طالما أنه لم ينحرف كلياً"¹. إذ يولد الفرد وهو محمل بهذا الشعور، فقط أن محدداته الاجتماعية والثقافية، التي تختلف باختلاف الجماعة التي ينتمي إليها أو يرغب في الانتماء إليها، هي التي ترسم معالم العناصر التي تُشعر الفرد بشرفه.

● اجتماعي: إن الشرف قيمة موجودة بوجود الجماعات البشرية، فالحيوان لا يشعر بالشرف لغريزية سلوكياته. في حين الإنسان يتصرف بالعقل وكما ذكرنا في الطبيعة الفطرية للشرف بأن خصائصه ومحدداته تتحدد وفق الجماعة والثقافة التي ينتمي إليها الفرد، فهو -أي الشرف- بالتالي يأخذ وجوده الحسي بتواجد الجماعة البشرية.

● ازدواجية الطابع: إيجابي وسلبي، وهذا راجع إلى مدى قبول الجماعة للفرد من عدمه ومدى تطابق سلوك الفرد مع ما تقرضه الجماعة من قواعد. فكلما زاد تطابق سلوك الفرد مع توقعات الجماعة منه كلما شعر الإنسان بالرضى النفسي بالتالي يكون الشرف هنا بالإيجاب. وكلما خالف الفرد ذلك كلما شعر بالخوف وعدم الراحة النفسية ما يجعل الشرف في هذه الحالة سلبي.

● نسبية المستوى: الملاحظ من تعريف شوبنهاور وكذا بيت ريفرز للشرف هو أنه قيمة نسبية، ذاتي/موضوعي. فهناك محددات متعلقة بالفرد حيث يتحكم فيها ضميره،

¹ Schopenhauer, Op. Cit, P85.

ومحددات متعلقة بالمجتمع حيث هذا الأخير هو من يفرضها. وهو ما عبر عنه ستيوارت كذلك بالشرف الداخلي والشرف الخارجي، حيث الداخلي خاص بالفرد وما يمليه عليه ضميره، والخارجي خاص بالجماعة وما تمليه من قواعد وضوابط اجتماعية يحتكم إليها الفرد.

● أن الشرف قيمة سامية: ذلك أنه يسمح للفرد بالتمتع بفوائد العيش مع المجتمع ولنيله يستوجب على الإنسان أن يجازف ويخاطر بحياته لكسب تأييد الجماعة له وهو ما يمنح الشرف هذه القيمة السامية، فهي تهدف إلى الوجود المثالي للفرد والجماعة.

ثالثاً: أنواع الشرف:

1-أنواع الشرف عند شوبنهاور:

يرى شوبنهاور أن أنواع متعددة من الشرف تنشأ من خلال العلاقات المتنوعة التي يكونها الإنسان في المجتمع والتي تمنحه الثقة بمجرد إبداء رأي إيجابي حول سلوكه. حيث ميزها الفيلسوف الألماني بين أربعة أنواع:

أ. الشرف البرجوازي (*l'honneur Bourgeois*): ويستمد اسمه من الطبقة البرجوازية، حيث يرى شوبنهاور أن هذا النوع من الشرف هو الأوسع نطاقاً من كل أنواع الشرف الأخرى، ذلك أن سلطانه يتوسع على كل الطبقات الاجتماعية من دون تمييز، إذ لا يمكن تجاهله ويقول في هذا الصدد: "صحيح أن اسم الشرف البرجوازي، مشتق من الطبقة البرجوازية، لكن سلطته تمتد على جميع الطبقات دون تمييز، دون استثناء حتى أعلى المستويات: لا يمكن لأحد الاستغناء عنه؛ إنه قضية مهمة للغاية، يجب أن نحرص على عدم الاستخفاف بها"¹. وذلك أن الشرف البرجوازي يفترض أن يتركب على الاحترام المطلق لكافة حقوق أفراد المجتمع، فهو الذي يسمح للفرد بالدخول في علاقة سلمية مع أي فرد من أفراد المجتمع. وبمجرد انتهاج فعل واحد غير لائق يفقد الإنسان هذا النوع من الشرف ما يترتب عليه أحكام عقابية يستوجب على الإنسان تقبلها طالما أنها عادلة.

¹ Schopenhauer, Op. Cit, P88.

ب. **شرف الوظيفة (l'honneur de la fonction)**: وهو النوع الثاني من أنواع الشرف التي قدمها شوبنهاور والذي برأيه يخص شخص ما في وظيفة معينة كالطبيب، المحامي، الأستاذ... إلخ. حيث يستوجب أن تتوفر في الشخص خصائص معينة ومحددة تقتضي منه القيام بجميع التزامات منصب شغله. ويرى شوبنهاور أنه كلما كان المنصب عالي كان التأثير أكبر والضمير الخارجي أكبر؛ كلما كانت درجة الشرف أكبر. حيث يقول في هذا الصدد: "كلما كان مجال عمل الإنسان أكبر وأكثر اتساعاً في الدولة، كان المنصب الذي يشغله أكثر نفوذاً وتأثيراً، ويجب أن يكون رأي المرء أكبر في الصفات الفكرية والأخلاق التي تجعله يستحق ذلك؛ وبالتالي، يجب أن ترتفع درجة الشرف الممنوحة له والتي تتجلى في الألقاب والأوسمة وغيرها، ويزداد التواضع في سلوك الآخرين تجاهه تدريجياً"¹.

وللمحافظة على هذا النوع من الشرف يقتضي على الفرد أن يدافع على المنصب الذي هو فيه والوظيفة التي يشغلها وذلك بالقيام بمهامه على أكمل وجه من جهة؛ والمتابعة القضائية لكل من يتهمك أو يتناول على شخصه أو وظيفته من جهة أخرى.

ج. **الشرف الجنسي (l'honneur sexuel)**: يقسم شوبنهاور هذا النوع من الشرف إلى جزئين: شرف المرأة وشرف الرجل، وهو شرف مقرون لدى كلى الجنسين بالجسد. كما يولي أهمية أكبر لشرف المرأة، ذلك أن العلاقات الجنسية في حياة المرأة تعتبر من القضايا الرئيسية حسبه.

ويعرف شوبنهاور شرف المرأة بأنه "الرأي العام الذي لم تمنحه الفتاة حولها لأي رجل، والرأي العام الذي لم تمنحه امرأة متزوجة إلا للرجل الذي تزوجها"². بمعنى أن العلاقات الجنسية للمرأة لا تكون إلا مع الرجل الذي يتزوجها وأنها إن أقامت علاقة جنسية خارج أطر الزواج فستجلب لها سخط المجتمع.

¹ Schopenhauer, **Op. Cit**, P91.

² Schopenhauer, **Ibid**, P93.

ويرجع شوبنهاور السبب في ذلك إلى كون شرف المرأة مؤسس على المنفعة¹، فالمرأة تطالب وتنتظر من الرجل أن يمنحها كل شيء (بيت، مأوى، حماية، مأكلاً...)، بالمقابل يطلب الرجل من المرأة إلا شيء واحداً متمثلاً في إشباع رغباته الجنسية. وحتى يتمكن الرجل من نيل هذا الملد، تضع المرأة أمامه شرط الزواج حيث تظهر له بأنها صعبت المنال ما يدفع الرجل لتحقيق كل ما تطلبه منه.

في حين يرى أن شرف الرجل هو تحصيل حاصل لشرف المرأة إذ بمجرد تحقيق الزواج تصبح الزوجة ملكية حصرية للزوج وبالتالي يتوجب عليه أن يثأر لأي خيانة من زوجته حيث يشكل الانفصال أقل ما يمكن فعله.²

د. الشرف الفارسي (*l'honneur chevaleresque*): "الشرف الفارسي يمكن تسميته بشرف القوة"³ هو نوع من الشرف يرى فيه شوبنهاور أنه ظهر في العصور الوسطى في المجتمعات المسيحية وهو نوع يميز المجتمعات القديمة من المجتمعات الحديثة. وهذا النوع من الشرف لم يظهر في أي مجتمع آخر وهو يخص المجتمع الأوروبي في الحقبة الزمنية سالفة الذكر إذ يقول في هذا الصدد: "هناك نوع مختلف تماماً من الشرف عن ذلك السائد بشكل عام وفي كل مكان، والذي لم يكن لدى اليونانيين ولا الرومان أدنى فكرة عنه، ولا الصينيون أو الهندوس أو المحمديون (يقصد المسلمون نسبة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم) حتى اليوم. في الواقع، وُلد في العصور الوسطى ولم يتأقلم إلا في أوروبا المسيحية؛ حتى هنا لم يخترق سوى جزء ضئيل من السكان، أي بين الطبقات العليا في المجتمع وبين منافسيهم"⁴. وهو بحسبه يختلف تماماً عن كل أنواع الشرف الأخرى، كون هذه الأخيرة تمثل "الرجل الشريف" في حين أن هذا النوع من الشرف يمثل "رجل الشرف". حيث يتركب هذا النوع من الشرف من ستة (06) مبادئ⁵:

¹ Schopenhauer, *Ibid*, P95.

² Schopenhauer, *Ibid*, P97.

³ Schopenhauer, *Op. Cit*, P107.

⁴ Schopenhauer, *Ibid*, P98.

⁵ Schopenhauer, *Ibid*, 99-107.

- أ. الشرف لا يتمثل في نظرة الآخرين حول الاستحقاق، وإنما في تجليات هذا النظرة فقط، أي في الرأي الذي يبذونه. فلا يهم ما إذا كان هذا الرأي يعبر عن حقيقة أم لا، ولا يهم ما إذا كان مؤسسا أم لا؛ ذلك أن الأهم هو ألا يعبر عنه جهرا. بمعنى أن الشرف يتضرر بالأقوال ولو كانت كذبا، ولا على التصورات ولو كانت حقيقية.
- ب. شرف الرجل لا يتوقف على ما يفعله، بل على ما نفعه له، وعلى ما يقع له. فقد يحدث أن نتهم على رجل فيفقد شرفه، والسبيل الوحيد لإعادة الشرف هو اللجوء إلى العنف.
- ج. الشرف لا يهتم بما يمكن أن يكون عليه الإنسان في حد ذاته وبذاته، ولا بمسألة ما إذا كانت الحالة الأخلاقية للفرد لا يمكن تغييرها في يوم من الأيام. فإذا تضرر شرف الفرد يمكن إعادته والنهج الوحيد الذي من خلال يُسترجع الشرف هو المبارزة.
- د. إذا كان الشتم يشكل وصمة عار على متلقيها، فهو -الشتم- في ذاته يعتبر شرف. إذ أن الشتم يشكل مظهرا للهيمنة والتفوق، ذلك أنه يتم من خلال عملية الاحتقار التي تفقد الطرف الآخر -المشتوم- شرفه. وفي نظر الشاتم فإنه لا يمكن استرجاع الشرف من خلال الملكات الفكرية والعقلية وإنما باللجوء إلى حد السيف والبندقية.
- هـ. محكمة العدل العليا، المحكمة التي أمامها، في جميع النزاعات المتعلقة بالشرف، يمكن للمرء أن يلجأ على غرار باقي المؤسسة الأخرى، باعتبارها القوة الجسدية التي تتدخل في حال عدم كفاءة الصراعات الفكرية والحقوق الأخلاقية. فهي التي تحول الصراع إلى مبارزة، مع نزع كل أنواع الأسلحة، على أساسها تنطق بالحكم بتحديد الغالب والمغلوب.
- و. أخير يرى شوبنهاور أن كلمة الشرف، هو آخر مبدأ يُكوّن هذا النوع من الشرف. وكلمة الشرف هي الوعد الذي يقطع الفرد على نفسه وأمام غيره بقوله "أتعهد بالشرف" (Sur l'honneur) والذي يجب أن يلتزم به. وفي حال عدم التقيد بكلمة الشرف يتحول الوعد إلى دين أسماه شوبنهاور "دين الشرف".

2-أنواع الشرف عند جوليان بيت ريفرز:

يميز بيت ريفرز بين نوعين من الشرف: الفردي والجماعي. والأول يتمثل في قيمة في ذاته وقيمة هذه القيمة لدى الآخرين أي أنه سلوك الفرد وفقا للمعايير الاجتماعية، أما الشرف الجماعي فهو قيمة الجماعة ككل في ذاتها وفي محيطها، يقول في هذا الصدد: "المجموعات الاجتماعية تمتلك لشرف جماعي والذي يشترك فيه أفرادها، بحيث السلوك المشين للفرد ينعكس على شرف الكل، وبالمثل، كل فرد يستفيد من شرف المجموعة"¹ ويضيف "كل مجموعة اجتماعية لها شرفها، مهما كان حجمها، من الأسرة النووية، التي يكون رأبها المسؤول على أفرادها، حتى الأمة، والتي يكون شرف أفرادها مقرون بالوفاء للحاكم أو الوطن"²

وللقائد الذي يترأس الجماعة في تصور بيت ريفرز رمزية خاصة كونه يجسد شرف الأفراد الذين يرأسهم "أكان رب أسرة أو رئيس دولة، فهو دائما شخص فريد يرمز للمجموعة وفيه يتجسد شرف الجماعة"³

هكذا فالشرف لدى جوليان بيت ريفرز جاء مصنف بحسب المستوى الواقع بين ثنائية الجزء والكل، بمعنى أن الشرف يكون كليا بإقرار الجماعة لامتلاء الفرد لهذه القيمة، وهذا الأخير -أي الفرد- يشكل الجزء الذي يكمل الكل، باعتباره المجدد للفعل المشرف من خلال اتباعه لسلوك الوجع انتهاجه.

3-أنواع الشرف عند فرانك هندرسون ستياوات:

ميز فرانك هندرسون ستياوات بين نوعين من الشرف: الأفقي والعمودي. أما الشرف الأفقي، ويشكل الشرف الشخصي واحد من مظاهره، فهو الاحترام المتبادل، إذ يقول "تم وصف الشرف الشخصي في الأصل تقريبا على أنه حق الاحترام. يمكن أن نضيف الآن إلى هذا، أن الاحترام المعني هو من النوع الذي يكون بالمساواة... سأشير إلى أي حق لهذا النوع من الاحترام على أنه الشرف الأفقي."⁴ أي شرف يتساوى فيه الأفراد من حيث

¹ Julian Pitt-Rivers, Op.Cit, P.37.

² Julian Pitt-Rivers, Op. Cit, P.37.

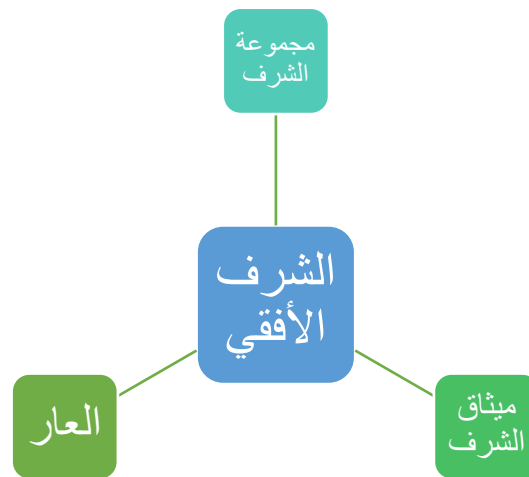
³ Julian Pitt-Rivers, Op. Cit, P.37.

⁴ Stewart, Op. Cit, P54.

الاكتساب، إذ يتحقق بمجرد تمكن الفرد من تحقيق مجموعة المعايير التي تحددها الجماعة التي ينتمي إليها.

ويرتكز هذا النوع من الشرف، أي الشرف الأفقي، حسب فرانك ستوارت على ثلاثة عناصر أساسية: ميثاق الشرف، مجموعة الشرف والعار.

أما ميثاق الشرف فعرفه ستوارت على أنه "مجموعة من المعايير التي تم اختيارها باعتبارها ذات أهمية خاصة، والتي تقيس قيمة الفرد على طول بعض الأبعاد الهامة"¹ أي أنه المدونة التي تحدد معايير تقييم الفرد، قد تكون مكتوبة وقد تكون شفوية، ويشترط فيها قواعد تُفقّد الفرد شرفه في حال مخالفتها، يقول ستوارت "فإذا كانت عقوبة مخالفة القواعد ليست خسارة الشرف، فإن القواعد لا تشكل ميثاق شرف"². ومجموعة الشرف هي: "مجموعة من الأشخاص الذين يتبعون نفس ميثاق الشرف والذين يعترفون ببعضهم البعض على أنهم يفعلون ذلك"³ أي أنهم الأفراد الذين يتشاركون في نفس ميثاق الشرف ويتبعونه. أما العار فهو الخزي الذي يلحق بالفرد في حال عدم امتثاله وتحقيقه لبنود ميثاق الشرف حيث يقول ستوارت: "وعضو مجموعة الشرف الذي يفشل في تلبية هذه المعايير لا يُنظر إليه على أنه أدنى مرتبة فحسب، بل يُنظر إليه أيضًا على أنه حقير في كثير من الأحيان"⁴



شكل 2 مكونات الشرف الأفقي عند هاندرسون ستوارت - إعداد الباحث

¹ Stewart, **Op. Cit**, P55.

² Stewart, **Ibid**, P54.

³ Stewart, **Ibid**, P52.

⁴ Stewart, **Ibid**, P55.

أما الشرف العمودي فهو نوع لا يرتبط بالاحترام المتبادل وإنما يتعلق بالتقدير والثناء والاعجاب، فهو احترام خاص يكتسبه المجتمع لأفراد تمكنوا من التفوق في تحقيق ميثاق الشرف من خلال أعمال فردية قدموها للمجتمع.

ومن أنواع الشرف العمودي البارزة نجد الشرف المرتبط بالمكانة (Rank Honor) وهو "الشرف الذي يتمتع به أفراد المكانة العليا في علاقتهم مع أفراد المكانة الدنيا"¹. نجد كذلك الشرف التنافسي (Competitive Honor) كنوع ينطوي ضمن أنواع الشرف العمودي وهو "الشرف الذي يتمتع به أولئك الذين أظهروا أنفسهم متفوقين كأفراد"².

نلاحظ من خلال ما تقدم أن فرانك هاندرسون ستيواتر جاء بتقسيم يأخذ فيه البعد

الاجتماعي للشرف بحيث يكون الشرف قيمة مشتركة بين الأفراد عندما يتشاركون في ميثاق الشرف الذي يحدد السلوك المباح والمخزي وهو الشرف العام أو كما أسماه بالشرف الأفقي. في حين يكون الشرف قيمة شخصية يختص بها الفرد عن سواه من بني مجتمعه عندما يصنع الإنسان في وسطه الاجتماعي فعلا منفردا يستحق الثناء والتوقير ما يجعله متميزا عن باقي الأفراد. وهذا النوع من الشرف هو شرف خاص، كان متواجدا منذ الأزل، إلا أن ملامحه زادت ظهورا خلال القرنين التاسع عشر والقرن العشرين أين تميزت المجتمعات البشرية بانتشار ظاهرة الفردانية.

رابعاً: وظائف الشرف

قبل الخوض في الحديث عن وظائف الشرف، وجب التطرق إلى الحديث عن معنى وظيفة الظاهرة الاجتماعية. وهنا نميز بين مستويين لهذه الأخيرة. حيث وفي هذا الإطار، كان "روبار ميرتون" سابقاً في تمييزه بين الوظيفة الظاهرة (Fonction explicite) والوظيفة الكامنة (Fonction latente): أما الأولى فترتبط بالغايات المستهدفة والمجسدة في وعي الفاعلين الذين يدركونها بمجرد انخراطهم في الوسط والنشاط الاجتماعي، ومن خلال ممارستهم للوظيفة ذاتها، يسعون إلى تحقيقها. في حين، الوظيفة الثانية تتحقق من فعلهم

¹ Stewart, *Ibid*, P59.

² *Ibidem*.

اللاواعي وغير المقصود، أي أن الظاهرة الاجتماعية تؤثر في الأفراد بطريقة لا شعورية ذلك أنهم لا يعيرونها اهتماما فعليا¹. وما يهمننا هنا في ظاهرة الشرف هي وظائفها الكامنة أي تلك التي تتحقق في حياة الأفراد دون وعي منهم. فالشرف باعتباره قيمة اجتماعية يتفاعل من خلاله الأفراد من دون إدراك لهذا القيمة، ما يترتب عليه جملة من الوظائف التي يؤديها نتيجة ذلك التفاعل، ويحدث هذا على ثلاثة مستويات أساسية: سيكولوجية، اجتماعية وثقافية.

1- الوظائف السيكولوجية:

أ. **وظيفة سلوكية:** فالشرف كما سبق وان ذكرنا أنه نظام قيمى له خصائصه وآلياته. وهذه الأخير تعمل أساسا على توجيه سلوك الفرد داخل الجماعة. فحتى يتم قبول فرد معين داخل طبقة اجتماعية أو حقل اجتماعي معين، يتوجب عليه أولا تحقيق بنود الشرف، ومن هنا يبدأ الفرد بتوجيه سلوكه وفق نظام الشرف. يقول في هذا الصدد الباحث الفرنسي لوران فيدي (Laurent Fedi) في مقال نشره في المجلة الفلسفية Le Philosophoire: "حيثما يوجد ميثاق الشرف، يعرف كل فرد ما هو متوقع منه في ظروف معينة، ويعرف أنه لا يمكنه الخروج عن القواعد دون التعرض لازدراء الآخرين. سيعدل نشاطه إذن بناءً على هذه المعطيات -أي بنود ميثاق الشرف-"².

ب. **وظيفة تحفيزية:** يرى علماء النفس وعلى رأسهم أبرهام ماسلو (Abraham Maslow) أن أساس السلوك البشري يجد معناه في الحاجيات (Les besoins)، ذلك أن هذه الأخيرة هي الدافع لأي نشاط يقوم به الإنسان بصفة عامة. وعلى اعتبار أن "القيم هي أهداف واسعة للغاية يتم تنظيم مختلف الهياكل السلوكية حولها"³ فإن الشرف باعتباره حاجة غريزية مرتبطة بتقدير الذات وقيمة اجتماعية قائمة على ثنائية الفخر والعار، فهو يعمل على تحفيز الفرد من خلال إتمامه للشروط الواجب اتباعها لنيل

¹ Merton, Robert King (1965) : **Eléments de méthode sociologique**, Plon, Paris, P167.

² Laurent Fedi (2016) : **L'honneur est-il sauf : Réflexions sur un concept à l'abandon**. Le Philosophoire, 46, France, P.P 107-121.

³ Morchain Pascal (2009) : **Psychologie sociale des valeurs**, Dunod, Paris, P30.

رضى الجماعة وتحقيق مكانته الاجتماعية. وبالتالي تصبح الشروط، الممثلة في ميثاق الشرف، الحافز الاساسي الذي يحرك نشاط الفرد للظفر بالتكريم والتشجيع الاجتماعيين باعتبارهم الهدف المتوخى لتغذية حاجته المتمثلة في تحقيق التقدير من جهة وتفادي وصمة العار من جهة أخرى.

ج. وظيفة إدراكية: فالفرد ومن خلال الضوابط العامة المحددة في ميثاق الشرف، يدرج تفكيره ومنطقه بها واليها، حيث تصبح الأحكام التي يسقطها على الأشياء مرتبطة اساسا بالقواعد العامة للشرف. فنجد مفهومي الخير والشر على سبيل المثال يصبحان خاضعان لمنطق الشرف، ذلك أن ميثاق الشرف، مكتوبا كان أم شفويا، يحتوي على جملة من المعايير التي تحدد ما هو خير وما هو شر. وهو ما تؤكد النظريات الإدراكية (Les Théories Cognitives) للقيم الاجتماعية، حيث يرى تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) وإيدوارد شيلز (Edward Shils) أن لكل ثقافة معايير لتصنيف القيم (Value Standards) التي تعمل كمصفوفات تصنيف يتم ترسيخها لدى كل فرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. تؤدي هذه المصفوفات ثلاث وظائف. إنها تجعل من الممكن تصنيف العناصر الثقافية وفقاً، على سبيل المثال، ما هو صحيح وخاطئ (المعايير المعرفية)، جميل أو قبيح، لطيف أو غير سار (معايير التقدير) أو جيدة أو سيئة (المعايير الأخلاقية). في الحالة الأخيرة، يعتمد هذا الترتيب الأخلاقي على المصفوفات التي تصنف الأشياء وفقاً للاعتقاد القائم حول احتمال حصولهم على الموافقة الأخلاقية، مثل "إنه جيد"، "شر"، "فاضل"، "خطيئة" وهلم جرا¹

ولتوضيح هذا الجانب من الوظائف السيكولوجية للشرف لعنا نستدل هنا بالتصور الاجتماعي للعدوية لدى المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية. فبالرغم من كون البكارة غشاء شفاف واقع في فرج المرأة والذي يتمزق في أول اتصال جنسي، إلا أن مفهومه يأخذ معناه في التصور الاجتماعي له من خلال جملة من الممارسات الاجتماعية، إذ يتوجب على المرأة حتى تكون شريفة أن تحافظ على عذريتها حتى الزواج وألا تمارس أي علاقة

¹ Raymon Massé (2015) : *Anthropologie de la morale et de l'éthique*, PUL, Canada, P71.

جنسية خارج أطر الزواج. فالعذرية شرط أساسي في تكوين شرف المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية. ونجد أفراد المجتمع يتفاعلون من خلال هذا التصور إذ التعدي على هذه القاعدة يشكل وصمة عار على المرأة وأسررتها أو قبيلتها، ما يدفع بأفراد المجتمع للتصرف بطرق مختلفة لاسترداد شرفهم.

من هنا نرى كيف للشرف أن يجعل أفراد المجتمع يدركون الأشياء ويتفاعلون من خلاله. إذ، في المثال الذي تقدم، تأتي ردة فعل أفراد المجتمع نتيجة إدراكهم بالآثار التي يخلفها الفعل المرتكب، متمثلة أساساً في وصمة العار التي تلحق بهم وبسمعتهم. وتحافظ المرأة على عذريتها لإدراكها بالقيمة الاجتماعية لهذا السلوك وما يترتب عليه في حال فقدانها. نستخلص بالتالي الوظيفة الإدراكية للشرف، إذ أنه يرسم معانٍ للأشياء التي تحيط بالفرد والتي يدركها هذا الأخير ويتفاعل من خلالها.

2- الوظائف الاجتماعية:

يمكن تحديد أربع وظائف اجتماعية أساسية للشرف وتتمثل في:

أ. **وظيفة التنظيمية:** حيث يقوم الشرف بتحديد أدوار ونشاطات الأفراد داخل الجماعة. وفي حال عدم امتثال الأفراد لقواعد الشرف يتم استبعادهم من الجماعة¹. ذلك أن الغاية من الشرف هي المحافظة على النظام الاجتماعي، حيث يذكر لوران فيدي: "الشرف والعار دافعان، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، يحددان على الفرد أن يتصرف، بغير قصد، في الاتجاه الأكثر ملاءمة للحفاظ على النظام الاجتماعي"².

فمن خلال السلوك الشريف التي ينتهجه كل فرد في بيئته الاجتماعية تنتظم العلاقات الاجتماعية التي تعمل بدورها على تكريس مبدأ الحفاظ على النظام الاجتماعي ومن ثمة تحقيق البقاء والوجود الكلي للجماعة.

ب. **وظيفة ضبطية:** إذا كان الضبط الاجتماعي هو عملية تعتمد على المجتمعات من خلال جملة الوسائل التي بحوزتها قصد تجنيب أفرادها من الانحراف الاجتماعي

¹ Paul Claval (2012) : Géographie Culturelle une nouvelle approche de la société et des milieux, Armand Colin, Paris, P93.

² Fedi, Ibid, P.P 107-121.

والمحافظة على استقرار المجتمع وتماسكه¹، فإن الشرف كقيمة اجتماعية يعمل على هذا النحو؛ حيث يحدد للأفراد السلوكيات الواجب انتهاجها من خلال الممنوع والمرغوب فيه. الأمر الذي يجعل من الشرف عامل ضبطي للسلوك البشري، تقول في هذا الصدد الباحثة ديلماك جولي أليف في دراسة أجرتها حول الشرف وعلاقته بالوقاية من الانحراف: "المبادئ التي ينادي بها الشرف، مثل الصدق والثبات وضبط النفس، تسمح للأفراد بأن يستثمروا في الواجب: هذا الواجب يتمثل في تكريس النظام الاجتماعي. فالشرف يستجيب إلى إقامة مجتمع خيالي ومثالي، حيث يتم فيه إبعاد كل انحراف"².

ج. وظيفة اتصالية: ذكرنا في تعريفنا للشرف أن وصمة العار تفقد الفرد شرفه. وبمجرد فقدان الإنسان لشرفه يصبح منبوذاً في المجتمع، ما يجعله بمعزل عن بقية الأفراد، الأمر الذي يعرقل عملية الاتصال بينه وبين أفراد جماعة الشرف التي كان ينتمي إليها.

فالاتصال عملية محورية وحيوية في الحياة الاجتماعية وكذا بين أفراد جماعة الشرف. ذلك أنه يسمح للفرد، كلما زاد شرفه زادت فرصه للدخول في اتصال مع الأفراد المشكلون لجماعة الشرف. والعكس، كلما تدنى شرفه كلما كان اتصاله مع أفراد جماعة الشرف أقل، الأمر الذي يغير من دور الفرد ونشاطاته وكذا طريقة اتصاله في المجتمع. فالمجتمعات البشرية كما يرى بول كلافال (Paul Claval) "تضع أنظمة تدلهم مع من يجب إقامة علاقات، تحت أي شكل، ولأي نوع من المبادلات"³.

من هنا فالشرف هو واحد من هذه الأنظمة التي تقود الفرد في تشكيل علاقاته وتحديد إطارها، ذلك أنه قيمة معبئة بالمفاهيم والدلالات التي يجب على الفرد أن يدركها حتى يتسنى له التواصل بها في وسطه الاجتماعي. وتظهر هذه الوظيفة للشرف وتبرز أساساً في المجتمعات الطبقيّة التي يكون فيها الشرف قيمة يتمتع بها أفراد الطبقة العليا عن سواهم

¹ غسان خالد (2015): *الهابيتوس العربي قراءة سوسيو معرفية في القيم والمفاهيم*، منتدى المعارف، بيروت، ص 92.

² Julie Alev, Dilmaç (2014) : *L'honneur : principe de prévention de la déviance ?* , Déviance et Société, vol. 38, no. 3, pp. 339-360.

³ Claval Paul, *Ibid*, P149.

حيث يتواصلون مع فيما بينهم وفق نظام مفاهيمي خاص، ولعل طبقة النبلاء في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى خير مثال على ذلك.

د. **وظيفة بنائية:** يعد مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهيم المحورية في الفكر السوسيولوجي والأنثروبولوجي، وقد قدم الباحث البريطاني في علم الأناسة راد كليف براون (Radcliffe Brown) في أربعينيات القرن العشرين واحد من أبرز التعاريف لهذا المصطلح والذي شكل نقطة تحول كبيرة في استخداماته في الأوساط العلمية الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، إذ يرى بأن كلمة بناء تشير إلى وجود نوع من التنسيق أو التركيب بين الأجزاء التي تدخل في تكوين الكل الذي نسميه البناء¹. ويتضمن البناء الاجتماعي المؤسسات الاجتماعية والأدوار البنوية بحيث ترتبط هذه الأخيرة فيما بينها من خلال الحقوق والواجبات، أخذا بعين الاعتبار النظام القيمي الذي يحدد طبيعة الواجبات والحقوق².

من هنا نجد أن المجتمعات التي يحكمها نظام الشرف، باعتباره قيمة اجتماعية قائمة على الواجب والحق في الاحترام، تتهيكل وفق ما تقتضيه هذه القيمة وذلك من خلال تقسيم المجتمع بحسب درجة الشرف التي يستحقها كل فرد وجماعة. إذ يؤكد في هذا الصدد كارميل كاسار³ في كتابه الشرف والعار في الفضاء المتوسطي: "أن الشرف يساهم أولاً في التقسيم الطبقي للجماعات المختلفة للمجتمع، حتى لو كان هذا التقسيم مرناً وحتى لو كان نظام التصنيف المعمول به غامضاً تماماً"⁴. وتضيف الباحثتان جيلار وكلودو هاوار "يُمْكِن الشرف من رسم حدود الفئات الاجتماعية وتعيين أدوارهم ووظائفهم داخل المجتمع. إنها وسيلة للهيكلة والتسلسل الهرمي الاجتماعي"⁵.

¹ عهود جبار عبيره (2014): **الضبط الاجتماعي وبناء المجتمع**، مجلة كلية التربية للبنات، العدد الأول، المجلد 25، جامعة بغداد، العراق، ص 147.

² عهود جبار عبيره، **نفس المرجع**، ص 147.

³ كارميل كاسار (Carmel Cassar) أستاذ محاضر بجامعة مالطا، له العديد من الكتابات حول التاريخ الثقافي للقيم الاجتماعية.

⁴ Carmel Cassar, **Op.Cit**, P12

⁵ Marie Luce Gélard et Hélène Claudot-Hawad (2000) : **Honneur**, Encyclopédie berbère [En ligne], 23, document H57, mis en ligne le 01 juin 2011, <https://urlz.fr/jkqw> : consulté le 28/09/2021.

فالشرف إذن وظيفة محورية في البناء الاجتماعي بحيث يعمل على مستويين، الأول يكمن في تقسيم أفراد المجتمع إلى فئات أو طبقات اجتماعية لها معالمها السوسيو-ثقافية والمستوى الثاني يكون بتحديد الوظائف والأدوار التي يؤديها كل فرد داخل الفئة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

3- الوظائف الثقافية:

أ. وظيفة نسجية (Tissage): إذ أن الشرف يعمل من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم وفق المفاهيم الثقافية السائدة على رسم النسيج الثقافي للمجتمع، وذلك من خلال الربط بين مختلف العناصر الثقافية النازمة للمجتمع. فعلى سبيل المثال وليس الحصر، نجد الشرف في المجتمعات الغربية عموماً مقروناً بخاصية العمل، إذ "يعتبر الفشل المهني أو الشخصي، والفقر (عدم القدرة على استهلاك السلع والخدمات التي يقدمها المجتمع الاستهلاكي) أو فقدان الاستقلالية المرتبطة بالشيخوخة مصادر للعار"¹، باعتبار أن القيمة الاجتماعية للفرد في المجتمعات الغربية تتحدد وفق ما يملكه وما يجنه من ثروات عبر نشاطه الاقتصادي الذي يحقق له الرقي والمكانة الاجتماعية المرموقة، ما يجعل النسيج الثقافي الغربي من هذه الزاوية متشكلاً عبر الخصائص المهنية بالدرجة الأولى. وبالتالي فإن الشرف يجد مفاهيمه ودلالاته الثقافية عبر جملة المفاهيم السوسيو-اقتصادية النازمة للمجتمعات الغربية.

ب. وظيفة دلالية: تقول ناتالي إينيك (Nathalie Heinich) أن "ما يراه البعض، في سياق معين، كخصلة (أي خاصية ذات قيمة) يمكن أن تصبح خاصية، في نظر الآخرين أو من نفس الأشخاص في سياق آخر، عيباً - والعكس"². من هنا فالشرف يفهم ويفسر في إطار السياق الثقافي الذي يتواجد بداخله، إذ أن الثقافة المحلية الحاضرة للشرف هي التي تغديه بالرموز والدلالات الحاملة في طياتها المعاني الجوهرية لقيمة الشرف.

¹ Massé, Ibid, P78.

² Nathalie Heinich (2017) : **Des valeurs : une approche sociologique**, Gaillmard, Paris, P215.

فنظام الشرف يعطي دلالة معينة للممارسات الثقافية والاجتماعية، تلك الدلالة قد لا يكون لها معنى في مجتمعات لها ميثاق شرف يختلف عن مجتمعات الأخرى. فدلالة العذرية عند المرأة المسلمة في المجتمعات المسلمة تختلف عنها في المجتمعات الغربية. ذلك أن المرأة المسلمة تبقى تحتفظ بعذريتها إلى أن تتزوج، في حين نجد في المجتمعات الغربية أن الفتاة تفقد عذريتها قبل الدخول إلى الجامعة، وكل هذا يحدث في سياق ثقافي معين يشكل الشرف دلالاته الأساسية.

خامسا: الشرف في علاقات مفاهيمية أخرى

1- الفن والشرف

قد يظهر للقارئ من الوهلة الأولى أن العلاقة بين الفن والشرف ضرب من الخيال ذلك أن الفن يدخل في إطار مجالاتي غير الذي يندرج فيه الشرف، فالفن يتمخض في دائرة الإبداع والقيم الجمالية في حين الشرف يندرج ضمن إطار القيم الاجتماعية. إلا أنه بنقل مفهوم الفن إلى المجال السوسيولوجي والأنثروبولوجي إلا وتبرز لنا العديد من الخصائص التي تظهر العلاقة الكامنة بينه وبين الشرف.

ترجع البدايات الأولى للفن أساسا مع ظهور الجنس البشري على وجه المعمورة "إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان"¹. وتشير كلمة فن، التي تقابلها باللغة اليونانية القديمة كلمة *τέχνη* (Technè) إلى المهارة والحدق في التقنية أو الأعمال اليدوية، ونفس المعنى نجده في كلمة *Art* التي تشير أيضا إلى المهارة في الصنعة والحكمة والحيلة والخبرة². وهذا المعنى للمفردة المتمثل في المهارة وأعلى درجات الإتقان والصنعة كان لدى الإغريق وظل حتى العهد الروماني³. أما في اللغة العربية فنجد المعنى متقارب ولو أن المعجم الوسيط⁴ ميز بين شكلين للفظه الفنّ والفنّ، والأولى بفتح الفاء، فهي تشير إلى التطبيق العملي للنظريات العلمية وجملة القواعد الخاص بحرفة أو صناعة، وجملة الوسائل التي

¹ فيشر ارنيسيت (1971): ضرورة الفن، ترجمة أسعد حلیم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص21.

² علي رضا (2004): تاريخ الفن في العالم القديم، دار شركة الحريري، الطبعة الثانية، القاهرة، ص20.

³ إبراهيم السعدني (2003): محاضرات في تاريخ الفن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص11.

⁴ مجموعة من الباحثين (2004): المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ص703.

يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف بخاصة في علم الجمال إضافة لكونها مهارة يحكمها الذوق والمواهب. في حين اللفظة الثانية بكسر الفاء فهي تعني حسن تحصيل العلوم والقيام بها.

أما في التصورات السوسيولوجية فالفن ما هو إلا ظاهرة اجتماعية تبلورت في سيرونة تاريخية من خلال النقل عن الأسلاف لتأخذ الشكل الذي هي عليه اليوم. إذ نجد أن الفن ارتبط ببعض النشاطات المهنية والممارسات الثقافية حتى يتمكن الإنسان من التحكم في الطبيعة كما يرى في هذا الشأن سيدني فنكلشتين (Sidney Finkelstein) في مؤلفه "الواقعية في الفن" أنه -الفن- ظهر في الحياة المشاعية بشكلين: مادي نفعي وهو الشكل الأول ويتمثل في صناعة المعدات والأسلحة وما إلى غير ذلك من الأدوات اليومية، أما الشكل الثاني فهو معنوي يظهر في الطقوس الثقافية كالعقائد السحرية والتي كانت في محاولة لسيطرة الإنسان على الطبيعة¹.

ويرى السوسيولوجي الفرنسي الشهير إيميل دوركايم من زاوية نظره على أن الفن ظاهرة اجتماعية، معتبرا في ذات السياق أنه انتاج نسبي يخضع للظروف الزمكانية وهو عمل له أصول خاصة به، وله مدارسه، ولا يبني على مخاطر العبقرية الفردية، بل اجتماعي أيضا من ناحية أنه يتطلب جمهورا يعجب به ويقدره.² فالفن إذا، تعبير وإبداع فردي منبثق من ظروف اجتماعية تجعل أن يكون العمل الفني معبر من جهة عن الفنان وذوقه الجمالي ومن جهة أخرى عن الظروف الاجتماعية المنبثق منها العمل الفني والمعبر عنها بأسلوب معين. وهذا الأخير -أي الأسلوب- هو بتعبير عبد المعطي محمد "التعبير العام في الفن عن عصر وعن مرحلة اجتماعية"³ ويضيف "إذا درسنا مسألة الأسلوب، لوجدنا أن هناك مجموعة من الأشكال والمفاهيم والاتجاهات قبلها الفنانون على اختلاف اتجاهاتهم وعلى اختلاف مشاريعهم، واعتبروها قانون ارتضوا الخضوع له باختيارهم"⁴

¹ سيدني فنكلشتين (1981): الواقعية في الفن، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص ص 19-20.

² علي عبد المعطي محمد (د.ت): فلسفة الفن رؤية جديدة، دار النهضة العربية، بيروت، ص 71.

³ علي عبد المعطي محمد، نفس المرجع، ص 80.

⁴ علي عبد المعطي محمد، نفس المرجع، ص 80.

ولأن الفن يصدر عن القيم ويدعمها كما يرى في هذا الشأن صالح قنصوه¹، فالعلاقة بين الشرف والفن تبرز أساساً في كون الفن نتاج ثقافي رافد من روافد العناصر الثقافية المعبرة عن واقع أو جملة من الوقائع الاجتماعية بمختلف أبعادها السياسية، الاجتماعية، الدينية... الخ. من هنا فالشرف باعتباره قيمة اجتماعية من شأنها أن تتبلور في الأعمال الفنية على غرار الفنون التشكيلية، المسرح، السينما أو الشعر بخاصة في المجتمعات العربية الإسلامية المعلوم عنها أنها تعتمد الشعر في خطاباتها اليومية خاصة في فترة الجاهلية. فالفنان "لا يبدع آثاره بمعزل عن غيره وعن عصره، بل يتصل بهما عن طريق ما يتخذه من موقف من المستويات الجمالية السائدة سواء بالتسليم بها أو التمرد عليها، وعن طريق ما يدين به من رأي إزاء قضايا مجتمعه وعصره"²

2- القانون والشرف

"يقصد بالقانون مجموعة القواعد التي تطبق على الأشخاص في علاقاتهم الاجتماعية ويفرض عليهم احترامها ومراعاتها في سلوكهم بغية تحقيق النظام في المجتمع"³ فالقانون عبارة عن جملة من القواعد التنظيمية النازمة للحياة الاجتماعية من خلال ضبط سلوك الأفراد بهدف القضاء على الفوضى والوصول إلى تنظيم للمجتمع. والقانون على هذا النحو هو، كما أوضح الفيلسوف البريطاني هيربرت هارت (Herbert Hart) في مؤلفه *The Concept Of Law*، عبارة عن اتحاد بين مجموعتين كبيرتين من القواعد القانونية: القواعد الأساسية وهي قواعد سلوكية تعمل على تحديد السلوكيات الواجب اتباعها في أي تنظيم اجتماعي وقواعد ثانوية وهي قواعد مفاهيمية للقواعد الأساسية وعن كيفية تطبيقها وتغييرها وما إلى ذلك.⁴

وعلى هذا النحو تبرز لنا أولى العلاقات الكامنة بين الشرف والقانون في كون الإثنين ضابطان للسلوك البشري، إذ من وظائف القانون ضبط السلوك البشري يقول حسين

¹ صلاح قنصوه (2010): *نظرية القيم في الفكر المعاصر*، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 221.

² صلاح قنصوه، *نفس المرجع*، ص 220.

³ هشام القاسم: *المدخل إلى علم القانون*، جامعة دمشق، 2003-2004، ص 6.

⁴ Herbert Hart (2005) : *Le Concept de Droit*, Trad. Michel Van De Kerchove, Presses de l'Université Saint-Louis, 2e édition, PP 99-118.

منصور: "يقوم القانون بتنظيم سلوك الأفراد في الجماعة، فالقاعدة القانونية قاعدة سلوكية"¹ أي أن القانون من جهة يهتم بما هو ظاهر ومحسوس ومن جهة أخرى يعدل سلوك الإنسان، وهي نفس الوظيفة التي يؤديها الشرف كما وضحنا سابقا في الوظائف السيكلوجية لهذه القيمة.

ثم أنه من الخصائص المشتركة بين الشرف والقانون، نجد أن هذا الأخير يفرض السلوك الواجب انتهاجه وفق قيم ومثل عليا ذلك أن القواعد القانونية "تتصب على سلوك الإنسان وتبين ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك فهي تخاطب الإرادة بهدف تكليفها بالسلوك الواجب اتباعه"² وعلى اعتبار أن الشرف قيمة عليا يطمح الفرد والمجتمع لتحقيقها فهي تتقاطع مع القانون في كونهما يصبوان للوصول إلى هذا المبتغى.

إضافة إلى ما تقدم فالقانون يعمل على تحديد الحقوق وتبيان مداها وكيفية اكتسابها وفقدانها³ وهي خاصية نجدها كذلك في قيمة الشرف إذ أنه يمكن الفرد من إدراك حقوقه وواجباته في البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

لكن هل هذا يقودنا للإقرار أن القانون والشرف مترادفتان؟ أكيد لا، ذلك أن القانون يعمل على حماية القيم في حين الشرف لا يحمي القانون، وهنا تظهر ربما نقطة الاختلاف بين القانون والشرف. فالأول أوسع من الثاني بل يشمل في حين يشكل الشرف إلا جزئية ضمن منظومة قواعد ومؤسسات. ثم أن القانون كميثاق هو سمة من سمات المجتمعات الحديثة والمتقدمة فهو "يلزم وجود مجتمع سياسي منظم يفترض وجود سلطة عليا ذات سيادة، تعمل على فرض القانون واحترام تطبيقه حتى يسود الأمن والاستقرار"⁴ في حين الشرف كمجموعة قواعد إن صح التعبير أو كميثاق بتعبير فرانك ستيوارت فهو ميزة تختص المجتمعات التقليدية والشفوية على وجه الخصوص.

¹ منصور محسن حسين (2010): المدخل إلى دراسة القانون: القاعدة القانونية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ص13.

² منصور محسن حسين، نفس مرجع، ص14.

³ عاشور محمد (2018): مدخل إلى علم القانون، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، ص4.

⁴ منصور محسن حسين (2010): المدخل إلى دراسة القانون: القاعدة القانونية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ص15.

إن القانون ليس الضابط الوحيد لسلوك البشر والمنظم للحياة الاجتماعية بل تمت قواعد أخرى أو عناصر ثقافية لها نفس الوظيفة الاجتماعية والشرف واحدة منها، وهو ما يذهب إليه منصور حسن في قوله: "إن القواعد القانونية ليست وحدها التي تنظم الحياة في المجتمع من خلال ضبط السلوك الإنساني، بل هناك قواعد أخرى أسبق في الوجود، تنظم هذا السلوك"¹

3- الدين والشرف

شكلت الظاهرة الدينية موضوع استقهام العديد من العلماء والباحثين في شتى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كونها موضوعا غامضا يصعب فهمه وتفكيكه لارتباطه بعوامل من العسير ملاحظتها بالعين المجردة. ويرى مؤسس علم الاجتماع الحديث الفرنسي إميل دوركايم (Emil Durkheim) أن "الدين هو نظام موحد من المعتقدات والممارسات المتعلقة بما هو مقدس، أي الأشياء المنفصلة والمحظورة والمعتقدات والممارسات التي توحد في نفس المجتمع الأخلاقي ... كل من يلتزم بها. وأنه - أي الدين - يجب أن يكون شيئاً جماعياً بارزاً"² كما يعرفه الفيلسوف الفرنسي ميشيل ماير (Michel Mayer) في كتابه تعاليم خلقية ودينية، أنه "جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس وفي حق أنفسنا"

ومهما كانت التعاريف التي اقترحتها العلماء فإن الدين له ارتباط بالنظم الاجتماعية والقيمية والتصورات الاعتقادية للأفراد والمجتمعات يقول في هذا الصدد عبد الله الخريجي أن هناك "ارتباط وثيق بين النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الاعتقادي"³ ذلك أن طبيعة الأنظمة الاجتماعية تستلهم أحكامها ونمط بنائها من الأحكام الدينية "فالدين يحدد العلاقة بين أفراد المجتمع ومنظماته وفي ضوء ذلك يتحدد كل نشاط بشري بما فيه مشاعر الأفراد وأخلاقهم وعباداتهم وشعائرهم وتقاليدهم"⁴

¹ منصور محسن حسين، مرجع سابق، ص34.

² Emil Durkheim (1912) : **les formes élémentaires de la vie religieuse**, PUF, Paris, P69.

³ عبد الله الخريجي (1990): **علم الاجتماع الديني**، رامتان جدة، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، ص35.

⁴ عبد الله الخريجي، **نفس المرجع**، ص36.

وعلى هذا النحو فالشرف كنظام اجتماعي قيمى هو يستلهم مبادئه من الدين، بمعنى أن الدين يمكن أن يكون في الكثير من الأحيان عاملاً تستقي منه المجتمعات مبادئها التي تصبح جزء من القيم الناظمة للشرف. إضافة إلى كون الدفاع عن الدين في "مجتمع ديني" هو شرف في حد ذاته. فالعلاقة جد متداخلة بين الدين والشرف كون الأول يساهم في بناء الثاني والثاني يعمل على المحافظة على الأول.

الفصل الثالث: الشرف في سياقات تاريخية واجتماعية مغايرة

تمهيد

أولاً: الشرف في العصور الوسطى الأوروبية: النبلاء والشرف

ثانياً: الشرف عند العرب في العصر الجاهلي

ثالثاً: الشرف في منطقة الريف المغربي من خلال دراسة رايمون جايموس

تمهيد

نتطرق في هذا الفصل من دراستنا لقيمة الشرف في مجتمعات مختلفة، وثقافات مغايرة، وأزمنة تاريخية غير التي نعيشها، وذلك بهدف الوقوف على أهمية هذه القيمة من خلال الدور الذي تؤديه سواء على المستوى الثقافي، الاجتماعي وكذا الاقتصادي. ثم الإنطلاق لدراسة عوامل انتشار هذه القيمة بخاصة في المجتمعات العربية قبل الإسلام، كونها مفصلية الدور في الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

وعلى هذا النحو جاء هذا الفصل مستقصيا ما عرفته ثلاث مجتمعات مختلفة عن تبلور مقاصد الشرف عند المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، والمجتمع العربي في العصر الجاهلي، وللأهمية الكبرى الشرف عند مجتمع الريف المغربي في الثمانينات من القرن العشرين من خلال دراسة رايون جايوس (Raymond Jamous).

أولا: الشرف في العصور الوسطى الأوروبية: النبلاء والشرف

1- النبالة: المفهوم والجدور

تم استخدام مصطلح النبلاء للإشارة إلى الطبقة الاجتماعية الراقية والمرموقة، أين كانوا يمثلون الطبقة العليا في مجتمع عصور الوسطى، إذ كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة وبالعديد من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، " وليس من شك أن البناء الاجتماعي لغرب أوروبا في العصور المظلمة جاء نتيجة لتداخل شعوب قبلية من الجرمان وغير الجرمان، بحيث أن هؤلاء البرابرة حين دخلوا الإمبراطورية الرومانية جلبوا معهم كثيرا من عناصر التنظيم القبلي، ولاسيما فيما يتعلق بتقديس رابطة الدم، وهو تأثر بروح الاستقرار والنظريات الرومانية السائدة في البلاد التي استقروا فيها"¹.

وقد " شمل مفهوم النبالة خلال الحقبة الرومانية والعصور الوسطى ثلاثة مجالات دلالية؛ فقد ارتبط بالقوة حيث يشمل الأفراد الذين يستعملون السلاح للدفاع عن أراضيهم، وكان يعبر عنهم بمصطلح Viri Potentes أي الرجال الأقوياء. في حين المجال الدلالي الثاني تمثل في الوراثة، فكلمة النبالة كانت مرتبطة بمصطلحات تشمل فكرة التميز في الولادة والنسب،

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور (1959): أوروبا في العصور الوسطى: النظم والحضارة، ج2، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، ص 44.

مثل Sanguis وتعني الدم، Strips وتعني الجذور، Genus وتعني الجنس، Majores وتعني الأسلاف. والمجال الدلالي الثالث يتمثل في الشهرة، فكلمة نبالة تشير إلى الأفراد البارزين الذين يتمتعون بالشهرة والهيبة والسلطة الأخلاقية¹.

من هنا فالنبالة مفهوم يبرز تميز فرد أو مجموع بشرية عن سواها من خلال مجموعة من الخصائص متمثلة في القوة، الثروة، والتي تتحدّد في ثروة الأراضي أساسًا، النسب وكذا شغل مسؤوليات عامة ومناصب مرموقة. ويسمى الفرد الذي يحمل هذه الصفاة بالنبيل، بحيث مع مرور الزمن وكثرة عددهم تكونت جماعة بشرية يقبون "بالنبلاء".

والنبلاء شكّلوا واحدة من الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى، والذي كان مشكلا من ثلاث فئات: الإكليروس أو الكهنوت، النبلاء والعامّة، إذ يذكر في هذا الصدد شارل لويسو² (1627-1564 Charle Loyseau) في مؤلفه *Traité des ordres et simples dignité* الذي نشره في عام 1610م: "هذه هي التنظيمات الثلاث أو الوضعيات العامة لفرنسا: الإكليروس والنبلاء والطائفة الثالثة Tiers-Etat - أي العامّة"³. كما كانت لكل فئة وظيفة معينة تؤديها في داخل هذا النسق الاجتماعي، إذ يضيف لويسو في ذات السياق "البعض مكرس بشكل خاص لخدمة الله؛ وآخرون للحفاظ على الدولة بالسلاح؛ الآخريين لرعايته والحفاظ عليه من خلال تمارين السلام"⁴ وهذه الأخير تتمثل في توفير الإطعام واللباس وما إلى ذلك من أعمال يومية روتينية.

هكذا نجد أن الإكليروس (Clergy)، وهم مجموعة من الأفراد القائمون على خدمة الدين المسيحي⁵، أو أصحاب الرتب الكهنوتية المدافعين عن السيادة البابوية، من أساقفة وكهنة وشمامسة... والمعنيين بخدمة شعب الكنيسة إضافة إلى بعض النشاطات الاجتماعية التي يؤدونها كإعانة الفقراء والمرضى. " إذ يشكل الإكليروس أعلى مستوى في البناء الاجتماعي

¹ Eric Mension-Rigau (2019) : **Enquête sur la noblesse : La permanence aristocratique**, Perrin, Paris, PP. 15-79.

² شغل منصب محامي في البرلمان الفرنسي بباريس، ثم مستشار قانوني مثل أبيه، تقلد عدة مناصب لدى القصر الملكي الفرنسي، ثم ملازم أول بالمكتب الرئاسي آنذاك، لديه عدة مؤلفات أهمها الكتاب المشار إليه أعلاه.

³ Charles Loyseau (1610) : **Traité des ordres et simples dignités**, P02. <https://urlz.fr/jVuC>

⁴ Charles Loyseau, **Ibid**, P02.

⁵ بدوي أحمد زكي (1980): **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-فرنسي-عربي**، مكتبة لبنان، بيروت، ص65.

للمجتمع الأوروبي آنذاك، وذلك راجع لعاملين: أولهما كما أشرنا يتمثل في الأعمال التي قام بها رجال الكنيسة خاصة الاجتماعية منها والتي منحتهم شعبية أكبر. والعامل الثاني يكمن في أن الكنيسة، بالإضافة لكونها مؤسسة دينية، كانت المسؤولة عن الجانب السياسي للمجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ذلك أن "رجال الدين أنفسهم كانوا القادة والمدافعون عن العامة"¹.

أما النبلاء فهم أولئك المدافعون عن الدولة؛ فكما ذكر لويسو أنهم حاملو السلاح، وبالتالي فقد آلت إليهم وظيفة الدفاع والتضحية من أجل الدولة.

وأخيرا تأتي طبقة العامة، وهم باقي الأفراد والجماعات المكونة للمجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، إذ نجدهم يتألفون من: التجار، الأطباء، الحرفيين وخاصة الفلاحين. ذلك أن مرحلة العصور الوسطى كانت امتدادا للعصر الزراعي وبالتالي فالناشط الاقتصادي الغالب كان متمثلا في العمل الفلاحي.

وأما النبلاء، فيرى المعجمي الفرنسي أنطوان فورتير (Antoine Furetière) أن النبيل هو: "الجنتمان (Gentilhomme) الذي ترعرع في محيط يعلو على العوام بسبب الميلاد، المهام، أو بامتياز من الأمير والنبلاء"²، ويضيف "النبلاء الحقيقيون يكونون بالعرق، بالدم، بالنسب"³ و "النبلاء الجدد فقد تم منحهم هذه الصفة نظرا لمهامهم، وظائفهم بخاصة العسكرية"⁴ فالطريقة التي يكتسب بها الفرد هذه الصفة تجعل من المفهوم صعب التحديد، إذ من جهة نجد أن النبلاء يتحددون بالنسب ومن جهة أخرى بالوظيفة بالرغم من أن الوظيفة قد تمنح لشخص من غير النبلاء بالدم. فوضع مفهوم دقيق للنبالة عملية صعبة المنال بالنظر للالتباس القائم حول وضع هذه الطبقة الاجتماعية سواء من جانب المحددات أو الوظائف.

¹ بيشوب موريس (2005): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر. على السيد على، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، ص 16.

² Serna Pierre (2003) : Le dictionnaire roturier de Furetière, ou le noble démystifié par l'alphabet,

In: Littératures classiques, n°47. Le Dictionnaire universel de Furetière. P227.

³ Serna Pierre, Idem, P227.

⁴ Serna Pierre, Idem, P227.

وعلى الرغم من امتلاكهم للثروة التي تدعم طموحاتهم، إلا أن القتال كان أكثر ما يلهم النبلاء ويستحوذ على تفكيرهم واهتمامهم. فالنبالة كانت "تعني الشجاعة في ساحة المعركة"¹ وهي كما يرى جان بيار لاباتو (Jean Pierre Labatut) "نخبة عسكرية"² بالتالي فقد كانت تحمل قيم حربية كالبراعة، الشجاع، السمعة، الفخر، النزعة الطائفية والعشائرية، الكرم، المجاملة، الشرف وكلمة الشرف³. وإضافة إلى القيم الحربية، فقد تأثر النبلاء بالقيم المسيحية، إذ منذ حوالي القرن الثاني عشر للميلاد بدأت الكنسية في التأثير على قيم النبلاء. حيث اندمجت فضائل المسيحية بقيم النبلاء، ولو أنها مماثلة إلى حد ما لقيم الملكية: ولعل من أبرز تلك القيم نجد حماية الكنيسة وممثليها وممتلكاتها، والحفاظ على "سلام الله"، ومكافحة الغدر، وحماية الضعفاء، الأرامل والأيتام، وكذا التضحية من أجل الأفراد المسيحيين.⁴

وعن الفرد النبيل يذكر بيشوب موريس: "لقد تميز الفرد النبيل في العصور الوسطى بكثير من الفضائل، فعادة ما كان مخلصًا وفيًا بكل التزاماته الإقطاعية، ومرتزًا عند تنفيذه العدالة، كما كان كريمًا، خصوصًا عند تقديمه الأرض والمال والكنيسة، ومتدينًا حقًا، محترمًا للسلطات الكنسية، وأمينًا في أداء واجباته، كما كان يأخذ يمين الولاء مأخذ الجد، ونادرًا ما يحنت في قسمه أو يمينه، ونادرًا ما يخلف وعده، مدركًا أن تلك الأيمان مسجلة في السماء وأن الحنث بها يستوجب نقمة الرب، وربما كان عطوفًا على من يستحق العطف ممن هم أدنى مرتبة منه. شفوفاً على الفقراء رحيم القلب، متواضعًا"⁵.

ارتبط النبلاء بالأرستوقراطية ارتباط وثيقًا، ذلك بالنظر للخدمة التي كانوا يقدمونها للملوك والحكام على مر التاريخ. والأرستوقراطية مصطلح ظهر لأول مرة عند الإغريقين، "كان يعني في بدايته حكم الصفوة"⁶. وقد وصفه تلميذ أفلاطون، أرسطو، بأنه "أحد أشكال الحكم، يحكم

¹ دويل وويليام (2015): الأرستوقراطية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة زينب عاطف، هنداوي، ص 14 - 15.

² <https://www-cairn-info.snd11.arn.dz/noblesses-europeennes-fin-xve--9782130353447-page-7.htm>

04/09/2022 19:17

³ Jean-Louis Kupper (2001) : **Chevalerie et croisade. Sur l'œuvre de Jean Flori**, Le Moyen Age, vol. cvii, no. 2, pp. 321-327.

⁴ Jean-Louis Kupper, **Idem**, pp. 321-327.

⁵ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 138.

⁶ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 12.

فيه أكثر من شخص، ولكن ليس كثيرًا من الأشخاص ... وقد أُطلق عليها هذا الاسم إما لأن الحكام هم أفضل الرجال أو لأنهم يعملون على تحقيق مصالح الدولة ومواطنيها¹.

وتُعرّف الأرستقراطية بحسب دائرة المعارف البريطانية "بأنّها حكومة مكونة من قبل طبقة امتياز صغيرة نسبيًا أو أقلية تتكون من أولئك الذين يُفترض أنهم مؤهلون بشكل أفضل للحكم"². فهي لقب يطلق على مجموعة قليلة من الناس لهم الشعور بأنهم قادرون لحكم الشعوب وتسيير شؤونها، حيث يتم الحكم على مستويات عدة فكرية، ودينية، وسياسية، واقتصادية. فنسبى الطبقة العليا في حكومات الدول بالأرستقراطية السياسية، والطبقة العليا من كبار الشخصيات الدينية الأرستقراطية الدينية، والطبقة العليا في المجال الصناعي والمالي الأرستقراطية الاقتصادية، أما في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية فإنّ " الأرستقراطية حكومة أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة، وهو مفهوم مضاد للديمقراطية، ويطلق اللفظ أيضا على طبقة اجتماعية تمتاز ببعض الصفات الخاصة فيقال أرستوقراطية المال وأرستقراطية العلم"³

إلا أنه مع مرور الزمن تحول المفهوم من معناه الأولي المتضمن صفوة المجتمع القائمة على تسيير شؤونها، إلى طبقة اجتماعية في المجتمع الإغريقي والأوروبي بصفة عامة، بعدما أصبح هؤلاء الصفوة هدفهم خدمة الأغنياء في المجتمع، يقول في هذا الصدد دويل ويليام " انحرفت الأرستوقراطية بسهولة لتصبح مجرد حكم الأقلية عندما أصبحت تهتم بمصالح الأغنياء فقط"⁴، ويضيف محمود درويش مصطفى أنه في فترة هوميروس "لما بدأ الأرستقراطيون يشعرون بقوتهم، أخذوا في توجيه ضربات للنظام الملكي سعيا للحصول على السلطة"⁵.

وتقوم الأرستقراطية على الفضيلة، كصفة ملازمة للحكام والنبلاء على حدّ سواء. إذ يعتقد الأرستقراطيون أنه يزيد احتمال وجودها من خلال المولد والتعليم. والمولد يقصد به "الانتماء إلى عائلة عريقة تتمتع بالثراء والفضيلة"⁶. فقد أصبح الأفراد المنحدرون من سلالة

¹ دويل ويليام، نفس المرجع، ص12.

² <https://www.britannica.com/topic/aristocracy> 03/09/2022 à 12/20

³ مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر (2000): معجم فلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص9.

⁴ دويل ويليام، مرجع سابق، ص12.

⁵ ممدوح درويش مصطفى وإبراهيم السايح، مرجع سابق، ص 13.

⁶ دويل ويليام، مرجع سابق، ص12.

أولئك الذين تولوا مناصب في الدولة يقبون أنفسهم "بالنبلاء" اعتباراً أن المنصب رمزا للفضيلة، ما جعل أن تكون الوراثة مبدأ لدى النبلاء، من خلال توريث الألقاب، والامتيازات، والسلطة من جيل إلى جيل.

هذا وتقوم الأرستقراطية أيضا على مبدأ التسلسل الهرمي الذي يفترض عدم المساواة الفطرية بين الناس، من خلال وجود أشخاص أفضل من الكثير من الأشخاص. كما قامت الأرستقراطية على "مبدأ الامتيازات" الذي كان بمثابة قانون خاص بالأرستقراطيين يمنحهم حقّ المعاملة المختلفة والمتفوقة على باقي الناس.

تجدر الإشارة إلى أن الاستخدام المعتاد لمصطلح الأرستوقراطية، متمثلا في حكم صفوة المجتمع، قد توقف لقرابة ألف سنة نتيجة التحولات السوسيو-ثقافية التي شهدتها المجتمعات الأوروبية. وعندما ظهر ثانية، في حوالي القرن الخامس عشر للميلاد يقول دويل وليام أنه ظلّ يعني "أحد أشكال الحكم، لكنها -أي الأرستقراطية- كانت تُستخدم إلى حدّ كبير في وصف الدول التي يحكمها النبلاء"¹. إلا أنهم لم يتمتعوا بالخاصية التي كان الإغريق والرومان يعتقدون أنها تميّز أفضل الناس وهي "فضيلة التفكير في المواطنين"².

وعلى أية حال فكلمتي "أرستقراطية" و"نبالة" أضحتا تستخدمان كمترادفتين إذ يؤكد في هذا الصدد دويل وليام حيث يقول "بوجه عام يُفهم على نطاق واسع أن كلمتي «أرستقراطية» و«أرستقراطي» تشيران تقريبا إلى نفس معنى لفظتي نبيل ونبالة"³، ذلك أن النبلاء أضحوا جزء لا يتجزأ من الأرستوقراطية لامتلاكهم مجموعة من السمات والخصائص الثقافية الفردية والجماعية المماثلة للأرستقراطيين.

والفارق في رأينا يكمن في موضع الاستعمال ففي المجال السياسي يستعمل مصطلح الأرستقراطية، وفي المجال الاجتماعي يستعمل مصطلح النبالة. " لكن المصير الحقيقي للنبلاء يكون في رأي مونتسكيو في النظم الملكية. فهم يلعبون في هذه النظم دوراً أساسياً بوصفهم سلطةً وسيطةً بين الملك والرعية، فالنبلاء هم المحافظون على تطبيق القوانين، ويمنعون

¹ دويل وليام، نفس المرجع، ص 14.

² دويل وليام، نفس المرجع، ص 14.

³ دويل وليام، نفس المرجع، ص 16.

انحدار الدولة إلى الحُكم الديكتاتوري. وقد كان شعار مونتيسكيو الأساسي في هذا السياق: "لا نبلاء دون مَلِك، ولا مَلِك دون نبلاء"¹.

"ففي حوالي عام 1250، بذلت الطبقة الأرستقراطية، المتلهفة للحفاظ على مكانتها وحماية امتيازاتها، كل ما في وسعها للاحتفاظ بالشرف الفروسي لأبنائها فقط. وقد حققت أهدافها. وبالتالي، فإن الطائفة الفروسية أصبحت لا محال "شراكة المحاربين النبلاء". في نهاية هذه العملية (إدماج فئة الفروسية بالأرستوقراطية)، خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، كانت الفروسية، "الشرف الفائق"، مخصصة حصريًا للنبلاء، الذين أصبحوا "الأساس الضروري" للميليشيا"².

هذه هي إذن طبقة النبلاء في المجتمع الأوروبي، إلا أنه في الوقت ذاته نجد داخل هذه الطبقة مستويات، فما علاقتها بالشرف؟ ثم ما علاقة الشرف بالنبلاء؟ وما هي محدداته ومظاهره داخل هذه الطبقة؟

2- الشرف ودرجات النبلاء:

ذكرنا في الفصل الأول بأن للشرف وظيفة بنائية تتمثل في تكوين البناء الاجتماعي من خلال التقسيم الطبقي للمجتمعات، بحيث الأفراد ذوي الشرف يشكلون أعلى الهرم الاجتماعي ومنعدي الشرف في أدناه. ولعلنا نبرز هذه الخاصية لقيمة الشرف من خلال تفكيك طبقة النبلاء والنظر في مكوناتها، مما سيسمح لنا بالتعرف عن كثب عن هذه الوظيفة الحيوية للشرف في البناء الاجتماعي.

يذكر مانسيون ريغو (Mension-Rigau) أن "النبالة قبل كل شيء هي مسألة وظيفة، ووظيفة الأسلحة والفضيلة، أي أنها سلوك، نمط حياة وسمعة"³، فقد كان الفرسان وبعد انتهاء سيطرتهم على الحروب الطويلة يتم منحهم ألقاب تشير إلى رتب تمنحهم مكانة معينة ضمن هرم وظيفي اجتماعي يقول دويل وليام "وعقب انتهاء سيطرة الفرسان الخيالة على الحروب

¹ دويل وليام، مرجع سابق، ص 15.

² Jean-Louis Kupper, *Op.Cit*, pp. 321-327.

³ Eric Mension-Rigau, *Op.Cit*, P37.

بوقت طويل، كانت رُتَب الفرسان أو الفروسية الحصرية، بما تشتمل عليه من ملابس خاصة وأشرطة وشارات، ضمن أكثر مظاهر التميز المرغوب فيها¹.

من هنا، فالألقاب التي كانت تمنح للأفراد هي في الأساس ألقاب تعكس وظائف سلطوية وعسكرية. باعتبار أن " واجب النبلاء كان يتمحور في أن يسيطروا ويحكموا ويحافظوا على السلم والأمن داخل أقاليمهم ويصدّوا عنها أي هجوم خارجي، كما تعد طبقة النبلاء والفرسان أعلى سلم اجتماعي، وتتألف من السادة والاتباع؛ وعلى هذا الأساس تُقاس طبقة النبلاء والفرسان بهرم، يقف الملك في أعلى قمته، في حين يقف الفارس المحارب في قاعدته، وبين القمة والقاعدة تتابع سلسلة من السادة والاتباع، والجدير بالذكر أن هذه الطبقة ارتفعت قيمتها في ظل النظام الإقطاعي، وذلك للمهام الملقاة على عاتق النبلاء، وهي الدفاع والعمل على توفير الحماية لأبناء المجتمع²، ومثلما هناك تتابع في الرتب بين قمة الهرم وقاعدته، فإنه توجد هناك عدة درجات في طبقة النبلاء حيث كل درجة تحمل لقب له دلالة مرتبطة بالشرف، وسنحاول التنقيب عن بعض الألقاب الشرفية وكيف يتم منحها داخل هذه الطبقة الاجتماعية الأوروبية.

قد يساعدنا هذا التحليل على فهم السبب وراء تلازم الفضيلة بالرجل النبيل والنبلاء بصفة عامة، إذ "كانت الفضيلة، بوصفها إحدى صفات النبالة، صفةً غير واضحة، ويصعب تعريفها تمامًا مثل الشرف نفسه، وفي نواحٍ كثيرة كان الاثنان متناقضين؛ فكانت الفضيلة عادةً تشير إلى نوع من الإيثار، في حين كان الشرف يتمحور حول تمجيد الذات. إلا أن كثيرًا من المنظرين أشاروا إلى أن شرف النسب لا يعني شيئًا إذا لم يتَّسم المنتمون إليه بالفضيلة"³، فالعلاقة بين الشرف والفضيلة في واقع الأمر تكاملية بحيث لا يكتمل هذا دون الآخر. إذ أن امتلاك الفرد للشرف من خلال النسب يقتضي منه ضرورة التحلي بالفضيلة.

¹ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 41.

² حارث عبد الرحمن التكريتي، عمار شاكر محمود الدوري (2000): التطرف وأثره في حياة المجتمع الأوربي (دراسة تاريخية في مؤسسة الإقطاع)، المجلة العراقية الأكاديمية، مجلد 11، ع 44/2 ص 11 بتصرف.

³ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 43.

ويمكن تصنيف النبلاء إلى ثلاث طبقات رئيسية: النبالة العليا، الوسطى والدنيا أو الريفية:

أ. النبالة العليا:

وهي فئة متكونة من مجموعة أفراد يحملون ألقاب تشير إلى رتب شرفية تختلف بحسب الدرجة والمرتبة التي يحتلها الفرد، فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

- **الدوق:** "في بداية القرن الرابع حصل قادة الجيش على لقب دوق"¹، وكلمة دوق (DUC) تعني القائد حيث يشكل هذا الأخير أعلى رتبة في طبقة النبلاء. والدوقة هي زوجة الدوق وتأخذ لقبها منه، ولكن في حال كانت المرأة هي التي تحمل اللقب فلا تعطيه لزوجها، يطلق هذا اللقب على أفراد العائلة المالكة المقربين كالأمرء والأميرات.
- **المركيز Marquis:** هو ثاني درجة من طبقة النبلاء، والمركيزة هي زوجة المركيز، وظهر هذا اللقب للمرة الأولى في الجزر البريطانية عام 1385. وفي العموم يكون المركيز شخصية عسكرية مهمة أو شخص مقرب من الملك.
- **الإيرل Earl أو الكونت Comte:** هي المرتبة الثالثة من طبقة النبلاء، ويأتي الاسم من كلمة إيورل باللغة الإنجليزية القديمة والتي تعني القائد العسكري، وتعرف زوجة الإيرل أو الكونت بالكونتيسة Countess، ويطلق هذا اللقب على الرجال العسكريين رفيعي المستوى أو المسؤولين الحكوميين.
- **الفيسكونت Viscount:** المرتبة الرابعة من طبقة النبلاء، وتسمى زوجة الفيسكونت بزوجة الفيسكونت، وتم تسجيل استخدام هذه الرتبة للمرة الأولى في عام 1440، وكانت تمنح للأشخاص النبلاء من قبل الملك ولا يمكن توارثها.
- **البارون Baron:** المرتبة الخامسة من طبقة النبلاء، ومأخوذة من الكلمة الجرمانية القديمة التي تعني الرجل الحر، وتم إنشاء هذا اللقب في عام 1066، ولكن في إسكتلندا فقط يطلق على حامل هذا اللقب اسم "زعيم البرلمان"، وكان حاملوها من الشخصيات الإقطاعية، ويطلق على زوجة البارون بارونة، ويطلق هذا اللقب في العموم على

¹ دويل وويليام، نفس المرجع، ص 14.

مستشار الملك أو الصديق المرقب منه، وهذا اللقب لا يمكن توريثه في بريطانيا، ويحمله صاحبه مدى الحياة.

● الفارس واللورد **Lord**: هذان اللقبان متشابهان في وضعهما من طبقة النبلاء، وهما من أقدم الألقاب فيها، ويتم تعيينهم ومنحهم اللقب من قبل الملوك والملكات، وعادة ما يكون ذلك كمكافأة على الشجاعة والبراعة التي يبديها الشخص، وتُمنح أيضًا للأشخاص الذين يشغلون أدوارًا استشارية أو سياسية أو مناصب حكومية مهمة.

ب. **النبالة الوسطى**: وهي طبقة مكونة أساسًا من الفرسان، إذ تعود أصولها بحسب رجل دين فرنسي إلى اليونان القديمة أين الأفراد الضخام والأكثر جرأة عن الآخرين يتولون مسؤولية الدفاع عن الجماعة¹.

ج. **النبالة الدنيا**: البورجوازية وهم الأغنياء من دون لقب "يستخدم بعض المحللين أو المعلقين كلمة «أرستقراطية» في التمييز بين مجموعة أوسع من رُتب النبلاء؛ حيث يخصّون بهذا المصطلح الأقلية الغنية من أصحاب النفوذ المؤثرين أو النبلاء"².

شعار النبالة **Coat of arms**:

هو رمز يُستخدم لتمثيل الأفراد والجماعات والبلدان والمدن والأسر والكنائس والجامعات، وكان يستخدم في القدم على درع الفارس.، استخدمها أفراد النبلاء لأنفسهم وقد يغيرون تصميمهم المختار بمرور الوقت، ثم أصبحت وراثية وموحدة بحلول نهاية القرن الثاني عشر، وقد دخلت تصاميم الشعارات حيز الاستخدام العام بين النبلاء الأوروبيين والإقطاعيين والفرسان في منتصف القرن الثاني عشر في ميادين القتال كوسيلة لتحديد الجنود المتحالفة من جنود العدو، وحين ازداد استخدام شعار الدرع بدأت طبقات اجتماعية أخرى باستخدامها كطريقة للتعبير عن نفسها، كالأمرء والأشخاص الذين كانوا على اتصال مع الفرسان، والرهبان الذين أرادوا صنع أختام خاصة لمراسلاتهم في الكنيسة.³

¹ Robert Delort (1982) : **La Vie au Moyen Âge**, Le Seuil, Paris P160.

² دويل ويليام، مرجع سابق، ص18.

³ <https://www.theheraldry.com/about-heraldry/the-coat-of-arms/>

إن الملاحظ لتركيبية طبقة النبلاء يجد أنها مكونة من أفراد يحملون الألقاب تشير إلى وظائف تقلدونها. بحيث أن تلك الألقاب والوظائف هي في ذاتها شرف يحمله الفرد والعائلة على حد سواء. كما أنها عملية تدريجية بحيث أن ارتقاء الفرد في الوظيفة دليل على ارتقاء شرفه. وعلى هذا النحو فالشرف يشمل الأسر التي ينحدر منها الفرد والمهام التي تقلدها أكثر من أي شيء آخر.

3- محددات الشرف لدى النبلاء

يقول هاليفي ران (Halévi Ran): "الشرف في العصر الأرستقراطي يعتمد على المبادئ الموروثة والتقاليد الثابتة"¹. بمعنى أن قيمة الشرف تتحدد وفق قواعد وشروط إما يتوارثها الأفراد من الأجيال السابقة أو من تقاليد معروفة لا تتغير مع مرور الزمن، وبالتالي فالشرف قيمة لا تخص جميع أفراد المجتمع وإنما فئة معينة منه فقط. والحديث عن هذه المبادئ والتقاليد هو في حقيقة الأمر حديث عن محددات الشرف في المجتمع الأوروبي وطبقة النبلاء بوجه أخص، على اعتبار أن الشرف كان يختص فئات معينة عن سواها كما سلف بنا الذكر.

انطلاقاً من العنصر الخاص بمفهوم النبالة، نجد أن محددات الشرف تتمثل أساساً في مدى الملكية العقارية للأراضي، وكذا المحافظة على النظام العائلي الذي يورثه ويتوارثه أفراد العائلة كقيمة ومرتبة للشرف، فقد كانت الفضيلة أساس النبالة وهذه الصفة يزيد احتمال توافرها لدى الأفراد المتميزين في المولد والتعليم، والتميز في المولد يعني الانتماء إلى عائلة عريقة تتمتع بالثراء والفضيلة مثلما يرى دويل وويليام (William Doyle)، أما التعليم فيتمثل في تلقين الفرد للتعاليم والمبادئ التي تتيح له انتهاج السلوك الشريف.

وقد حدد دويل وويليام ثلاثة طرق يتم الانضمام بها إلى هذه الطبقة الاجتماعية وبالتالي نيل الشرف الاجتماعي:

أ. الطريقة الأولى تتمثل في التناضح والامتصاص: وهي عملية تتم من خلال تجميع العائلات لمجموعة من الخصائص والنشاطات المعترف بها اجتماعياً بأنها مناسبة لنيل درجة النبالة، مثل امتلاك الأراضي، إبراز كفاءات في القتال، يقول في هذا الصدد

¹ Drévilion, Hervé, et Diego Venturino (2011) : **Penser et vivre l'honneur à l'époque moderne**, Presses universitaires de Rennes, Rennes, pp. 109-126. Web. <<http://books.openedition.org/pur/121614>>.

دويل وليام "على مدار السواد الأعظم من حقبة العصور الوسطى كان الناس ينضمون إلى طبقة النبلاء عن طريق أسلوب التناضح والامتصاص؛ فقد كانت العائلات تحصل على الاعتراف بها بأنها من النبلاء عن طريق تجميع مجموعة من السمات والأنشطة المعترفَ بأنها مناسبة؛ مثل جَمْع الأراضي والتابعين، وإظهار مهارات قتالية وإنجازات، وبوجه عام عيش حياة نبيلة"¹؛ هكذا إذن يكون المحدد الأول للشرف في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى مرتبطاً بالقوة والملكية العقارية وكذا التعليم.

ب. الطريقة الثانية تتمثل في منحة الحاكم: بحيث يمنح لقب النبالة من طرف الحاكم للأفراد عرفانا بالخدمات التي قدموها للمجتمع في مجالات الحروب والسياسة والإدارة، " فقد كان مُنح الإداريين مكانة النبلاء أمراً تلقائياً؛ فعند وصولهم إلى مستوى معين، كان هذا التمييز يأتي بحكم المنصب"². وتتم هذه العملية من خلال " الإجازات الرسمية أو خطابات مُنح مكانة النبلاء التي كانت تصدر رسمياً من السلطات المختصة"³، فشغل مناصب لدى الحكام والتفاني في القيام بالمهام التي يوكلها الحاكم للأفراد تشكل محدداً آخر للشرف في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى، إلا أن هذا المحدد يبقى حبيس نظرة الحاكم وتقييمه للخدمة التي يقدمها الفرد.

ج. الطريقة الثالثة الشراء: نظراً للامتيازات التي كان يتمتع بها الأفراد الحاملين لقيمة الشرف متمثلين في النبلاء، فقد أدى ذلك إلى وضع هذه القيمة محل المتاجرة، أي أن الأفراد يدفعون مبالغاً مالية مقابل نيلهم مرتبة الشرف؛ وقد كانت تباع بصفة علنية خاصة خلال الأزمنة المتأزمة اقتصادياً حيث يشير صاحب كتاب الأرسوقراطية في هذا الصدد أنه " كان من النادر أن تُباع النبالة علناً، فيما عدا أوقات الضرورة المالية"⁴ حيث تذكر مصادر تاريخية أنه بين أواخر القرن الخامس عشر وبداية الثورة الفرنسية

¹ دويل وليام، مرجع سابق، ص 17.

² دويل وليام، نفس المرجع، ص 18.

³ دويل وليام، نفس المرجع، ص 18.

⁴ دويل وليام، مرجع سابق، ص 19.

تم عرض أغلب المناصب الملكية الفرنسية للبيع ما أدى إلى حصول عامة الشعب على قيمة الشرف¹.

4- مظاهر الشرف عند النبلاء :

للشرف مظاهر عدة تميز بها النبلاء خلال العصور الوسطى جعلت أن يتغلغل في جميع جوانب الحياة الاجتماعية لهذه الفئة الاجتماعية بل وينحصر فيها. حيث تظهر من خلال جملة من الممارسات الاجتماعية والمعتقدات الثقافية. وقد حاولنا الوقف على أهمها في العناصر التالية من خلال ما أتيج من مصادر ومراجع.

أ. **الطفل، الرضاعة والتنشئة الاجتماعية:** كانت النيبلات ترضعن أطفالهن بأنفسهن ولا تتركن أحدا يرضعهم، اعتقادا منهن أن الحليب الذي تقدمه امرأة أخرى للطفل سيفسد الدم النبيل الذي يجري في جسم الطفل، مما قد يؤثر على سلوكه مستقبلا وبالتالي شرفه، ويذكر لنا التاريخ في هذا الشأن أن "أم القديس لويس وهي بلانكا القشتالية (Blanche Of Castille) وجدت امرأة في البلاط تعطي أحد أطفال الأسرة الملكية رضعة، فأمسكت الطفل من قدميه وهزته إلى أن أفرغ كل ما في بطنه"²، وهي واحدة من الأحداث التي تبرز الاعتقاد السائد بأن الدم والنسب يحددان الشرف لدى النبلاء في العصور الوسطى.

ولم تختلف حياة أطفال النبلاء عن باقي الأطفال في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى، فقد كانوا يلعبون بالعرائس والعساكر المصنوعة من الخشب، وكان الآباء يعاملون أبنائهم بلطف ويعلمونهم ويؤنّبونهم عند ارتكاب الأخطاء، إلا أنه في سن الثامنة من عمرهم يبعث الأبناء للتدرب على الحياة الاجتماعية واكتساب المهارات القتالية، خشية عليهم أن يكبروا مدللين فيفقدون الشرف، إذ يقول بيشوب موريس: "وبسبب الخشية من أن يشب الأطفال مدللين نظرا للرعاية الأنثوية التي يحصلون عليها، فقد كان يتم إرسالهم في سن الثامنة من عمرهم إلى قلاع أخرى. ربما تكون قلاع بعض اللوردات أو قلاع أقاربهم مثل أعمامهم، وهناك يتدربون على ممارسة الحياة الاجتماعية واكتساب الفضائل ... وبعدها يبدأ تدريبهم الحربي، فيتدربون

¹ دويل وويليام، نفس المرجع، ص 19.

² بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 132.

على المبارزة بسيوف غير حادة، وطعن الهياكل الخشبية بالرماح والصيد باستخدام الجوارح والخروج للصيد على ظهور الخيل ومهاجمة الحيوانات وقتلها¹؛ فهكذا يتم تلقين الأبناء على مبادئ القتال التي تشكل واحدة من الخصائص التي يتميز بها الفرد الشريف عن سواه.

وإذا كان الذكور يذهبون إلى قلاع اللوردات أو الأقارب فإن الفتيات النبيلات يرسلن إلى قلاع مغايرة تشكل مدارس لاكتساب الأعمال والنشاطات الأنثوية متمثلة أساسا في الأمور المنزلية كالطبخ، نظافة البيت والملابس إضافة إلى تقنيات العلاج والإشراف على الصيدلية قصد إسعاف المرضى. وكل هذه العملية تكون بإشراف من نساء نبيلات يذكر ببشوب موريس "وبالمثل فإن البنات كان يتم إرسالهن إلى قلعة أخرى، تعتبر بمثابة مدرسة لتلقي آخر دروسهن. وهناك يلتحقن بجماعة العدروات الجميلات اللاتي يظهرن على شكل الكورس في الاحتفالات الخاصة بالفروسية"²

ب. الشرف عند الرجال: كان السيف يشكل رمزا لرجل الشرف وكان أكثر الناس حملا له

هم النبلاء، حيث كان يرافقهم في كل الأوقات وقد استمرت هذه الظاهرة حتى نهاية القرن التاسع عشر؛ وحمل السيف لدى النبلاء كان دليلا على الرجولة والشجاعة، إذ يقول ببشوب موريس " ولم يتوقّف النبلاء عن حمل السيوف في حياتهم اليومية كدليل على استعدادهم للقتال من أجل الدفاع عن شرفهم إلا في أوائل القرن التاسع عشر"³.

إضافة إلى السيف فقد كان ما يميز النبلاء، بخاصة الفرسان، عن سواهم هو الدرع، وهو عبارة عن أداة مصنوعة من الخشب في شكل دائري، يحملها الفارس يحمي بها نفسه من هجمات العدو أثناء الحروب والمبارزات. ومن مظاهر الشرف لدى الرجال نجد احترام زوجة النبلاء ففي تقاليد الفرسان يوضح ببشوب موريس أن إغواء زوجة أحد النبلاء " كان أكبر مصدر للخزي والخيانة-بعد الجبن"⁴، كما أن التخنث كان يشكل واحدة من المظاهر التي تمس بشرف الرجل النبيل، فقد كان " كان الرجال لا يتركون شعورهم تطول أكثر من مستوى

¹ ببشوب موريس، مرجع سابق، ص 132.

² ببشوب موريس، نفس المرجع، ص 133 - 134.

³ ببشوب موريس، مرجع سابق، ص 41.

⁴ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 43.

الأذنين"¹، حتى لا ينظر إليهم على أنهم مخنثون، ذلك أن الشعر الطويل كان حتى حوالي القرن الحادي عشر للميلاد من سمات المخنثين.

ج. **اللباس:** عرف المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى تنوعًا كبيرًا من حيث اللباس ولو أنه كان بدرجة أقل مما نشاهده اليوم، نتيجة التطور السريع للمجتمعات والاحتكاك المستمر للثقافات. وإذا كان للباس وظيفة بيولوجية تتمثل في احتواء الإنسان بها من قساوة البرد والحر، فإنه يحمل في طياته رموزا ودلالات ثقافية أبرزها تمييز الأفراد والطبقات والفئات الاجتماعية بعضها عن بعض بخاصة تلك التي تتمتع بالشرف الاجتماعي، "فما لا شك فيه أن الملابس تدل على منزلة الرجل ومكانته الاجتماعية، لذلك كان لكل طبقة ملابسها وشعاراتها"²

أما ملابس الطبقة النبيلة فقد كانت تهدف إلى حدّ ما إلى إظهار المكانة الاجتماعية والثروة، وإلى حد ما للتمايز الطبقي والمنفعة لا إلى الجمال³، وذلك أن الشرف له منافع اقتصادية في الوسط الاجتماعي يقول دويل وويليام "لقد أدرك الحكّام منذ مرحلة مبكرة أن التمييز بين الناس له قيمة سوقية مربحة، وأن احتكار إصدار مثل هذه الامتيازات يمكن أن يصبح مصدرًا مهمًا للدخل؛ وعليه، فإن خطابات المنح لم تكن تصدُر مطلقًا إلا مصحوبة بكمّ كبير من الرسوم"⁴

لهذا كان النبلاء يهتمون باللباس، ولعل أبرز ما يميز لباس هذه الطبقة نجد أغطية الرأس. فقد كانت، على حد تعبير بيشوب موريس (Maurice Bishop)، فإنه من أهم "المؤشرات على طبقات الناس وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية"⁵، إذ نجد الملوك بعمامتهم المرصعة بالجواهر، والأساقف يرتدون التاج الأسقي، في حين يرتدي النبلاء الخوذة وهو عبارة عن

¹ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 148.

² محمود سعيد عمران (1998): حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 304.

³ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 145.

⁴ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 19.

⁵ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 146.

غطاء معدني الصنع يضعه الفرسان وقاية للرأس، كما يرتدي ملاك الأراضي الأغنياء قلنوسة ضيقة ... الخ¹.

أيضا، كان النبلاء يرتدون ملابس مصنوعة من أقمشة باهظة الثمن كالحرير والمخمل، حتى يظهرون تميزهم عن باقي فئات المجتمع. وهو ما ذكره صاحب كتاب تاريخ أوروبا في العصور الوسطى أنه "من الطبيعي أن تختلف أنواع الأقمشة وأسعارها وفقا لإمكانات من يرتدونها... فأبناء الطبقات الفقيرة كانوا يستخدمون في ملابسهم الأصواف والجلد، أو الأقمشة الكتانية الخشنة"² في حين نجد النبلاء يضيفون إلى ملابسهم أشياء أخرى لتزيينها مثل تجميل الأطراف بالحرير أو الفراء الروسي (Fourrure) الذي كان يعتبر أجود وأبهظ أنواع الفراء.³

ومن مظاهر الشرف في مجال اللباس نجد كذلك القفازات؛ فقد كانت شائعة في المجتمع الأوروبي، وإذا كان استخدامها من طرف الفلاح يتوقف عند الحياة المهنية فإنه يختلف هذا الاستخدام لدى النبلاء الذين يرتدون القفازات للتباهي والتمايز كدليل على شرفهن الرفيع، فقد كانت كبريات السيدات النبيلات يرتدين قفازات "مطرزة ومزدانة بكثير من الجواهر"⁴.

كما أن القفاز يحمل دلالة رمزية عن الوفاء والإخلاص وهما خاصيتان تميزان الرجل الشريف إذ كان تثبيت قفاز إحدى النبيلات فوق خوذة الفارس دليل على إخلاصه لها، أو تستعمل حتى في تحدي الفرسان لبعضهم إذ يعتبر إلقاء القفاز على الأرض بين النبلاء كشكل من أشكال التحدي والدخول في قتال، وبالنظر لهذه الأهمية والرمزية التي تكتسيها القفازات فقد أضحت تستخدم كضمان مالي في معاملات النبلاء فيما بينهم⁵

وشكل الحذاء هو الآخر فارقا في مظاهر الشرف لدى النبلاء، حيث كان العامة يرتدون الأحذية العالية والثقيلة، في حين يفضل النبلاء الأحذية الرشيقة بلا كعب، "ففي الوقت الذي

¹ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 146.

² بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 145.

³ محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 304.

⁴ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 147.

⁵ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 147.

كان يرتدي فيه عامة الناس الحذاء العالي الثقيل والذي يتخطى الكاحل، فإن أبناء الطبقة النبيلة كانوا يفضلون ارتداء الأحذية الخفيفة بلا كعب¹ يذكر المؤرخ بيشوب موريس.

أخيرا يجذر الذكر إلى أن اللباس كان مفصليا في تمظهر قيمة الشرف لدى النبلاء وباقي طبقات المجتمع الأوربي خلال العصر الوسيط كونه يبرز المكانة الاجتماعية للفرد، فقد كان الناس يحتجون في حال ارتدى فرد من طبقة معينة لباس طبقة أخرى بخاصة لما تكون طبقة مرموقة يقول محمود سعيد عمران "وقد تحتج إحدى الطبقات إذا ما استعمل الناس شعاراتهم وملابسهم. ولذلك سنت القوانين لتنظيم ما يظعه الناس على ملابسهم من شعارات"²

د. لباس المرأة: " كانت ملابس النساء ذات ألوان براقية، ومصنوعة من أقمشة شرقية أو إيطالية الصنع، كما كانت طويلة ومنتسعة"³، وكانت النبيلات ترتدين " الأثواب النسائية الفاخرة كانت عادة فضفاضة"⁴، "وفي بعض الأحيان وفي بعض الأماكن، كما حدث في القرن الرابع عشر للميلاد، في أفينيون Avignon، فإن الأجزاء العليا من الأثواب، أي صدور الفساتين كانت مقورة وشبه مستديرة، لدرجة أن الوعاظ قد علقوا على تلك الصدور العارية وأطلقوا عليها اسم نافذة الجحيم"⁵.

هـ. الأراضي الفلاحية والبساتين: كان الانتماء إلى طبقة النبلاء بحد ذاتها من الامتيازات التي تمنح للشخص عند حصوله على أحد ألقاب طبقة النبلاء، فقد يمنح الملك للنبلاء مع اللقب مكتب أو تركة أو قطعة أرض، أو ثروة، سواء عقار واحد أو أكثر، وقد يشمل ذلك أيضاً الحقول والمراعي والبساتين ومناطق الصيد وجداول المياه، وبعض البنى التحتية مثل القصور والقلاع والآبار والمطاحن.

كان من المفترض أن يعمل حامل لقب نبيل في ممتلكاته لوحده وبيده، ولكن سادت بعض الاعتقادات بأن عمل النبيل بيده ينتقص من لقبه وانتمائه لطبقة النبلاء، ولهذا أدرج لاحقاً النظام الإقطاعي وأصبح النبلاء يشغلون العمال في ممتلكاتهم، ومن الجدير ذكره أن

¹ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 147.

² محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 304.

³ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 149.

⁴ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 149.

⁵ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 149.

العضوية في طبقة النبلاء كانت شرطاً أساسياً لشغل مناصب مهمة ومحط ثقة في الدولة وأساسية للترقية في المهنة، وخاصة في مجال الجيش والمحاكم والوظائف العليا في الدولة والحكومة والقضاء¹.

تتمتع من جانب آخر زوجة النبيل بالطريقة المميزة التي تصرف بها في العلاقات الحياتية، حيث "كانت زوجة السيد النبيل لها أهمية في كل شيء، لأنها كان لها بعض الحقوق الإقطاعية على الأرض التي تحصل عليها من إرث زوجها، وكان في مقدورها أن تمارس كل سلطتها"² "وعند غياب زوجها فهي تعتبر سيدة القلعة، تقوم بالدفاع عنها عند الحاجة"³.

و. الفروسية: كتب الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي جون الساليزبوري (John Of Salisbury) (1115-1180) خلال القرن الثاني عشر للميلاد عن وظيفة نظام الفروسية أنها: "حماية الكنسية، ولمحاربة الغدر والخيانة، ولتوقير جماعة الكهنة، وصيانة الحقوق العادلة للفقراء، وتحقيق السلام في البلد، ولبذل الدماء والتضحية في سبيل الإخوة"⁴.

هكذا فالفروسية وظيفية ومهام عسكرية شكلت قيمة الشجاعة والجرأة في الحروب والمعارك أكثر الصفات التي يتحلى بها الفارس، على اعتبار أن الجبن أبشع ما يمكن أن يوصف به الخيالة، باعتباره أكثر السلوكيات إخلالاً بالشرف فقد "حقّق أسلاف النبلاء أكثر المآثر مدعاةً للفخر في ساحة المعركة، وكان أكثر عملٍ مخلاً بالشرف هو الجبن"⁵. فالفارس هو الشخص الذي يقضي حياته وفق نظام الفروسية ويصونها لكي يرتقي إلى مستوى النبلاء، ولا يتحقق هذا المطلب إلا إذا خاض المعني حروباً ومعارك وسلك تصرفات تثبت تحليه بقيم الفروسية. يقول المؤرخ الفرنسي جون فرواسار (Jean Froissart): "إن الفرسان نبيلي المحتد وُلدوا كي يُحاربوا، وإن الحرب ترفع كل من يشارك فيها بلا خوف أو جبن إلى درجة النبلاء"⁶.

¹ أسماء نصار (2023): من هم النبلاء؟، الموقع الإلكتروني موضوع: <https://urlz.fr/r0gB> تم الاطلاع يوم: 25 جوان 2024.

² بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 131.

³ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 131.

⁴ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 85.

⁵ دويل وويليام، مرجع سابق، ص 41.

⁶ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 85.

فالحرب هي أبرز ما يميز نظام الفروسية وهي وظيفة يختص بها النبلاء، بحيث يتم تنشئتهم على هذا النهج في سن مبكرة، كما لاحظنا سابقًا في المظهر الخاص بالطفل والرضاعة، ويذكر الدكتور بيشوب "أن كل تعليمه كان موجه لإكسابه صلابة العود، ونوعاً من الخشونة الجسدية والروحية"¹، "كما كانت مدرسته عبارة عن غرفة للحراسة في أحد المراكز الحربية، ومسكنه هو القلعة المعدة باستمرار لمواجهة أي هجوم مفاجئ. وكأحد الفصيحة، فقد كان يتم استدعاؤه باستمرار للمشاركة في الحروب التي يخوضها سيده اللورد ضد اللوردات الآخرين"².

لقد كان نظام الفروسية في واقع الأمر امتداد لفكرة جوهرية كانت سائدة في العصور الوسطى مفادها أن العبيد فقط من يعملون ولذلك يقوم النبلاء بوظائف مثل الفروسية وهي في تصورهم أعمال تزيد من شرف الإنسان وترفع من قدره يقول الدكتور فؤاد زكريا: "لم يكن الفارس يقوم بعمل يدوي، بل كان كل ما يقبل أن يشغل به هي تلك الفنون المسماة بالحرّة. وفي حياة الفارس الإقطاعي كان الشرف والنبيل قيمتين مضادتين لقيمة العمل المادي"³

ز. **المبارزة والثأر**: كانت المبارزة أسلوب يعتمده النبلاء لمعالجة المنازعات بين الفرسان، أين يذهب أفراد متمثلين في المستوى للقتال. لكن مع التطور الاجتماعي والسياسي، أين ظهرت المحاكم باعتبارها الأماكن المخصصة لمعالجة النزاعات، حيث انبثق التقاضي العادي مثلما نعرفه في أيامنا، بقية المبارزة مفضلة لدى النبلاء خاصة في القضايا المتعلقة بالشرف يقول بيشوب موريس "استمر النبلاء في تفضيل المبارزات في المسائل المتعلقة بالشرف حتى أوائل القرن العشرين"⁴.

وهذا النوع من المبارزات يدعى الثأر وقد كان سائداً في إيطاليا، تحت مسمى الفانديتا (Vendetta)، حتى نهاية القرن التاسع عشر. أين "كانت إيطاليا بوجه خاص من أهم المناطق

¹ بيشوب موريس، **نفس المرجع**، ص 85.

² بيشوب موريس، **نفس المرجع**، ص 85.

³ فؤاد زكريا (2004): **آراء في مشكلات الفكر والثقافة**، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 220.

⁴ دويل ويليام، **مرجع سابق**، ص 41.

التي توطنت فيها هذه الظاهرة، فتاريخها كله في العصور الوسطى كان عامرا بالحزازات العائلية الإقطاعية¹.

والثأر ظاهرة صحية في نظر النبلاء كونه يشكل نوعا من العدالة الخاصة أكثر من كونه جريمة يعاقب عليها. وقد كان يعني جميع أبناء العشيرة دون استثناء بحيث كانوا مطالبين بتنفيذ عملية الثأر هذه من أصغرهم إلى أكبرهم. وعادة ما تنتهي الحروب بقتل جميع أفراد أحد الفريقين المتنازعين أو بتدخل الإمبراطور أو الكنيسة لفرض السلام مع الدفع بأحد الأطراف المتصارعة للتعويض عن الخسائر.² وكانت "المسايقة" وهي نوع من المبارزة التي يستعمل فيها السلاح، "تقنية حصرية" للفروسية، مخصصة لسلاح الفرسان المتميزين. ساهمت هذه الطريقة الثورية في القتال إلى حد كبير في تطوير عقلية جديدة، أساس "أيديولوجية الفروسية": الوعي بالتفوق، البحث عن الشهرة والمجد، الإحساس بالشرف - بينما النخبة تسعى جاهدة للفوز وليس القتل، وسوف يتعهد الخاسر، عن طريق الكلمة، بـ "تكريم" دينه للفائز³.

ح. الجنسانية وشرف المرأة: إن الحديث عن المسألة الجنسانية وعلاقتها بشرف المرأة هو حديث عن واقع تنظيم الحياة الجنسية في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى. فقد كانت عقوبة الزنا قاسية جدا، لما للفعل من عواقب على حياة الأبناء الناجمون من جرائمها حتى توصل الأمر إلى تخصيص الكنسية من مال الصدقة الذي تجمعته لإنشاء ملاجئ للأطفال غير الشرعيين.⁴ "إلا أن شرف زوجات النبلاء - تماما مثل شرف الملكات - كان أمرا مختلفا؛ فقد كانت وظيفتهن الأساسية هي ولادة ورثة شرعيين، وإذا جُرؤنَّ على إقامة علاقة مع رجال بخلاف أزواجهن، فإن هذا عادةً يحدث بعد الانتهاء على أكمل وجه من هذه الوظيفة الأساسية"⁵. "حتى في العلاقات التي تحدث

¹ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 139.

² بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 139.

³ Jean-Louis Kupper, Op.Cit, pp. 321-327.

⁴ محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 288.

⁵ دويل ويليام، مرجع سابق، ص 43.

خارج نطاق الزواج، اكتشف الرجال والنساء النبلاء المولد أنه من الأكثر أمناً لهم أن يقيموا علاقات مع أفراد مساوين لهم في المكانة¹.

"ومن أجل جبر خاطر محبوبته فإنه -العاشق- كان يبحث عن كيف يكون جديراً بحبها أو عطفها، وكيف يسمو بروحه، ومن أجلها كان قويا في المعارك، وفي حضرتها يكون مبتهجا ظريفاً، مرتدياً أفخر الثياب، نظيفاً نقياً من كل رائحة عكرة. كما كان يؤلف أغاني الحب، ويتغنى بها من أجلها، كما كان مستعداً دائماً لأن يدافع عن شرفها².

"كما أن عبارات "الحب الكيس" و "حب البلاط" هما تعبيران عن شيء فضفاض هو ما نسميه نظام الفروسية في العصور الوسطى الذي ينظم تصرفات وسلوكيات أبناء الطبقة النبيلة وفق قواعد أخلاقية محددة، تتضمن القواعد المعمول بها في كل البلاط، ومثل وقيم الفرسان المستمدة من النظام الإقطاعي والتعاليم الدينية للكنيسة. ولعل أفضل ما تمثله تلك القواعد هو العفة أو الطهارة، وإخلاص المحاربين للدين، والدفاع عن كرامة المرأة النبيلة³.

ط. الطعام: مثله مثل اللباس، كان الطعام واحد من المؤشرات التي تُميز الأفراد الحاملين لقيمة الشرف عن سواهم إذ يُعد المأكل في العصور الوسطى "مؤشراً مهماً على التمايز الطبقي"⁴ يقول موريس بيشوب. ويظهر ذلك جلياً في نوعية الطعام الذي كان يتناوله النبلاء، حيث كانوا "يأكلون اللحم والخبز الأبيض ويشربون النبيذ"⁵، بينما يأكل الفلاحون وهم من طبقة العامة "العصيدة والثريد، واللفت، والخبز الأسمر"⁶. كما أن النبيذ الذي يمزج بشيء من العسل أو الخل أو القرفة قصد التلذذ كان شراب النبلاء، بل يشكل شرب الماء لوحده نوع من العيب والعار الذي قد يلحق بالنبلاء، "فشرب الماء بمفرده كان ينظر إليه بشيء من الاستهجان"⁷.

¹ دويل وويليام، نفس المرجع، ص 43.

² بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 136.

³ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 137.

⁴ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 155.

⁵ بيشوب موريس، مرجع سابق، ص 155.

⁶ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 155.

⁷ بيشوب موريس، نفس المرجع، ص 155.

ي. الشرف في الخطاب اليومي لدى النبلاء: بالإضافة إلى اللباس، فإن الخطاب كان واحد من المظاهر التي تميز أصحاب الشرف في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى عن سواهم. إذ نجد أنه لكل رتبة أو مرتبة شرف لقب خاص فنجد مثلاً: الدوق، المرکيز، الفيکنزت، ... الخ كلها ألقاب خاصة بالنبلاء. كما أن أصحاب الشرف ينادونهم بعلامات خاصة تظهر الاحترام مثل كلمة "السير" بالأجنبية تكتب Sir أو Sire وتعني مولاي، نجد كذلك كلمة "ميسير" Messir وتعني سيدي المحترم، إلى غير ذلك من المصطلحات التي يعتمدها المجتمع الأوروبي في مخاطبة الأفراد الشرفاء.

ثانياً: الشرف عند العرب في العصر الجاهلي

1- العرب في الجاهلية:

نعتمد أنه من الضروري الوقوف على مفهوم الجاهلية وما شابه من تفسيرات جعلت أن تنتشوه أولاً صورة المجتمع العربي في العصر ما قبل الإسلامي، ومن ثمّة بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بتنظيم هذا الجماعة البشرية آنذاك. ذلك أنه وقع لبس كبير حول معنى الجاهلية في الوسط العلمي العربي والغربي والذي تحول إلى اعتقاد يتمثل في أن المرحلة الجاهلية أو زمن الجاهلية أو المجتمع الجاهلي هو تلك الحقبة الزمنية والمجتمع الذي كان يتقاتل ويتآكل أفراده فيما بينهم، وأنه لم تكن هناك تنظيمات تسيّر هذا المجتمع ولا أخلاق تحكمه، ثم أنه مجتمع لا يعرف الكتابة ولا القراءة.

ومن مؤيدي هذا الاتجاه نجد المؤرخ اللغوي إيرنست رينان (Ernest Renan) الذي كتب في مؤلفه تاريخ اللغات السامية: "لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الذي صار به العرب أمةً فاتحةً مبدعةً، ولم يكن لجزيرة العرب شأنٌ في القرون الأولى من الميلاد حين كانت غارقة في دياجير ما قبل التاريخ، ولم يظهر بأسها وبسالتها إلا بعد القرن السادس من الميلاد"¹

وإذا كان مصطلح الجاهلية، لغويًا، من أصل جهل ومعناها عدم المعرفة بالشيء؛ فالصحيح في رأينا هو أن الجاهلية هي تلك الحقبة الزمنية التي سبقت مجيء الإسلام إلى

¹ غوستاف لوبون (2012): حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، مؤسسة الهندواي، المملكة المتحدة، ص 91.

دار العرب. فقد سميت بهذه التسمية لجهل المجتمع العربي بالرسالة المحمدية وهو ما اعتمد عليه المفسرون الدينيون لبعض الآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ¹ "، وهي آية تميز لباس المرأة قبل وبعد الإسلام.

فقد كانت المرأة قبل الإسلام تضع درعا من اللؤلؤ ومعتري الجانبين والألبسة الرقاق ولا توارى بدنها²، أي لا تستر جسدها، وهو ما غيَّره الإسلام بوضع شروط خاصة بلباس المرأة.

ثم أن الاعتقاد الذي كان يحول الاله قبل مجيء الإسلام أين كان العرب يعبدون الأصنام تغير بمجيء الإسلام لما جاء في الآية الكريمة: " وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ³ ". كما أنها مرحلة وصفها البعض بأيام الفترة أي الزمن بين الرسولين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم⁴.

فبمجيء الإسلام تحولت المرجعية الفكرية للمجتمع العربي من الأعراف والتقاليد السائدة آنذاك إلى دين الإسلام متمثلا في القرآن الكريم، وبالتالي فالجاهلية تصور ديني حول المجتمعات العربية لمرحلة زمنية تسبق الإسلام، لها خصوصياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وكان العرب أقوام رحالة يتنقلون لمسافات شاسعة بمد النظر عبر العير، حيث موطنهم شبه الجزيرة العربية. وكانت البداوة السمة الأكثر حضورا وانتشارا في الجاهلية وهو ما يذهب إليه المستشرق الفرنسي كاهن كلود (Claude Cahen) في حديثه عن العرب قبل الإسلام حيث يقول: "كان العنصر البدوي إذن العنصر السائد في الجزيرة العربية"⁵، وإذا كان العنصر البدوي هو الأكثر وجودا فإنه "إلى جانب القبائل الرّحل فئة من الناس تعمل بالزراعة في المناطق الخصبة الممتازة"⁶، يضيف المؤرخ الفرنسي كاهن، فهذا لا يعني غياب العنصر

¹ القرآن الكريم، سورة [الأحزاب]: 33.

² الحاج حسن حسين (1998): الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 20.

³ القرآن الكريم، سورة [آل عمران]: 33.

⁴ شكري محمود: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ص 15.

⁵ كاهن كلود (1972): تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدرالدين القاسم، دار الحميمة للطباعة والنشر، بيروت، ص 11.

⁶ كاهن كلود، نفس المرجع، ص 10.

الحضري تماما، فقد "أنشئت في بعض الحواضر دويلات بدائية يقوم عليها أشرف القبائل وكبار تجار القوافل، وبخاصة في مكة، حيث نزلت قبيلة قريش"¹.

كما كان هؤلاء البدو أو كما يلقبهم المؤرخون بالوبر²، يقطنون بيوتا متنوعة الأشكال منها خباء من صوف، بجاد من وبر، فسطاط من شعر، سرادق من قطن ... الخ، وكانت بيوتهم هذه أعزّ إليهم من القصور والمباني الفخمة، وهو ما يظهر في شعر ميسون بنت بحدل زوجة معاوية³:

لبيت تخفق فيه الأرواح أحب إليّ من قصر منيف

وآخر يقول⁴:

الحسن يظهر في شئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

"وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على الحضر لما كان فَعْدُ العِزِّ فيه. والجبين إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة بما يزرى بعلو الحسب"⁵، "ولما كان سكنى البادية مشهورة بصيانة العزّ والشرف، رجحها غالب العرب على الحضر وكثر حنينهم إليها، وذكر وحشها وطيرها، ورياضها ونبتها، وشجرها وأنجادها.

قال القاطمي:

ومن تكن الحاضرة أعجبتة فأى رجال بادية ترانا"⁶

كما كان تنظيمهم قبلي أوجبته البيئة الجغرافية التي كانوا يعيشون في أوساطها، بحيث تشكل كل قبيلة وحدة قبلية منفصلة ومستقلة بذاتها عن باقي القبائل، لا تعترف بسلطة خارجية عنها.

¹ كاهن كلود، نفس المرجع، ص12.

² الحاج حسن حسين، مرجع سابق، ص 22.

³ شكري محمود: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، ص394.

⁴ شكري محمود، نفس المرجع، الجزء الثالث، ص394.

⁵ شكري محمود، نفس المرجع، الجزء الأول، ص107.

⁶ الحاج حسن حسين، مرجع سابق، ص 23.

وقدا كانت القبائل العربية في هذا العصر تنقسم إلى قسمين: قبائل عدنانية واقعة في شمال شبه الجزيرة العربية وقبائل قحطانية في جنوبها.¹

ويشكل التنظيم القبلي الدعامة الأساسية للحياة الاجتماعية في الجاهلية بخاصة لدى البدو، ذلك أن كيان الذات البشرية يُستمد من القبيلة باعتبارها الغلاف الثقافي والروحي للفرد وكذا الدرع الحامي له. بالإضافة إلى طبيعة البناء القبلي الذي تُشكل فيه العصبية الرابط الجامع بين أفرادها ما جعل أن يشدد العرب في الجاهلية تمسكهم بأنسابهم وإيمانهم بضرورتها، حتى اعتزوا بها فهي بمنزلة الوطن بالنسبة لهم أو كالهوية.²

2-محددات الشرف عند العرب في الجاهلية: إن المتصفح والمتطلع على الحياة الاجتماعية للمجتمع العربي الجاهلي، يجد أن قيمة الشرف تتحدد معالمها في خمسة عناصر:

أ. النسب: فالنسب عند القبائل في الجاهلية يعود إلى الرجل، لما جاء في ذكر الجوهري أن القبيلة هي بنو أب واحد، وكذلك ابن حزم الذي أورد أن جُلّ القبائل العربية، باستثناء ثلاثة: تونح والعنق وغسان، منحدره من أب واحد³. وهذه المرجعية الأبوية راجعت إلى الطبيعة البطيركية المسيطرة على الفكر الاجتماعي العربي في الجاهلية وما بعدها.

يعتبر النسب محدد رئيسي من محددات الشرف في ذلك الزمان حيث يظهر هذا الارتباط في واحدة من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ألا وهي التفاخر، الذي يعني التعاضم والتفاخر (بشد الخاء) هو التعظم والتكبر كما جاء في معجم لسان العرب، وهو من الفعل الثلاثي فخر أي التمدح بالخصال والافتخار وعدّ القديم⁴. فقد كان العرب في الجاهلية يتمادحون بأنسابهم وأسلافهم لما نالوه من الشرف. وهذا المدح هو في واقع الأمر سبيل من السبل التي كان العرب ينتهجونها إما لكسب الشرف أو لتعزيره.

¹ ديزيره سقال (1995): العرب في العصر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار المصادقة العربية، بيروت، ص80.

² ديزيره سقال، مرجع سابق، ص81.

³ شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص191.

⁴ ابن منظور، مصدر سابق، ص 48-49.

كان التفاخر يقع بحضور طرف ثالث بمثابة المُحكِّم، يكون شخص أو مجموعة من الأشخاص لهم احترام واسع بين القبائل يتوجب على الطرفين المتفاخرين طاعتهم وقبول أحكامهم. ويقوم المحكمون بسماع حجج وأقوال المتفاخرين إلى أن يفرغوا من ذلك، ليُبدوا حكمهم وهو أصعب ما يواجهونه لما يخلفه الحُكم من أثر في نفوس المتفاخرين وكذا التأثير الذي يحدث على المكانة الاجتماعية للجهة الخاسرة في المفاخرة¹.

ومن الأمثلة كثيرٌ في كتب التاريخ والأدب العربي عن التفاخر بالأنساب، فيذكر المؤرخ العراقي جواد علي أنّ قبيلتين من الأنصار تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداها للأخرى: فيكم فلان وفلان؟ أي تملكون في قبيلتكم أشخاص بمثل ما نملك؛ وما كان ردّ الآخرين إلا بالمثل، وبعد التفاخر بالأحياء توجهت الطائفتين إلى القبور يَعدّان أسلافهم فتقول إحداها للأخرى: فيكم مثل فلان ويشيرون إلى القبر²، فقد كان التفاخر بالنسب رمز من رموز الشرف لدى القبائل العربية في الجاهلية والسبب في ذلك إضافة إلى ما تقدم، أن افتخار العرب بنسبهم هو تمجيد لما حققوه من انتصارات في المعارك والحروب، التي زادت من شأنهم وعظّمت شرفهم.

يعتبر التعديّ على المرأة من أبشع ما قد يمس بسمعة القبائل وشرفها؛ حيث كانت في حال وقوعها، تشكل جريمة تثور لأجلها القبائل وتزهق فيها الأرواح. لذلك كان العرب في الجاهلية يتجنبون الاقتراب من النساء يقول دخيل محمد في هذا الصدد "قُلُّ أن تحدث جريمة من هذا النوع في الجاهلية والا فقد تكون نذير الويل والحرب بين قبيلة المعتدي وقبيلة المعتدي عليها قد تفنى فيها مئات الرجال انتقاما لعرض البكر ودفاعا عن شرف القبيلة وسمعتها"³.

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أمرين: الأول يكمن في التصور الاجتماعي للمرأة، والثاني يكمن في قدسية النسب لدى العرب في الجاهلية. أما الأول فيتمثل في كون المرأة متاع للرجل فيتملكها وبالتالي كل من يحاول المساس بها يعتبر مساس في ملكية الرجل، ولهذا يثور الرجل للدفاع عن هذه الملكية حتى لا يعتبر من الجبناء تقاديا لوصمة العار التي قد تلحقه وقبيلته. أما الأمر الثاني فهو ذلك الاعتقاد حول المرأة والمتمثل في كونها المانحة

¹ جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، جامعة بغداد، ص590.

² جواد علي، نفس المرجع، ص589-590.

³ دخيل محمد يوسف، قراءة محمود علي: ادب العرب في الشعر الجاهلي بحث تحليلي لشعراء الجاهلية، مطبعة وادي الملوك، مصر، ص28.

للحياة والحفاظة للنسب وبالتالي وجب حمايتها حتى لا تختلط الأنساب، فالشرف كما جاء في لسان العرب هو النسب.

وعلى نقيض ما تقدم حول التصور الاجتماعي للمرأة ونظرا لأهمية النسب في تحديد وكسب الشرف، فقد ظهرت في الجاهلية ممارسات غريبة في النكاح أو على الأقل غريبة بالنسبة لقواعد الزواج المتعارف عليها في مجتمعاتنا المعاصرة. ومن بينها نجد نكاح الإستبضاع، وهو أن يرسل الرجل زوجته، بعد طهارتها من الحيض، إلى رجل آخر لتحمل منه، فيقول لها زوجها: "استبضعي من فلان". ثم لا يقربها حتى يتبين أنها حملت من ذلك الرجل الذي أرسلها إليه¹. ولو أن أصول هذا الممارسة وحجم انتشارها في الجاهلية غير محددة علميا، إلا أن المعروف عن هذه العادة أن الغاية منها هي تحسين النسل لكسب الشرف، إذ أنه ممارسة جنسية انتقائية مؤقتة تمارسها المرأة بأمر من زوجها مع أشرف القوم وأسيادهم.

فقد كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن الصفاة الحميدة والأخلاق تتوارث بالإنجاب، حيث يظهر ذلك جليا من خلال اختيارهم للأشخاص الذين ينكحون زوجاتهم وهو ما يذهب إليه جواد علي في مؤلفه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام²، أن الرغبة في نجابة³ الولد كانت تدفع بالعرب في الجاهلية إلى طلب هذا النكاح من أكابره ورؤسائهم في الشجاعة أو الكرم. ويضيف شهاب الدين التيفاشي في مؤلفه نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب: "غالبا ما يكون هذا النموذج -أي الشخص الذي تستبضع منه المرأة- شاعرا أو فارسا"⁴.

ب. المعيار الديمغرافي: يشكل الجانب الديمغرافي في المخيال الاجتماعي العربي الجاهلي

عنصرا مهما في تحديد الشرف بين القبائل، فقد كانوا يتفاخرون بعدد أفراد قبيلتهم لما يمنحهم كبر القبيلة من قوة وعزة أمام باقي القبائل. ولعلنا نستشهد هنا بتلك المنافرة الشهيرة بين عامر بن أحмир والمنذر ابن أمرؤ القيس الملقب بابن ماء السام، لما تحمله هذه المنافرة من مؤشرات عن أهمية العدد في تحديد شرف القبائل العربية في

¹ جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، جامعة بغداد، ص539.

² جواد علي، نفس المرجع، الجزء الخامس، ص539.

³ النجابة مصدر النجيب من الرجال، وهو الكريم في الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، دت، ص748.

⁴ التيفاش شهاب الدين أحمد (1992): نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، رياض الرايس، لندن، ص16.

الجاهلية. فيذكر أن "المنذر" أخرج بُردين¹ يوماً يبيلو الوفود، وقال: ليقم أعز العرب قبيلة، فليأخذهما. فقام "عامر بن أحмир" فأخذهما وانتزرت بأحدهما وارتدي الآخر، فقال له المنذر: أنت أعز العرب قبيلة؟ فقال بن أحмир: العز والعدد في معدّ، ثم في نزار، ثم في مضر، ثم في خندف، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بهدلة، فمن أنكر هذا فلينافرن، فسكت الناس، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تزعم، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك؟ فقال: أنا أبو عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة، وعم عشرة، وأما أنا في نفسي، فشاهد العز شاهدي، ثم وضع قدمه على الأرض، فقال: من أزلها عن مكانها، فله مائة من الإبل. فلم يبق إليه أحد من الحاضرين، ففاز بالبردين، وعرف بـ "ذي البردين".

يظهر من خلال هذه المناقشة أن بن أحмир أخذ يفتخر بعدّ وذكر أسماء القبائل ذات الشرف التي ينتمي إليها، ولما سأله المنذر عن واقع بين أهله بدأ يحصي أفراد عائلته لما لكبرها من معزة وشرف كان يتباهى به العربي في الجاهلية. فإذا كان العدد يشكل مظهراً من مظاهر القوة، فإنه في الوقت ذاته يعتبر محددًا ومظهرًا من مظاهر الشرف، ذلك أن القوة تلحق الانتصار والانتصار يحقق الشرف.

وهكذا كان للمعيار الديمغرافي أهمية بالغة في تحقيق الشرف في الجاهلية ومحوري في تصنيف القبائل والتميز بينها، فنجد قبائل تسمى بالأثنية وجمام العرب، وأخرى بالجمرة. والجمرة هي القبيلة التي لا يقل عدد فرسانها الثلاثمئة، حيث لها القدرة على أن تحارب لوحدها من دون محالفة قبائل أخرى².

وكانت كل قبيلة "تستقل بذاتها وبحماها وبرئيسها الذي تدين له القبيلة كلها بالطاعة والولاء، وكانت كل قبيلة تطمح في توسيع حماها ليعظم سلطانها وتصير أكثر غنى وجداً

¹ مثنى البرد، ومؤنثها البردة، وهو كساء يلتحف به الأعراب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 87.

² جواد علي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص 421.

وشرفاً، كما كانت بعض الحروب تنشأ رغبة في السلب والإغارة¹ فيذكر المؤرخ العراقي جواد علي أن بني عدنان وبني سهم، وهما حيين من قبيلة قريش تكاثروا بالسيادة والشرف².

وبالنظر إلى الدور الذي يلعبه العامل الديمغرافي في تحديد الشرف، لجأ العرب في الجاهلية إلى نظام التحالف قصد تعزيز مكانتهم، خاصة القبائل الصغيرة والميسورة منها، من خلال زيادة حجم القبيلة باندماجها مع قبيلة أو قبائل أخرى. حيث بمجرد وقوع الحلف يصبح للقبائل المتحالفة نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات، وفي هذا السياق يذكر جمعة محمد محمود أنه "كان فرضاً على كل رجال الحيّ نصره الحليف فكانوا ينفرون لندجته إذا استغاث والأخذ بحقه إذا ظلم وطلب دمه إذا قتل حتى ولو كان في ذلك فناؤهم"³.

فالتحالف كان استراتيجية من إستراتيجيات القبائل الهشة لتكييف نموها الديمغرافي، ليس فقط لمجابهة الأوبئة الناجمة عن ظروف الحياة واستمرار القبيلة في الوجود، وإنما لدعم مكانتها في محيطها الاجتماعي.

ج. الرجولة: تشكل الرجولة مفهوماً مركزياً في تحديد الشرف في المجتمع الجاهلي. وهي صفة ملازمة للرجال عن النساء. وتقضي الرجولة مجموعة من الخصال كالشجاعة والأنفة ورفض المهانة والذل والقدرة على قيادة الحروب. ومن شعر العرب في الجاهلية حول الشجاعة:

فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا ... أَنَحْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... وَلَا نَحْنُ أَغْضِيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتَرِ

فقد "خص العرب من الشجاعة في حروبهم، والنجدة في مصابرة عدوهم، ما شهدت به تواريخ الأمم"⁴، وبالنظر إلى هذه الصفة المقدّسة لدى العرب في الجاهلية فقد امتد أثرها حتى في الحياة اليومية، حيث كان العمل والصناعة والنشاط الاقتصادي بصفة عامة يشكلون وصمة

¹ ناهد أحمد السيد الشعراوي (2005): عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، قناة السويس، مصر، ص 113.

² جواد علي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص 589.

³ جمعة محمد محمود (1949): النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مطبعة السعادة، القاهرة، ص 165.

⁴ شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 107.

عار على صاحبه، ذلك أن العمل اليدوي خاصة تمتاز بها المرأة وبالتالي هي شكل من أشكال الجبن، يقول في هذا الصدد هني عبد القادر: "لم يكن العربيّ يسمح لنفسه بمزاولة نشاط آخر غير السلب والنهب، فهو يحتقر تلك الأعمال اليدويةّ فهي في نظره تعبّر عن الخور والجبن"¹. ويضيف على الوردى أنّه "من أكبر العار أن يقال عن العربيّ أنّه صانع أو حائك، فذاك يعني في نظرهم أنّه ضعيف يحصل على قوته بعرق جبينه كالنساء ولا يحصل عليه بحدّ السيف"². ويظهر من خلال تعبير علي الوردى أن السيف، إذا كان سلاحا يستعمل للدفاع عن النفس، فهو كذلك رمزا من رموز الشجاعة والبراعة اللتان تعبران على الرجل الشريف لدى العرب في الجاهلية، إذ يؤكد في هذا الصدد غوستاف لوبون بقوله: "ونرى الأعراب متماثلين في أمور العزّ والشرف؛ لتمام أحوالهم ومشاعرهم، ويقوم فخرهم على السيف والقوى والبلاغة، فبحدّ السيف يصونون حقوقهم"³ ويظهر هذا الرمز كذلك في شعرهم، يقول حيان بن ربيعة الطائي:

لقد علم القبايل أن قومي ذؤو جد إذا لبس الحديد
وأنا نعم أحلاس القوافي إذا استعر التنافر والنشيد
وأنا نضرب الملحأ حتّى تولي والسيف لنا شهود

وتتمظهر الرجولة كذلك في واحدة من العناصر المشكّلة للهوية الذكورية للفرد ألا وهي الألقاب، فقد كان العرب في الجاهلية يسمون أبناءهم أسماء ترمز للبراعة والقوة على نحو صخر ومقاتل، بنية تخويف العدو. فيذكر لنا التاريخ أنه "قيل لأبي الدقيش الكلابي: لما تسمون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا"⁴، أي أن الأبناء معدة للأعداء؛ فاخترأوا لهم

¹ هني عبد القادر، تواتي خالد (2021): الشرف القبلي وصناعة النموذج البطولي في العصر الجاهلي (قراءة في نماذج من الشعر الجاهلي)، دراسات معاصرة، العدد 02 المجلد 05، جامعة تيمسليت، الجزائر، ص193.

² الوردى علي (2007): الأخلاق: الضائع من الموارد الخلقية، شركة الوراق للنشر المحدودة، بيروت، لبنان، ص15.

³ غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص84.

⁴ شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص193.

شر الأسماء لترهيب الأعداء والمتربصين بالقبيلة، في حين العبيد فاخترتوا لهم خير الأسماء ذلك أنهم خدمة لهم.

كما يذكر كذلك الحافظ ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة أنه: "كانت للعرب مذاهب في تسمية أولادهم، فمنهم من سمى تقاؤلاً بالظفر على أعدائهم نحو غالب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل ومعارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق. ومنهم من تقاءل بنبيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدي وغانم ونحو ذلك. ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تقاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل. ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمي ما تلده باسم أول ما يلقاه كائنا ما كان من سبع أو ثعلب أو ضبّ أو ظبي أو كلب أو حشيش أو نحو ذلك وكان القوم على ذلك إلى أن جاء الإسلام"¹

فالشجاعة محدد هام في بناء التصور الاجتماعي القبائل الجاهلية، فهي التي تمنحهم القوة للدفاع عن أفرادهم وثرواتهم. يقول شكري محمود "حيث كان العرب لا تقدم شيئاً على العزّ وصيانة العرض ومحاماة الحريم، هانت عليهم نفوسهم دون ذلك"²، أي أنهم لا يقدمون شيء على تلك المثل العليا المتمثلة في الدفاع عن عزتهم وصيانة عرضهم ومحاماة الحريم.

- الثروة: ذكر أبو منصور الثعالبي في حديثه عن الإبل في العصر الجاهلي أن "البكر بمنزلة الفتى، والقلوص³ بمنزلة الجارية، والجمال بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والبعير بمنزلة الإنسان"⁴. فيظهر من خلال هذا القول أنّ الجمال مراتب ومنازل لدى العرب في الجاهلية مثلها مثل البشر، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مكانة الإبل في المخيال الاجتماعي الجاهلي حيث ارتقت إلى مستوى التقديس.

وهذا السبب راجع إلى كون الجمال تشكل أبرز الحيوانات التي اعتمدها الإنسان الجاهلي في ترحاله وأسفاره ومعاركه، ذلك أنها يسيرة التنقل في الرمال وذات قدرة على تحمل جفاف الصحراء، ناهيك عن استعمالها في الأكل واللباس. فقد رافقته في مختلف حالاته، السلمية

¹ شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص193.

² شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الأول، ص107.

³ القلوص هي الإبل الشابة القوية وأول ما يركب من إناثها.

⁴ ديزيره سقال، مرجع سابق، ص16.

والحربية، لهذا كان امتلاك الجمال دليل صارخ على رفعة القبيلة أمام باقي القبائل يقول صاحب كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: "والجمال ثروة، والثري العربي هو من يملك عددا كبيرا من الإبل، وتقدر ثروته بقدر ما يملكه منها"¹.

لقد كانت الحيوانات تشكل عنصرا من العناصر الناظمة للشرف القبلي في الجاهلية، من خلال حملتها الرمزية. إذ ثارت حروب دامية جراء الاعتزاز بالحيوان مثل: الجمال والفرس، بحيث يذكر التاريخ في واحدة من أكبر الوقائع في الجاهلية أنه نشبت حرب حملت اسم فرسين -داحس والغبراء- دامت أربعون عام. وهذا العز الذي كان يوليه الجاهليون للحيوان، فقد كان يرتبط بمفهوم الثروة على وجه الخصوص، أين " كان البدو يعتمدون في حياتهم على الخيل والإبل والغنم، وكانت هذه الحيوانات لا تقدر بثمن، لأن فيها أساس بقائهم، كما أنها مثلت دورا كبيرا في الصحراء كوسيلة من وسائل النقل والمواصلات، كما كانت أهمّ العدد الضرورية في القتال، فكان البدو يعتمدون على هذه الحيوانات أيام السلم وأيام الحرب. ومن ثم أصبح لها في نظرهم قيمة عظيمة، وسموها(المال)، فكانت ثروة الشخص تقدر بعدد ما يملكه من هذه الحيوانات"².

من هنا ندرك أن الثروة كانت عنصرا محددًا للشرف ويحققها الفرد والقبيلة على حدّ سواء من خلال ممتلكاتهم المتمثلة في الثروات الثلاث: الحيوانية، النباتية والعقارية. أما الأولى فتتمثل في البعير والخيول... الخ، الثانية تتمثل في موارد المياه والكأ، وأخيرا الثالثة تنحصر في الأراضي التي يستولي عليها القبائل؛ " فالمكانة الاجتماعية للقبائل تنعكس من خلال ترتيب ورود المياه، ومن خلال الاستيلاء على الأراضي التي يكثر فيها العشب، فالقوة الاقتصادية رمز صارخ ودليل واضح على الرياسة والشرف"³. ويذكر هنا هني عبد القادر، أن الثراء يُشكّل مؤشر على قوة واستقلالية القبائل وبالتالي قدرتها على الاستمرار في الوجود وتحقيق الاكتفاء الذاتي من دون الاستعانة بالقبائل الأخرى.

3-أنواع الشرف عند العرب في الجاهلية:

¹ جواد علي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص197.

² حنا نصر الحتي (د ت): مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 34.

³ هني عبد القادر، تواتي خالد، مرجع سابق، ص192.

من خلال ما تقدم في العنصر السابق الخاص بمحددات الشرف عند العرب في الجاهلية، يظهر لنا أنه تشكلت أنواع عدّة من الشرف في المجتمع العربي قبل الإسلام ونلخصها في العناصر التالية:

- **الشرف القبلي:** وهو سمعة القبيلة ومكانتها في محيطها السوسيو-سياسي. وهو شرف جماعي يخص أفراد القبيلة ككل. بحيث يعمل كل فرد من أجل المحافظة عليه وحمايته من خلال التزامه بالقوانين العرفية التي تصيغها القبيلة، والتي تؤكد على ضرورة مجابهة أي خطر خارجي من شأنه أن يقلل من مكانة القبيلة أمام أقرانها من القبائل، يقول عفيف عبد الرحمان: "ينحصر هذا الدستور -القانون العرفي للقبائل في الجاهلية- في أن جميع أفراد القبيلة متساوون فيما بينهم يتساندون في الحفاظ على شرف القبيلة وحماها"¹

وتتحدد معالم الشرف القبلي في مفاهيم النسب والعدد والعدّة (بضم العين) والثروة ونظيف إليهم مفهوم التضامن باعتباره فعل اجتماعي يبرز مدى التزام الفرد بالقواعد والقيم التي وضعتها القبيلة ناهيك عن الشعور الذي يحدثه في نفسيته. فقد كان التضامن القبلي على حد تعبير كاهن كلود "يعوضهم عما يشعرون به من شوق بالغ إلى الحرية ويدفعهم إلى القيام بغزوات تكاد تكون مستمرة بين القبائل طلباً للتأثر أو طمعا في الغزو والغنائم"²

- **الشرف الفارسي:** بعكس ما دونه شوبنهاور، ولو أنه من الأوائل الذين تطرقوا إلى مثل هذا النوع من الشرف، أن الشرف الفارسي هو نوع خاص ظهر في المجتمعات الأوروبية خلال العصور الوسطى. فقد كان هذا النوع من الشرف متواجداً عند العرب قبل القرن السادس للميلاد. وهو شرف فردي يخص الرجال عن النساء، وبما أن أفراد القبيلة متساوون في الدفاع عن شرفها، فإن الشرف الفارسي يعني جميع أفراد القبيلة. ومن مبادئه لدى العرب في الجاهلية: الرجولة التي تجمع بين المروءة، الوفاء والشجاعة،

¹ عفيف عبد الرحمان (1984): الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص32.

² كاهن كلود، مرجع سابق، ص11.

والثبات في المواقف. يقول شكري محمود في هذا الإطار "وهم في موقفهم لم يزولوا عنه هرباً، ولا حازوا فيه رغبا، بل ثبتوا بقلب آمن، وجأش ساكن"¹.

ويتبين مبدأ الفروسية لدى الفرد العربي الجاهلي في المقولة التي وجدناها في كتاب تاريخ الأدب العربي للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (Regis Blachère): "الذل بالحراث والمهانة بالبقر والعز بالإبل والشجاعة بالخيول"²، فالفرد الجاهلي يرى مذلة في العمل والنشاط الاقتصادي، لهذا أطلقوا على العمل اليدوي اسم المهنة، وهي مشتقة من المهانة على حد تعبير علي الوردي³. إذ يرى-الفرد الجاهلي-اكتمال شخصيته وجوهر وجوده في رجولته التي تقاس "بالغلبة والاستحواذ"⁴. لهذا فالفروسية شكلت أداة لاستعراض الذات ومن خلالها يستعلي الفرد صورة الأنا التي كانت تطمس بفعل الضغط الاجتماعي الذي لا يعترف إلا بالجماعة.

كما تظهر محددات هذا النوع من الشرف جليا في الصفاة التي يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة والتي تؤهله لقيادتها في جميع الظروف، سلمية كانت أم حربية، باعتباره المثل الأعلى الذي يحتذى به. وقد أسردها الألويسي في حديثه عن شروط السؤدد في ستة خصال: السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان⁵.

أما الصبر والحلم والتواضع والبيان فهي ملكات عقلية تشير إلى حسن التفكير ونضوج العقل ما يمنح صاحبها الحكمة في اتخاذ القرارات، والنجدة هي مؤشر على شجاعة الرئيس وقدرته على مساعدة أفراد قبيلته والدفاع عنهم، أما السخاء فنلخصه في مفهوم الكرم.

هكذا إذن يظهر أن الشرف الفارسي لدى العرب في الجاهلية يحتوي على ثلاث عناصر أساسية العقل في تدبير شؤون القبيلة إذا كان الفرد سيدا من أسيادها، الشجاعة في الدفاع عنها والكرم في ضيافة الجار والزائر. أي أنه حتى تحتسب من أشرف القبيلة يجب أن تكون ذو عقل وكرم وشجاعة.

¹ شكري محمود، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 107.

² بلاشير ريجيس: *الأدب العربي (العصر الجاهلي)*، تر. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، د ت، ص 33.

³ الوردي علي، مرجع سابق، ص 15.

⁴ الوردي علي، نفس المرجع، ص 15.

⁵ شكري محمود (1964): *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، مصر، ص 187.

بالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت القوة الجسدية عنصراً بارزاً في تحقيق الشرف الفارسي، ذلك أن الخلافات في الجاهلية إذا لم يتم تسويتها بالسبل السلمية، تلجأ القبائل إلى الحروب. والحرب تقتضي غلظة الجسد وقوة البدن يقول في هذا الصدد حنا نصر الحتي: "والاحتكام إلى السيف يقتضي يدا قوية متينة التركيبة، وجسماً مفتولاً أيّداً، شديد العضل"¹.

كما كان الوفاء من مبادئ الفروسية ذلك أن الغدر يعتبر من السلوكيات المنبوذة التي تلحق بصاحبها وصمة العار إذ يذكر طقوش محمد سهيل أن من يغدر "يتعرض للتشهير في الاجتماعات العامة والأسواق الكبرى حتى يلحق العار به"². فقد كان العرب يعتقدون بالوفاء إلى أن أصبح مقدساً عندهم، وما كان للعربي من شيء أكثر قداسة من كلمة يقولها فتكون عليه ديناً. فالكلمة هي الوعد الذي يصونه العربي، وفي هذا قال الحارث بن أبي شمر الغساني بعد أن هدد السّموّأل (السّموّأل) بن غريض بن عادياء بقتل ابنه، لرفض السّموّأل منح دروع وضعت عنده أمانة³:

وفيت بذمة الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عادياء يوماً بأن لا تهدم يا سموّأل ما بنيت

بنى لي عادياء حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت

4-العوامل المغذية للشرف القبلي لدى العرب في العصر الجاهلي

يمكن إرجاع العوامل المساعدة على تنامي الشرف القبلي لدى العرب في الجاهلية إلى عنصرين أساسيين: الطبيعتين الجغرافية والاجتماعية التي كان يعيش فيها ويتفاعل معها العنصر العربي في الجاهلية.

- **الطبيعة الجغرافية:** "حسب تعبير عفيف عبد الرحمان فلقد فرضت الصحراء على العرب أخلاقاً خاصة وألزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولا، وصارت لهم على مرّ السنين جبلةً وفطرة"⁴ "ليس في البادية مكان للضعيف، ولا داع يدعو إلى مبادئ العدالة

¹ حنا نصر الحتي، مرجع سابق، ص 67.

² طقوش محمد سهيل (2009): تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ص194.

³ طقوش محمد سهيل، نفس المرجع، ص194.

⁴ عفيف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص67.

والمساواة، لاسيما عندما تكون مواطن العشب قليلة، وموارد الماء نادرة، فالاضطرار يدفعهم إلى الاحتكام لحدّ السيف، والحرب وحدها هي الحكم¹.

ثم أن الخوف من الموت في وسط الصحراء القاحلة جعل أن تبحث القبيلة عن كيفية بقائها واستمرارها ولا يتجسد هذا المسعى إلا من خلال استمرارية العنصر البشري في البقاء والتكاثر فكان للنسب شأن عظيم بخاصة لما قاد أسلاف القبائل في الجاهلية مقاومات وحروب جعلت أن يكونوا في أعلى المراتب أمام باقي القبائل وبالتالي تحولت تلك الانتصارات إلى أمجاد تعتز بها القبائل، ما أدى إلى نمو المحدد النسبي في مفهوم الشرف للاعتقاد القائم على توارث الخصائص الأخلاقية والخلقية من خلال النكاح.

- **الطبيعة الاجتماعية:** وجود التنظيم القبلي جعل لكل قبيلة عزة وشأن تدافع عنهما أمام باقي القبائل، الأمر الذي خلق جو من المنافسة في الوسط الاجتماعي الجاهلي على المكانة الاجتماعية لكل قبيلة، ما جعل أن يبقى الشرف حبيس هذه الرؤية والتنظيم الاجتماعيين. فقد كانوا بتعبير كلود كاهن، في هذه الحالة "عاجزين عن إنشاء اتحاد فيما بينهم يجمع شملهم على نحو يكون أوسع أو أكثر استقرار من وضعهم القبلي"².

إضافة إلى هذا فقد كان المجتمع العربي في الجاهلية مولوع بأعراف العصبية القبلية ولا يحتكم إلا لمبدأ القوة، وهو ما جعل الشعراء، ومن أشهرهم امرؤ القيس، يتغنون بمآثر أقوامهم وينشدون أيام العرب الكبرى أكثر من كتابة الشعر في بمشاعر الحب والعشق. فقد كان العرب كما وصفهم النابغة الذبياني³:

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ ... وَتَنْقِي مَرَبِضَ الْمُسْتَنْفِرِ الْحَامِي

كما أن حياة العزلة التي كانت تعيشها القبيلة العربية في الجاهلية، كانت واحدة من العوامل الأخرى التي زادت من الوجود القيمي للشرف الفارسي والقبلي لدى المجتمع العربي حينها؛ ذلك أن القبائل كانت ملزمة بتحقيق الأمن والسلام لأفرادها وبالتالي وظيفة الدفاع عن القبيلة وكيانها كانت من نشاط أفراد القبيلة، الأمر الذي يستوجب منهم اكتساب صفة الشجاعة

¹ هني عبد القادر، تواتي خالد، مرجع سابق، ص 193.

² كاهن كلود، مرجع سابق، ص 11.

³ النابغة الذبياني (1976): **الديوان**، تح: الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 249.

والبسالة من خلال تعلم مهارات القتال، يقول عبد الرحمان ابن خلدون: "أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة، وذلك أن الحضرة أوكلوا أمر المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، والحامية التي تولت حراستهم. وأهل البادية لتفردهم عن المجتمع وبعدهم عن الحامية، قاموا بالمدافعة عن أنفسهم فلا يوكلون أمرهم لسواهم"¹.

والعامل الاجتماعي الآخر الذي نرى أنه زاد من وجود الشرف في المجتمع العربي في العصر الجاهلي هو انغماس القبائل العربية في الأقوال واهتمامهم بما قيل عنهم ما أدى إلى تبلور ظاهر التقاخر بالنسب، وكذا اهتمام العرب بالشعر. فمن خلال الشعر يتباهى العرب بشرفهم ويمجدونه ويدافعون عنه، إذ أن فصاحة اللسان كانت مؤشرا من مؤشرات الشرف "سلاحهم كلامهم، به يتفننون، وبكلامهم يتلاعبون"²

ثالثا: الشرف في منطقة الريف المغربي من خلال دراسة رايمون جاياموس

رايمون جاياموس (Raymond Jamous) هو باحث أنثروبولوجي له العديد من الأعمال في هذا الحقل المعرفي الأناسي، وتعتبر دراسته حول قبيلة "أفرعيين" من الدراسات الجادة التي اهتمت بالوصف والتحليل للبنى الاجتماعية لهذه القبيلة البربرية الواقعة في الجهة الشرقية من الريف المغربي. وظهرت هذه الدراسة في بداية ثمانينيات القرن الماضي في كتابه "العرض والبركة: البنى الاجتماعية التقليدية في الريف".

ولوصف العلاقات الاجتماعية لقبائل ريف المغرب الأقصى، يقول الإثنولوجي الفرنسي رايمون جاياموس: "أنهم يستخدمون مصطلح العرض والذي يعني الشرف، الدعوة، الانتشار بلمع، ويتضمن التحدي"³. لكن يرى في نفس الوقت أن تعريف هذه القيمة الاجتماعية ... هو أكثر تعقيداً مما يبدو للوهلة الأولى. "الشرف يمثل تلك الفضيلة، و"القوة"، والصفة، تلك القيمة الملتصقة بفئة معينة أو فرد. إنها "مادة" لا يمكن استيعابها في حد ذاتها، ولكن فقط من خلال إشاراتها الخارجية. وهذه الأخيرة تكون على مستويين: تملك ميادين المحظورات والمشاركة في

¹ عبد الرحمان ابن خلدون (د.ت): العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ص66.

² جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، جامعة بغداد، ص 264.

³ Jamous, R. (2019). Honneur et Baraka: les structures sociales traditionnelles dans le Rif. Editions de la maison des sciences de l'homme, Paris, P68

مبادلات العنف. إنهم يجعلون من الممكن التمييز بين أولئك الذين لديهم الشرف، والذين يمكنهم الحصول عليه والذين لن يحصلوا عليه أبداً¹.

1- ميادين الممنوعات:

أ. **الإقليم (Territoire):** كل مجموعة انقسامية² ملزمة بالمحافظة على سلامة إقليمها من الهجمات الخارجية التي قد تأتيها من أي مجموعة غريبة. بهذا فإن المجموعة الانقسامية تمارس سلطتها على كل الأفراد المنتمين إليها. وفي نفس الوقت في داخل كل مجموعة انقسامية يتوجب على كل رجل أن يدافع على ميادين الممنوعات الخاصة به والمتمثلة في الأرض، البيت والزوجة أو الزوجات.³ بهذا يشكل الإقليم فضاء اجتماعي مكون من الأرض، البيت والمرأة.

ب. **المرأة والبيت (Femme et Maison):** يعتبر الزواج أول شرط تفرضه قبيلة افرعيين على الرجل لنيله درجة الشرف "حتى تكون رجل الشرف يجب أن تكون متزوجاً"⁴. وتخضع المرأة للمراقبة من طرف أبوها وزوجها، ذلك أنهم يتمتعون بالسلطة عليها، باعتبار أنها لا تتحكم في أهوائها الجنسية ما قد يجلب وصمة العار للأسرة في حال الممارسة الجنسية خارج إطار الزواج.⁵

كما يمارس الأب سلطته على أبنائه حتى توافيه المنية، ذلك أنه القائد في البيت، ويتوجب أن تكون قراراتها قطعية لا رجعة فيها، فأبي عصيان من أبنائه يجلب وصمة العار التي قد تمس بشرفه.

ج. **الأرض (Terre):** تشكل الأرض الملكية الأكثر قيمة لدى قبيلة افرعيين، وحتى يكون الرجل ذا شرف كامل يتوجب عليه امتلاك قطعة أرض. ذلك أنها تسمح له من نيل

¹ Jamous, *Ibid*, R, P68.

² مصطلح المجتمعات الانقسامية يعود إلى المرحلة الكولونيالية. وهو مفهوم صاغه السوسولوجي الفرنسي إيميل دوركايم. للاطلاع أكثر حول الموضوع أنظر كتابه: في تقسيم العمل الاجتماعي.

³ *Idem*, P68

⁴ *Idem*, P68

⁵ *Idem*, P68

استقلالته والتخلص من وضعية "المحمي"¹. فتملك الأرض بعدا ذو رمزية ودلالة اجتماعية وأيدولوجية أكثر منها اقتصادية.²

من هنا يميز رايمون جايموس بين ثلاث فئات من الرجال في قبيلة افرعين: الفئة التي لا يمكنها أن تمتلك الأرض وتتمثل في اليهود والفنانين الموسيقيين، وهي فئة مستبعدة من لعبة الشرف ذلك أن لها مكانة اجتماعية متدنية جدا.

الفئة الثانية ويقسمها إلى فئتين فرعيتين: عائلات المحمي وأبناء قائد البيت. أما الأولى فهي تابعة لقائد البيت صاحب الملك العقاري، ومن ينتمي إلى هذه العائلات يعتبر عديم المسؤولية. في حين الفئة الفرعية الثانية وهم أبناء قائد البيت، يتوجب عليهم الاحترام والانصياع لوالدهم. عندما يكونون عزاب، فإنهم يعملون في الحقول، بعد الزواج يصبح لهم الحق في غرفة خاصة داخل البيت.³

أما الفئة الثالثة وتتمثل في قاندا البيوت، فلهم السلطة الكاملة والتامة على ميادين الممنوعات. هم فقط من يملكون صفة رجل الشرف بالمعنى الكامل والدخول في مبادلات العنف. فخاصية قائد البيت، تسمح لهذه الفئة من الحضور في الاجتماعات، والمشاركة في القرارات الجماعية الكبرى التي تخص الجماعة ككل.⁴

2- مبادلات العنف (Les échanges de Violences):

يرى رايمون جايموس بأن الشرف يتمظهر من خلال مبادلات العنف وهو المظهر الثاني أو الجانب الآخر لهذه القيمة، ذلك أن قيمة الشرف، تقتضي من الفرد والجماعة على حد سواء التفوق على الآخرين. فالفرد الذي ينغلق على ذاته ويرفض كل اتصال خارجي يفقد شرفه. من هنا حدد جايموس ثلاث مستويات لمبادلات العنف في مجتمع الريف المغربي، كلها تتضمن التحدي والتحدي المضاد:⁵

¹ *Idem*, P68

² *Idem*, P69

³ *Idem*, P69

⁴ *Idem*, P60

⁵ *Idem*, P70

أ. **المبارزات الخطابية (Les joutes Oratoires):** رجل الشرف يجب أن يكون متواضعا وألا يتفاخر. وهو جد متمكن من اللغة ذلك أن خطابه دقيق جدا، إذ أنه مدرك بما يجب قوله من عدمه وكذا الوقت والمكان اللذان يجب أن يتحدث فيهما إضافة إلى الطريقة الملائمة في بناء خطابه.

وتجري المبارزات الخطابية غالبا خلال اجتماعات العائلة أو الجماعة، أين يلتقي رجال الشرف ويمارسون مواهبهم اللغوية في إذلال الآخرين. تدوم هذه المبارزات الخطابية لساعات وقد تكون متبوعة من طرف جمهور كبير، وهنا تبرز قدرات رجال الشرف في استخدام فن اللغة حيث ينال الفائز مكانة اجتماعية أعلى عندما يحسن تقادي وتدوير الكلمات الموجهة إليه. كما قد يخسر الفرد فيها شرفه إذا لم يحسن استخدام اللغة خاصة في حال تلفظه بكلمات دنيئة خارجة عن الأطر المتعارف عليها.¹

ب. **نفقات التفاخر (Les dépenses Ostentatoires):** وهو مستوى اقتصادي يتمثل في النفقات، حيث يمنح له سكان الريف المغربي أهمية بالغة. ذلك أنه يعتبر مظهر من مظاهر التحدي، إذ يبرز من خلاله الفرد مكانته. وينقسم إلى نوعين: نفقات البذخ ونفقات في شكل هبة.

أما النوع الأول فهو يخص الفرد وعائلته، كما أنه يحمل خاصية تتمثل في التقليد. إذ بمجرد أن يقتني الفرد شيء معين حتى تتبعه المجموعة الانقسامية في اقتناء ذلك الشيء وقد تصل إلى مستوى القبيلة ككل.²

في حين النفقات في شكل هبة، فهي تدخل في إطار السخاء والضيافة وهي تكون في علاقات ثنائية بين العائلات أو القبائل مهما كان بعدها القرابي. ففي قبيلة افرعيين، لما يحتفظ الرجل بماله، ماشيته أو محاصيله الزراعية لعائلته، يعتبر دليلا على الخوف أمام الآخرين. فسلوك مثل هذا يعتبر انحراف عن الشرف ما يجعل صاحبه موضع السخافة.³

¹ *Idem*, P72

² *Idem*, P73

³ *Idem*, P73

أما الضيافة، فتعتبر أمر واجب ومشروط. ذلك أنها تشكل شكل من أشكال التحدي أمام المجموعة. إذ يتوجب على قائد البيت وفي العديد من المناسبات: ميلاد، ختان، زواج، جناز... الخ، أن ينفق الكثير من الأموال لاستقبال وإطعام الضيوف. بالمقابل يتوجب على هؤلاء الذين حضروا أن يؤدوا نفس الواجب، وهنا تظهر العلاقة الثنائية التي تميز هذا النوع من نفقات التفاخر والتي تحدث عنها جايموس متمثلة في التحدي والتحدي المضاد، أو كما عبر عنه بيار بورديو في دراسته للشرف بمنطقة القبائل الجزائرية بالتحدي ورفع التحدي.

ج. جرائم القتل والعنف الجسدي:

يرى جايموس أن جرائم القتل في المجتمع الريفي المغربي المنطوية تحت قيمة الشرف، هي ظاهرة اجتماعية كلية وجب دراستها على هذا النحو. منتقدا في ذات السياق النظريات الإيكولوجية الأنجلوساكسونية والتي تزعمها دافيد هارت (David Hart) القائلة بأن جرائم الشرف في الريف المغربي تشكل عملية مساوات أو موازنة بين الكثافة السكانية والمصادر الطبيعية.¹ فجرائم القتل المنطوية تحت قيمة الشرف هي عبارة عن عملية تحدي ورد للتحدي، حتى لا يفقد الفرد شرفه في البيئة الاجتماعية المنتمي إليها.

3- طرق العنف الجسدي:

يذكر جايموس أنه، وبحسب الإقريون، نتيجة لانتهاك أحد العناصر الناظمة لقيمة الشرف تتشب حروب طاحنة بين المعتدي والمعتدى عليه. إذ تشكل ميادين المحظورات متمثلة في المرأة والأرض على وجه الخصوص عناصر وجب حمايتها. وينتج عن المداهمة والسرقة في المنزل والاعتداء على امرأة والاعتداء على الأطفال أو على ممتلكات الآخرين إهانة لشرف الرجل وجماعته.

إن تبادل العنف في هذا المجتمع يبتدأ دائما بانتهاك مجال المحظورات حيث تظهر أنواع مختلفة من العنف الجسدي، وقد قسمها رايمون جايموس إلى أربعة أنواع: القتل بالخداع والذي ينبثق بمجرد تحدي شخص (أ) للشخص (ب)، المعارك، الضربة للضربة وهي نوع من تبادل القتلى، المجازر، سلسلة الضربة للضربة وهي تبادل في القتلى. ولا تنتهي هذه المعارك

¹ Idem, P75

والأفعال العدوانية إلا بتدخل حكماء القرية والذين يهدئون الأوضاع من خلال الخطابات الدينية، أو بالتعويض المادي بتقديم أموال لعائلة الضحية بما يعرف بنظام الدية.

خلاصة:

في ختام هذه الفصل نصل إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها فيما يلي:

إن قيمة الشرف في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى كانت محصورة لدى فئة قليلة بحيث لا يمكن أن يحملها جميع أفراد المجتمع. وكانت هذه القيمة منحصرة لدى فئة النبلاء نتيجة الخدمات التي يقدمونها للحكام والوظائف التي يمارسونها على غرار الوظائف العسكرية والإدارية.

كما أن الشرف في المجتمع الأوروبي خلال العصور الوسطى كان أداة للتمايز الطبقي، فبمجرد أن يحصل الفرد على قيمة الشرف يرتقي إلى درجة معينة في الهرم الاجتماعي الأمر الذي يجعله يتحصل على مجموعة من الامتيازات، وبالتالي فالشرف قيمة تمنح الامتيازات المادية والمعنوية وليست الامتيازات هي التي تمنح الشرف.

والشرف لدى النبلاء يحمل معنى المكانة الاجتماعية التي يتحصل عليها الفرد من خلال تجميعه لجملة من الخصائص منها الشجاعة، البسالة، الإخلاص والوفاء. والتي يعتقد أنه يرثها من خلال الـ "الدم الأزرق". إلا أن هذا التصور، يحمل تناقضات فالأبناء النبلاء كانوا يدرّبون ويروضون على سلوكيات معينة تجعلهم يحملون لتلك الصفات بعكس باقي أفراد المجتمع الذي لا يمرون بنفس مراحل التنشئة الاجتماعية.

ويتضح كذلك أن الشرف عند العرب في العصر الجاهلي يتعدى أن يكون مجرد قيمة اجتماعية بحيث تجده نظاما اجتماعيا عمل على تحقيق جملة من الغايات التي كان يصبوا لتحقيقها مثل استمرارية القبيلة والنظام القبلي الذي كان قائما على الذكورية، وهذا التصور والانعكاس لقيمة الشرف على الحياة الاجتماعية نجده كذلك لدى الاقرييين في بلاد المغرب الأقصى من خلال الدراسة التي أجراها رايمون جايموس، إذ وبالرغم من مرور قرون على زوال الحقبة الجاهلية في بلاد العرب إلا أن تصور الفكر الجاهلي حول قيمة الشرف لا تزال قائمة.

أخيرا يمكن القول أن قيمة الشرف تتحكم فيها عديد من العوامل الاجتماعية وكذلك الطبيعية، وذلك راجع إلى عملية التأثير التي تحدثها الطبيعة في الإنسان ما يجعله يضع تصورات تمكنه من التعايش مع العامل البيئي المحيط به.

الفصل الرابع: الشرف في الثقافة الجزائرية

تمهيد

أولاً: عن الثقافة الجزائرية: أصولها ومقوماتها

ثانياً: مفهوم الشرف في الثقافة الجزائرية

ثالثاً: الشرف والتنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري

رابعاً: حماية الشرف في المجتمع الجزائري

خامساً: الشرف في التشريع الجزائري

تمهيد:

منذ القرن الثاني هجري على أرض شرعت منذئذٍ تتحدد هويتها الحضارية التي قامت على دعامتين حضاريتين أساسيتين هما اللغة والدين، لم تلبث أن اتخذت لغة القرآن أداة فكر وبحث وخطاب قومي ثلاثي مقدس متكامل ومتلاحم خصوصاً في الجزائر: الأرض وطناً والعربية لغة والإسلام ديناً.¹ وخلفت لغات أخرى أهمها البربرية، أين اعتمدت الجزائر على تمجيد حواملها الثقافية من فنون وأدب وتاريخ.. وعاءٌ يحمل ثقافة عالمة كرّسته النخبة المتعلمة، وثقافة أخرى يمكن أن نسميها الثقافة الشعبية، لتتلاحق هذه الصور في التأثير على معظم مكونات الثقافة الجزائرية أشاد في سواها عموماً الكثير من الكتاب الجزائريين حول الثقافة الجزائرية، تدعيماً للبعد التاريخي والجغرافي، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع وانفجرت منها الأخلاق والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، والعرف والقيم الاجتماعية المشتركة، التي تظهر في الملبس وطرق الأكل والشرب وكذا نظام التنظيم الهيكلي للقوة، سواء قبائلي أو حضري أو من خلال القانون المنظم، بين الأفراد والخرافات والمعتقدات، وكل ما له علاقة بالميراث الثقافي الجزائري.

لهذه الاعتبارات وانطلاقاً من تعريف إدوارد تايلور لمفهوم الثقافة، والذي يرى بأنها: "تلك الكليّة المعقدة التي تشمل المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"²، وعلى أساس مختلف العوامل التاريخية التي عرفتها الجزائر، حاولنا في هذا الفصل التعرض لقيمة الشرف في إطار الثقافة الجزائرية من خلال إبراز مفهوم الشرف في المخيال الاجتماعي الجزائري، وآليات تلقيه لدى النشء وصولاً إلى سبل حمايته وجُملة الممارسات المرتبطة به، وكذا نظرة المشرع لهذه القيمة من خلال أهم النصوص التشريعية؛ ممثلةً في الدستور وقانون العقوبات.

¹ عمر بن قينة (1999): الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية دراسة، من مشورات اتحاد العرب، دمشق، ص 78.

² Edward Taylor (1871): Primitive Culture: Researches into the development of Mythology, Philosophy, Religion, art and Custom, John Murrey, London, P01.

أولاً: عن الثقافة الجزائرية: أصولها ومقوماتها

على الرغم من أن مصطلح الثقافة لم يكن وارداً في الإرث الفكري العربي والجزائري إلا منذ حوالي قرن أو قرنين من الزمن كما يرى في ذلك المفكر الجزائري مالك بن نبي (1905-1973)¹، إلا أنه أضحى يشكل مفهوماً رئيسياً في الحقول العلمية، السياسية وكذا الاجتماعية للمجتمعات العربية بصفة عامة، ذلك أنها أضحت محور التفكير ومن دواعي الحروب في بعض الأحيان تحت إطار ما يسمى بالاستلاب الثقافي.

والحديث عن الثقافة الجزائرية هو حديث عن ممارسات وتصورات اجتماعية تشكلت بفعل سيرورة اجتماعية ممتدة في عمق التاريخ الاجتماعي والسياسي للمجتمع الجزائري. بمعنى آخر، الثقافة الجزائرية هي نتاج تأثيرات متعددة من التاريخ والجغرافيا والتنوع الاجتماعي والثقافي، أفرزت جملة من السلوكيات والتصورات التي جعلت أن يكون المجتمع الجزائري في شكله الحالي. فبالنظر إلى التاريخ الطويل للمجتمع الجزائري والذي يمتد لآلاف السنين، نجد بأن الثقافة الجزائرية كما هو حالها اليوم قد تشكلت من جملة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى التكنولوجية، ذلك أن المجتمع الجزائري في أعقاب هذا التاريخ عرف تحولات سوسيو-ثقافية جذرية في بعض الأحيان غيرت من فيزيولوجيته الاجتماعية.

فعلى العموم، الثقافة الجزائرية في زمننا المعاصر لا تختلف كثيراً عن ثقافة الشعوب العربية الإسلامية، فهي ثقافة "عربية اللسان، إسلامية المضمون والتاريخ"²، ولعل ما يميزها عن الثقافة العربية الإسلامية هو التنوع الذي تزخر به الثقافة الجزائرية إذ نجد إلى جانب الثقافة العربية، وهي المهيمنة، تواجد ثقافات أخرى كالطارقية، الشاوية والقبائلية، وهي ثقافات تنطوي تحت إطار الثقافة الأمازيغية.

ومن هنا نجد أن الثقافة الجزائرية تجد مقوماتها في هذه العناصر الثلاث الناظمة لها والمشكلة للشخصية والهوية الجزائرية: الإسلام، العربية والأمازيغية.

¹ Voir, Malek Bennabi (2012) : **Problème de la culture**, 2eme Edition, Dar Samar, Algérie.

² أنور الجندي (1986): **الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماؤها**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ص24.

ويعد الإسلام الدين الرسمي للجزائر والأكثر انتشارا بين الأوساط الشعبية بنسبة 97.1%¹ حيث يعود دخوله إلى الجزائر إلى حقبة حكم الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه بعدما أذن لعبد الله ابن أبي سرح، وَالسِّي مصر آنذاك، بغزو أفريقية²، في سنة 646م³، إلا أن الفاتح والمُصدِر الحقيقي للإسلام في الجزائر والذي تشهد له جل المصادر التاريخية هو عقبة ابن نافع الفهري والذي قاد الفتح على حملتين: الأولى عرفت انهزاما أمام القبائل البربرية، والثانية حقق فيها عقبة الانتصار على الروم والبربر، انطلاقا من مدينة "باغاية"⁴ الواقعة بالقرب من خنشلة، وصولا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، أين ردّد عبارته الشهيرة "يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك!"⁵

لقد عاش الإسلام في الوسط الاجتماعي الجزائري لأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن وبرغم التوترات السياسية والأمنية التي مرت بها الجزائر على مر تاريخها، إلا أن المجتمع الجزائري استطاع الحفاظ على مقومه الديني الذي يعد الأساس في البنية الثقافية الجزائرية.

بالنسبة للعربية فهي اللغة الرسمية والشعبية الأكثر تداولاً في الوسط الاجتماعي الجزائري، وقد تغلغلت في الثقافة الجزائرية تزامنا والفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا. إلا أن حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر ومع سياساته الاستدمارية للهوية الجزائرية، جعلت أن تتراجع العربية أمام الفرنسية، ما دفع بالجزائريين قيادة وشعبا بعد الاستقلال على تثمين العربية قصد استعادة مكانتها الأصلية، فقد ورد في مؤتمر طرابلس 1962 أنه: "ستعمل الثقافة الوطنية في المقام الأول على أن ترد للغة العربية، التي تعبر عن قيمنا الثقافية، اعتبارها وفعاليتها كلغة حضارة"⁶.

¹ <https://atlasocio.com/etats/fiches/a/algerie.php> consulté le 06 avril 2024 à 22 :50

² أفريقية واحدة من الأسماء التاريخية التي أطلقت على تونس.

³ عبد الرحمان الجبالي (1953): **تاريخ الجزائر العام**، المطبعة العربية، الجزائر، ص144.

⁴ باغاية مدينة قديمة، قريبة من جبل الأوراس، واحدة من أهم مدن المغرب الأوسط التي أتاح لها موقعها الجغرافي الهام لعب أدوار بارزة في شتى الأصعدة، ومثلت المدينة أحد أهم الحصون الرومانية، وبلغت شهرتها الأفاق لما اتخذتها الكاهنة عاصمة لها. اشتهرت المدينة خلال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط، عندما قضى حسان على الكاهنة في حملته الثانية، سنة 700/هـ81م وفتح بذلك منطقة الأوراس كلها.

⁵ عبد الرحمان الجبالي، **مرجع سابق**، ص152.

⁶ Déclaration du congrès de Tripoli Juin 1962, P25.

أما الأمازيغية فهي أقدم رافد من روافد الثقافة الجزائرية، إذ تعود لآلاف السنين من منطلق أنها انبثقت منه وتأسست عليه الثقافة الجزائرية، باعتبار الأمازيغ يشكلون السكان الأصليين للمنطقة. وقد تم الاعتراف بهذا المقوم الثقافي رسمياً في دستور الجزائر لسنة 1996 حيث جاء في ديباجته "والمكونات الأساسية لهويتنا هي الإسلام والعروبة والأمازيغية"¹

إن الثقافة الجزائرية عامة نجدها مُشكَّلةً من جملة من العادات والتقاليد والأعراف والدين، التي أرسدت قيم المجتمع الجزائري المعاصر، وهي مستلهمة من ثلاث مقومات أساسية للإسلام، العروبة والأمازيغية. حيث تتمظهر هذه العناصر في سلوكيات الأفراد ومواقفهم. وقد نشأت وترسخت هذه الثقافة في الوعي الجمعي بفعل عوامل طبيعية وأخرى تاريخية وسياسية، جعلت أن تكون الثقافة الجزائرية على ما هي عليه. والواضح أنها تشترك مع باقي الشعوب المجاورة لها، العربية خاصة، في العديد من العناصر لعل أبرزها الدين واللغة. كون الإسلام واللغة العربية عنصران ثقافيتان أدرجتا في الوسط الاجتماعي الجزائري منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

ثانياً: مفهوم الشرف في الثقافة الجزائرية

تحدثنا عن المعنى اللغوي لمفردة الشرف في الفصل الثالث من دراستنا، حيث أوضحنا بأنه في اللغة العربية يشير إلى المكان العالي وهو العلو والسمو والارتفاع. لكن التوقف عند هذا الحد يُبقي المفهوم ناقصاً خاصة وأننا بصدد البحث عن المعنى في سياق ثقافي جزائري. وقصد تقريب مقصد المفردة في الثقافة الجزائرية، فقد ارتئينا النظر فيما قدمه الباحثون الجزائريون وكذا الأجانب الذين اهتموا بالموضوع، في إطار الثقافة الجزائرية بصفة خاصة.

يذكر الأنثروبولوجي الجزائري مالك شبل (1953-2016) أن كلمة الشرف في الثقافة الإسلامية مرادفة لكلمتي العِرض والحُرمة، وهي قيمة أساسية عند البدو والعرب

¹ دستور الجزائر 1996، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 76، 08 ديسمبر 1996، المطبعة الرسمية، الجزائر.

بصفة عامة.¹ أي أن الشرف قيمة محورية في البنية السيكولوجية للأفراد وكذا الاجتماعية للأسر والمجتمعات العربية ويعبر عنه بمفهوم العرض والحرمة.

وعلى اعتبار أن هذين الكلمتين متلازمتين لمفهوم الشرف في الثقافة الإسلامية بصفة عامة والجزائرية، موضوع دراستنا، على نحو أخص؛ فالأسئلة التي تفرض وجودها في هذا المقام تتمثل في: ما هو العرض؟ وماهي الحرمة؟ والإجابة تقتضي استقصاء سوسيو-لغوي للمفردتين، ذلك أن المفهوم الاصطلاحي غالبا ما يكون مكملا للمفهوم اللغوي اعتبارا أن هذا الأخير يشكل المنطلق في البناء المعرفي، ما سيمكننا من تفكيك مدلول الشرف من خلال الدلالة اللغوية للكلمتين، ومن ثمة إعادة بناء المعنى للوقوف على مفهوم الشرف في الثقافة الجزائرية ككل.

إن العرض (بكسر العين) وجمعه أعراض، هو كلمة عربية مشتقة من الفعل عرض أي ظهر، ويعرض الشيء أي يظهره ويبرزه.² وجاء في لسان العرب أن عرض الرجل هو حسبه، ونفسه، وخليقته المحمودة وما يمدح به ويُدْمُ.³ أي أن ظاهر الرجل هي هذه العناصر الأربعة وهي التي يمدح بها أو يحتقر.

من خلال هذا العرض اللغوي لكلمة العرض يتبين لنا مستويين من التعبير: مادي حسي يتمظهر في الواقع المحسوس الملموس من الأشياء وكذا السلوكيات اليومية، ومعنوي شعوري يبرز في الفناعات والتصورات.

أما المستوى المادي، فيكمن في جسد الإنسان أي جسمه باعتباره جزء من خلقته ثم أنه يبرز كذلك في السلوكيات التي تعبر عن مجمل المعاني الحاضرة للشرف كما ذكر ابن منظور "وهو كذلك الشرف في الفعل"⁴، أي أنه تلك الخصال الحميدة وكل سلوك يتشرف الإنسان بأدائه.

¹ Chebel, M. (1995). Dictionnaire des symboles musulmans : Rites, mystique, Civilisation. Albin Michel. Paris. P204.

² بن حماد الجوهري، مصدر سابق، ص758.

³ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء السابع، ص465.

⁴ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء الأول، ص310.

في حين المستوى الثاني لمفردة العرض والذي يأخذ بعدا معنويا، فيتمثل في "تقاطع العرض مع الإنسان وذاته مثلما أورد ابن الأثير أن العرض خاص بالذات فيقال أكرمت عنه عرضي أي صنت عنه نفسي"¹، وهنا نجد أن العرض يتمحور حول الأخلاق والقيم والمبادئ التي يتبناها الإنسان.

العِرضُ إذن هو ما يملكه الإنسان ويحميه من نفسه أو سلفه أو من وجب عليه، ويكون موضعا للفخر والمدح أو للطعن والقدح والسخرية. ويتمثل في الإنسان وذاته وأهله وحسبه والحسب هو: الكرم والشرف الثابت في الآباء².

أما الحرمة فهي من مصدر حرم وجمعه حُرْمٌ، والحرام نقيض الحلال الذي يعبر عن المباح، والحريم هو ما حُرِّم فلم يُمس، يقول الأزهري: الحرم يعني المنع والحرمة، أي الحرمان وهو نقيض الإعطاء والرزق³.

إن الذي تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الحرمة والاحترام كلمتان متقاربتان، ذلك أنه بإرجاع الكلمتين إلى جذرهما نجده واحد وهو حرم. والاحترام يعني المهابة والتوقير، فنقول: فلان احترم فلان أي هابه ورعى حرمة⁴. ثم أن الاحترام جاء عند الأنثروبولوجي الأمريكي فرانك هاندرسون ستيوارت كمرادف لكلمة الشرف (أنظر الفصل الثاني من الدراسة).

فالحرمة هي ما لا يحل انتهاكه⁵ وما يجب احترامه، وهي مفردة تحمل دلالات مختلفة: مكانية وزمانية، كحرمة المسجد وحرمة شهر رمضان مثلا، وهي عبارات تشير إلى ما هو مقدس في المجال الزمكاني. فكلمة الحرمة تحمل شقين من المعنى، واحد مرتبط بالمُحرَّم وهو الممنوع الذي يجب الامتناع عن فعله، ويتمظهر في سلوك الفرد والجماعة،

¹ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء السابع، ص 465.

² ابن منظور، مصدر سابق، الجزء الأول، ص 310.

³ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء السابع، ص 119-120.

⁴ مجموعة مؤلفون (1997): مجاني الطلاب، دار المجاني، بيروت، ص 198.

⁵ بن حماد الجوهري، مرجع سابق، ص 242.

وآخر مرتبط بالمقدس وهو الشرف الذي يجب اجلاله وتقديره ويتمظهر في المكان والزمان والأشياء.

يظهر مما سبق أن الشرف يرتبط بالمقدس من الأشياء والتي تقتضي من الأفراد الاحترام والتوقير والحماية لها، فالشرف في الثقافة الإسلامية والجزائرية إذن هو الاحترام والعناية بكل ما هو مقدس. وهو ما ذهب إليه بيار بورديو حيث يقول "إذا كان المقدس موجودًا فقط من خلال الشعور بالشرف الذي يدافع عنه، فإن الشعور بالشرف يجد سبب وجوده في معنى المقدس"¹.

وبعد هذا التقريب السوسيو-لغوي للمفاهيم الدالة على الشرف من خلال التنظير العلمي، نتساءل حول ماهية دلالة هذه المفاهيم في المخيال الاجتماعي الجزائري؟ أو بمعنى آخر، ماهي العناصر النازمة لمفهوم الشرف في المجتمع الجزائري؟ وفيما يتمثل شرف المرأة الجزائرية؟ والأمر سيان في ضرورة الحديث عن المغزى من الشرف عند الرجل الجزائري؟

1- الشرف عند المرأة: بين الموروث التقليدي والوازع الديني

لا يختلف اثنان في كون المرأة تشكل المحور الرئيسي في مسألة الشرف في المجتمع الجزائري، ويتمثل هذا الشرف في عنصرين أساسيين: التربية والجسد على وجه الخصوص، إذ يقول غابرييل غامب (Gabriel Camps) في دراسته: "الشرف الذي يجب على المرء حمايته هو في المقام الأول شرف الأسرة، والمقصود هنا شرف النساء"²، وتضيف الباحثة ابتسام غانم "الفتاة التي تحمل العذرية هي فتاة تمتلك الشرف، والذي يرتبط بمجتمعاتنا بنقاء الأنثى وخلو سيرتها من أي علاقة مشتبه فيها أو غير مشروعة"³.

فالتربية، ونخص بها التربية الأسرية، هي الجانب غير المادي لشرف المرأة، ذلك أن مسألة التربية تتجاوز أن تكون مجرد تطبيع على سلوكيات يومية تتحلى بها المرأة وإنما

¹ Bourdieu Pierre (2000) : **Esquisse d'une théorie de la pratique précédée de trois études d'ethnologie Kabyle**, Seuil, Paris, P47.

² غابرييل غامب (2014): **البربر: ذاكرة وهوية**، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب، ص383.

³ ابتسام غانم (2013): **مسألة البكارة الأنثوية داخل المجتمعات المغربية المتحوّلة**، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 1، العدد 03، مركز الحكمة للدراسات الاجتماعية، الجزائر، ص114.

تمتد إلى كون القيم والمبادئ التي تتلقفها الفتاة في وسطها الأسري تشكل في مجملها رأسمال رمزي يقتضي من البنت الحفاظ عليه باعتباره جزء مهم من سمعتها وسمعة عائلتها.

وإذا كانت التربية هي الجانب المعنوي أو غير المادي لشرف المرأة فإن الجسد يشكل الجانب المادي لهذه القيمة في المخيال الاجتماعي، وهو يتفرع إلى عدة مستويات بحيث يشكل فيه غشاء البكارة أسمى المقدرات، يذكر الباحثان بلحيدة فاطمة الزهراء وحمداوي محمد في هذا السياق "أما شرف المرأة فإنه يقوم على خاصية مورفولوجية يجب المحافظة عليها وهي العذرية"¹. فالعذرية هي، مثلما تقدم بنا الذكر، الدليل المادي على نقاء المرأة وصفاء جسدها من أي ممارسات جنسية من شأنها تدنيس هذا الجسد المقدس في المخيال الاجتماعي.

لكن ربما التساؤل الذي وجب التقصي فيه يكمن في ماهية الاعتبارات التي جعلت أن يرتبط الشرف الأنثوي بهذه العناصر؟

من خلال القراءة التاريخية لتطور المجتمع الجزائري، نلاحظ أمرين مهمين يشكلان، في رأينا، أبرز العوامل تأثيرا في تركيب النسق القيمي لشرف المرأة في المجتمع الجزائري والليذان يمكن حصرهما في عنصرين:

✓ الدين متمثلا في الإسلام.

✓ العادات والتقاليد النابعة من الطبيعة الاجتماعية للتنظيم الاجتماعي عند المجتمع الجزائري قبل الاستعمار الفرنسي.

فالدين مثلما سلف وأن ذكرنا يشكل القاعدة الأولية في هيكله وتأطير الثقافة الجزائرية، تذكر الدكتور بريجة شريفة: "الدين من أهم مقومات الهوية الثقافية الجزائرية"² وبالتالي يعتبر الدين عامل رئيسي في بلورة جملة من المفاهيم والتصورات الحياتية ومن ثم تركيب التصور الاجتماعي لقيمة الشرف.

¹ بلحيدة فاطمة الزهراء، محمد حمداوي (2020): القيم الأسرية الجزائرية بين الثبات والتغير: فيما الجماعية والشرف، مجلة تدوين، م7ع15، الجزائر، ص150.

² بريجة شريفة: التغيرات السوسيو-ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، 2015-2016، جامعة وهران 2، وهران، ص57.

كما تعتبر العادات والتقاليد الاجتماعية مصدر آخر من مصادر القيم الاجتماعية علما بأنها تحتكم بماضي المجتمع وما اتفق عليه أبناء المجتمع من السلوك والتقييم المستحب الذي يعد أساسا للعدل والمساواة علما بأن العادات والتقاليد الاجتماعية تستند إلى ماضي المجتمع وإلى الأوضاع التي مر بها الأفراد والجماعات.¹ وبالتالي فمسألة العادات والتقاليد فهي تعود إلى تاريخية الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الجزائري والذي كان قبلي في تنظيمه قبل دخول المستعمر الفرنسي، ما جعل أن تتركب جملة من القواعد الناظمة للثقافة الجزائرية انطلاقا من عادات قبلية على غرار فكرة المحافظة على النسل ففي السابق كانت "الأسر تجتمع في عُصب، والعصبة في قبيلة، والقبائل في أمة، والعناصر التي تحفظ اللحمة هي السلالة، اللغة والدين"² يذكر اليازيد بوعروري.

- الإرث القبلي وشرف المرأة:

تشير المصادر والدراسات التاريخية إلى أن الغالبية الساحقة من المجتمع الجزائري حتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت متمركزة في البوادي والأرياف حيث تمثل 95% من العدد الإجمالي للسكان في حين 05% كانوا يقطنون المناطق الحضرية.³ وإن أشار هذا لشيء ما، فإنما يشير إلى طبيعة التنظيم الاجتماعي الغالب آن ذاك، فقد كان مؤلفا أساسا من جموع القبائل التي كانت المكون الرئيسي للمجتمع الجزائري حتى مرحلة زمنية جد متقدمة.

والتنظيم القبلي معروف بتمسكه بنظام القرابة المبني على العلاقات الدموية في بنائه واستمراره، حتى أن ابن خلدون طور نظريته حول قيام الدولة انطلاقا من فكرة العصبية التي لا تكون إلا من خلال التحام النسب؛ ذلك أن صلة الرحم خاصية طبيعية في الذات البشرية على حد تعبيره.⁴ ثم أن النسب في معناه اللغوي يشير إلى الشرف ناهيك عن كونه محدد له (أنظر تعريفات الشرف في الفصل الثاني من الدراسة الحالية).

¹ حسن العريشي وسلمى الدوسري (2015): الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية، الدار المنهجية، الأردن، ص 80.

² اليازيد بوعروري (2019): نيهاني كريبع ونقد النظام الأبوي، مجلة الحوار الفكري، م 14 ع 15، جامعة أحمد درايا، أدرار، الجزائر، ص 53.

³ سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي المهدي (1984): الجزائر في التاريخ العهد العثماني. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ص 111.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ص 68.

من هنا ندرك أن النسب له قدسيته في الفكر القبلي والجزائري بصفة خاصة؛ وعلى اعتبار أن النسب في المجتمع القبلي لا يكون إلا بالتزواج والنكاح، فهنا تظهر العلاقة الكامنة بين الممارسة الجنسية، العذرية والشرف لدى المرأة في المجتمع الجزائري. إذ أن المحافظة على النسب لا تكون إلا من خلال المرأة باعتبارها الحاضنة للسلالة العائلية، وبالتالي وجب عليها المحافظة على عذريتها بالدرجة الأولى حتى يتسنى لها تحقيق مبدأ الحفاظ على نقاء السلالة العائلية.

إنّ المجتمع الجزائري لا يقبل اختلاط النسب قصد اكتمال الحساب. ثم أن النسب والحساب محددان للمكانة الاجتماعية وبالتالي الشرف، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة بخاصة في زمن القبيلة؛ أين كان الأفراد يتوارثون المكانة الاجتماعية، بل حتى المناصب والسلطة من خلال النسب. وفي ذلك نجد مختلف الممالك، أو ما يسمى بالدول، التي قامت على الحدود الجغرافية الجزائرية خلال العصر الوسيط، أن نظام حكمها كان وراثيا مبنيًا على النسب وسلامة السلالة العائلية، ومن الأمثلة كثر؛ فوجد المملكة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان ابن رستم والتي تقلد فيها أبناؤه الحكم بعد وفاته¹، كذلك المملكة الزيانية وهي التي تأسست من خلال يغمراسن بن زيان سنة 1235 للميلاد، والتي تداول فيها الحكم أبناؤه بعد وفاة مؤسسها².

كل هذا يدل على أهمية النسب في الفكر القبلي الذي هيمن على المجتمع الجزائري لقرون، لكن مع مرور الزمن ومع التطورات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة السياسية التي عرفها المجتمع الجزائري، جعلت مسألة العذرية والجنسانية بصفة عامة متماسكة بالشرف، فكرة تقليدية متوارثة متأصلة في التصور الاجتماعي للمجتمع الجزائري. فهذا الأخير لم يبقى قبلي التنظيم، إلا أن رواسب الفكر القبلي بقية مرسخة في العقلية الاجتماعية والنسق الثقافي ككل.

- الإسلام وشرف المرأة:

¹ ينظر، ابن الصغير (د.ت): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

² ينظر، ابن الأحمر (2001): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

قبل أن نباشر حديثنا عن العامل الديني وعلاقته بشرف المرأة، لا بد من الإشارة إلى أن كلمة الشرف غير واردة في القرآن الكريم صراحة بهذا المصطلح وهو المتعارف عليه في الأوساط الشعبية والعلمية، لهذا فالشرف في الدين الإسلامي جاء في اعتقادنا ضمنى مرتبط بمعاني مشابهة في القرآن مثل تشريف للمكانة ودرجات الأجر، أو ارتباطه بحق الدفاع عن النفس والحرمة، والعرض...، لأنه لما جاء الإسلام، عمل على تعديل مفهوم الشرف، فجعله لا يستند إلى ركيزة على إنجاب الولد، ووفرة العدد، أو المال والجاه، بل جعله يتمثل في الشرف الخُلقي، وفي الفضيلة والتقوى، وهذا يعني أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا عند المتقنه في دينه، وبتقوى الله في السر والعلن، إذ قال تعالى: "يُرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" [المجادلة: 11].

ومثل ذلك في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)، وهو فيما معناه حسب تفسير الطبراني وابن كثير، يا محمد إليك الذي أمرناك أن تستمسك به، وإنه شرف لقومك من حيث إنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه.

أما في السنة النبوية فتحدت مقاصده أساسا في الدفاع عن عرض وحرمة أهله (الزوجة بالدرجة الأولى باعتبارها رمز للعائلة)، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد...، ومن قتل دون حرمة فهو شهيد)¹. وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في خطبة الوداع... إن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا...

وبالرجوع إلى مسألة شرف المرأة في الإسلام، فنجد أنه جاء بمفهوم العفة والحياء والعرض والطهارة، وهو ما يذهب إليه علماء الفقه الإسلامي إلى كون شرف المرأة يتجاوز مسألة النسب، وإنما هو مسألة أخلاقية بالدرجة الأولى، مستندين في ذلك على جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاتة على عفة المرأة والحياء، والابتعاد عن الزنى وارتكاب الفاحشة والبقاء في عهدة العدة...وما إلى ذلك.

¹ رواه أبو داود (4772) والترمذي (1421) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (708)

لذلك فالأدوار الريادية التي تمارسها المرأة في حياتها انعكس على نقاوة جسدها حاملاً معنى الأصالة والصدق وطبعتها بطابعها، على نحو يماثل جوهر دور جسدها، وتمثلاته في المخيال الاجتماعي، كقول العرب أم القوم أي سيدهم، وأم الكتاب، وأم القرى، وأم الخبائث، وأم الخير...، الذي ما هو إلا جزء من هذا الكل المتمثل في الجسد الأنثوي الذي كان سبباً في عمران الكون، حاملة الأسماء نفسها التي يحملها معاني الشرف، لذلك حتى المُجامعة في الميثولوجيا الإسلامية تكتسب بعداً مقدساً. وحتى يزداد فهم مسألة شرف المرأة من منظور الدين الإسلامي استوجب بنا الأمر الرجوع إلى كتب تفسير القرآن والحديث لاستيعاب أهم الأفكار المتعلقة بهذا الشأن، ذلك أن الفكر الاجتماعي في المجتمعات العربية بصفة عامة متأثر بالفكر الديني مثلما يرى في ذلك الدكتور غسان خالد¹.

ففي الآيات القرآنية التي تحدثت عن العفة نذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُتَفَقَّهُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَالِمٌ} سورة البقرة الآية 273. يذكر ابن كثير أن هذه الآية عنى بها الله عز وجل: "المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله، وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم"² وهم من شدة تعففهم يظهرون أغنياء في نظر الجاهل لحالهم. يقول ابن كثير عن (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) "أي: الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم"³.

وقوله تعالى {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} سورة النور الآية 33. يقول ابن كثير "أن هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالتعفف عن الحرام"⁴، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، "يا معشر الشباب، من

¹ غسان خالد (2015): الهابيتوس العربي قراءة سوسيو-معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، بيروت، ص 121.

² ابن كثير (2007): تفسير ابن كثير، المجلد الأول، الجزء الأول، دار نور الكتاب، الجزائر، ص 473.

³ ابن كثير، نفس المصدر، المجلد الأول، ص 474.

⁴ ابن كثير (2007): نفس المصدر، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص 40.

استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " مُنْفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ سورة النور الآية 60، وقد فسر ابن كثير¹ قوله عز وجل (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) فقال: أي ترك وضعهن لثيابهن وإن كان جائزا خيرا وأفضل لهن.

كما نجد في الأحاديث النبوية:²

يحدث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ. فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةٌ، فَقَالَ عِمْرَانُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُخْفِكَ؟!!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف.

عن ابن مسعود الأنصاري، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» رواه البخاري، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي سمع شخصا يعظ أخاه في الحياء (يعني يعظ أخاه يقول له: لا تستحي كثيرا، انبسط مع الناس، وكذا وكذا...)، فقال له النبي ﷺ «دعه فإن الحياء من الإيمان» فالذي لا يستحي سوف يقع منه ما لا تحمد عقباه.

والعفة مأخوذة من عَفَفَ، وهي مصدر من عَفَ، والعفة: الكف عما لا يحل ويجمل. عَفَ عن المحارم والأطماع الدنية يعف عِفةً وَعَفَا وَعَفَافاً وَعَفَافَهُ، فهو عَفِيفٌ وَعَفَفٌ، أي كَفَّ وَتَعَفَّفَ وَاسْتَعَفَّفَ وَأَعَفَّهُ اللهُ وَالِاسْتِعْفَافُ: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي من طلب العِفة وتكلفتها أعطاه الله إياها، وقيل الاستعفاف الصبر والنزاهة

¹ ابن كثير، مصدر سابق، ص 63.

² الموسوعة الدينية الرقمية الكلم الطيب: <https://kalemtayeb.com/safahat/item/51532> تم الاطلاع: يوم 10 ماي 2023.

عن الشيء. ورجل عَفَّ وَعَفِيفٌ، والأنثى بالهاء، وجمع العفيف أَعْفَاءٌ وَأَعْفَاءٌ، وقيل العفيفة من النساء السيدة الخيرة. ونسوة عفائف¹.

وقد تحدث الجاحظ في كتابه تهذيب الأخلاق عن العفة حيث وصفها بأنها "ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط واجتناب السرف والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال"⁽²⁾، كما رأى فيها الجرجاني على أنها: "هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور، الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفریطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة"³.

فالعفة هي صرف النفس والذات البشرية عن الشهوات والملذات المحرمة بقصد واعتدالٍ محبة وتقرباً إلى الله عز وجل، واستجابة لأوامره، وطلباً للأجر والمثوبة منه.

أما الحياء لغة أصله من (حيى)، وقيل: من (حيا)، وقيل من (حيو). وهو مصدر قولهم: (حيي). وهو التوبة والحشمة، وقد حيي منه حياءً واستحياً واستحى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين، والأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف، يقولون: استحياً منك واستحياًك، واستحى منك واستحاك؛ قال ابن بري: شاهد الحياء بمعنى الاستحياء⁴.

وفي الشريعة الإسلامية الحياء كما جاء في الموسوعة الفقهية أنه: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَيُمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ⁵. هذا وقد عرفه ابن حجر - رحمه الله - بقوله: "هو خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق... لكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً على فعل المعصية"⁶. فالحياء صفة فاضلة سامية تدعو إلى التحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل وتحث النفس على فعل العمل الحسن وترك القبيح منه. كما تدعوا إلى أن يخجل العبد من نفسه ويستحي من ربه ثم يستحي من الناس.

¹ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء التاسع، ص253.

² عمر بن بحر الجاحظ (1989): تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ص21.

³ الشريف الجرجاني (2004): معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، ص127.

⁴ ابن منظور، مصدر سابق، الجزء الرابع عشر، ص217.

⁵ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1983): الموسوعة الفقهية، الطبعة الثانية، الجزء 18، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ص259.

⁶ بن حجر العسقلاني (د.ت): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ص52.

بالتالي الحياء قيمة دينية واجتماعية تعني الاعتدال الذي يظهره أعضاء الأسرة والجماعة والذي يبدو في شكل ضرب من ضروب السلوك أو اتخاذ موقف اتجاه كل ما من شأنه أن يتنافى مع التنشئة الإسلامية السليمة والعقيدة الصحيحة. إنه ومن خلال الاتصاف بما هو حسن واجتتاب ما هو قبيح يعمل الحياء برفع صاحبه إلى الكمال والفضيلة. فصفة الحياء تنتج الأخلاق كلها؛ وفقدان الإنسان لقيمة الحياء تجعله يخالف الشرع. وعلى اعتبار أن الشرف يمثل قمة القيم في المجتمع الجزائري، فإن التحلي بالحياء يجعل صاحبه شريفا في نظر أقرانه من بني مجتمعه.

وشرف المرأة على هذا النحو، أي من وجهة نظر إسلامية، مرتبط بأحكام دينية قرآنية تلزم المرأة التقيد بها لنيل مرضات الله، ويرتكز حول مفاهيم أخلاقية كالعفة والحياء، وهي مفاهيم تعمل على حفظ الفرج والامتناع عن الملذات الجنسية، خارج الأطر الدينية متمثلة أساسا وحصرا في الزواج، أي أن الممارسة الجنسية خارج الزواج تشكل وصمة عار على المرأة، باعتبار الممارسة في هذا الشق تدخل في مجال المحرمات من الأفعال، أو ما يعرف بالزنا. فالتزام المرأة بالقواعد والأوامر الدينية لا سيما ما تعلق بالعدوية والممارسات الجنسية، يجعل منها امرأة عفيفة ما يمنحها التقدير والاحترام وبالتالي الشرف الاجتماعي ذلك أن العدوية بتعبير عبد المنعم الحفني في كتابه الموسوعة النفسية الجنسية "ارتبط وجودها في أنثى الإنسان بالشرف والعفة"¹.

2- شرف الرجل بين الطبيعة البيولوجية والثقافة المجتمعية

إذا كانت المرأة وبخاصة جسدها وعذريتها يشكلون فيما بينهم المحور الرئيسي لمسألة الشرف في المجتمع الجزائري، فهذا يدفع حتما للتساؤل حول الطرف الآخر ممثلا في الرجل وماهية الشرف عنده في التصور الاجتماعي باعتباره فاعلا آخر في الثقافة الجزائرية، بل وفي مسألة الشرف ذاتها.

تبرز ملامح الشرف عند الرجل الجزائري تماما مثل المرأة، إذ نجد أن المخيال الاجتماعي الجزائري مركب من عناصر تعكس تصور المجتمع لشرف الرجل. من خلال

¹ عبد المنعم الحفني (1992): الموسوعة النفسية الجنسية، ط1، مكتبة مذبولي، القاهرة، ص428.

جملة من المفاهيم المتبلورة في سلوكياته اليومية ولعل أبرزها ما يعرف بالعامية الرُّجْلة والنيف.

والرُّجْلة، بالضم: مصدر الرُّجُل. يقال: رَجُلٌ جَيِّدُ الرُّجْلة، وَرَجُلٌ بَيْنَ الرُّجْولة والرُّجْلة والرُّجْلِيَّة والرُّجُولِيَّة؛ الأخيرة عن ابن الأعرابي، وهي من المصادر التي لا أفعال لها¹ وهي لفظة منبثقة من كلمة الرجولة والرجولية وتعني كمال الصفة المميزة للرجل.²

والرجولة مفهوم يقتضي من الرجل التحلي بصفة مثل الشجاعة، القوة والسيادة والشهامة والمسؤولية والرعاية قصد الدفاع عن ذاته وممتلكاته. فنقول أنّ الرجل قد اكتملت رجولته واشتدت، أي أنه أدرك هذه الصفات، فالرجولة صفة في عمومها تخص وتميّز الرجل الذّكر. ثم أنها مفهوم يشير أيضا إلى اكتمال الخصائص المورفولوجية للطفل الذكر إذ يتغير صوته وتبرز لحيته وهي علامات بلوغ اللحم.

هكذا فالرجولة مفهوم يحمل شقين واحد جسدي مادي والآخر ثقافي معنوي وهو ما تذهب إليه الباحثة الفرنسية باسكال مولينييه (Pascal Molinier) التي ترى بأن الرجولية ذات معنيين الأول "مرتبط بالخصائص الاجتماعية التي يشترك فيها الرجال، وإلى المذكّر مثل: القوّة، الشجاعة، القدرة على العراك، والحق في العنف، وبعض الامتيازات المشتركة مع أولئك الذين ليسوا رجالاً ولا يمكنهم أن يكونوا كذلك، أي تميزهم عن ليسوا رجالاً (ذكوراً) مثل: النساء والأطفال. وثانيا الشكل المنتصب والوالج لجنس الذكورة (الفحولة). وهي في كلا المعنيين تنتقل للأولاد (الفتيان) عن طريق جماعة من الرجال في اجتماعهم من أجل تمييزهم تراتبيا عن النساء سواء كان ذلك فرديا أو جماعيا، لتصبح بذلك "المصطلح الجماعي والفردي للهيمنة الذكورية"³.

فمفهوم الرجولة إذن هو تصور اجتماعي وثقافي وفي نفس الوقت يشكل قيمة اجتماعية لإصدار حكم معين أو معيار يحتكم إليه لتحقيق الشرف، ذلك أنه بتعبير الباحثة

¹ ابن منظور، مصدر سابق، ص 267.

² المعجم الوسيط، ص 332.

³ زيان محمد (2014): مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، م 06 ع 01، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ص 144.

فاطمة الزهرة ناجي "شيفرة تدل على الشرف"¹، وهنا نجد بيار بورديو قد عبر بعمق في حديثه عن الرجولة، والذي يرى أنها هي الأخرى غير منفصلة عن الجسد الذكوري حيث يقول: "إن الرجولة، بمظهرها الإتيقي (Ethique) نفسه، باعتبارها ماهية القوة (VIR)، والفضيلة (Virtus)، ومناطق الشرف (Nif)، ومبدأ حفظ الشرف والرفع فيه، تبقى على الأقل ضمناً، غير منفصلة عن الرجولة الجسدية، لاسيما عبر دلائل القوة الجنسية، فض بكاره الخطيبة، ذرية ذكور وفيرة... الخ، المنتظرة من الرجل هو حقيقة رجل"².

أما النيف وحسب علي زيعور "هناك رباط بين الأنوف والشخصية الشامخة، بين الأنف الشموخ في الأنف وفي الرئاسة أو البطولة والترفع، وصاحب الأنف الشامخ أو شموخ الأنف دلالة على الأكبرية وهي دلالة مستسقاة من البدن على ما هو رفيع في المجتمع"³، فهو امتداد مجازي لأعضاء الجسم في المخيال الاجتماعي، أخذ رمزته للتعبير على الشخص البطل وصاحب الزعامة والرجولة، ومنه ما جاء في قول العرب على لسان ورقة بن نوفل، في حديثه عن زواج النبي بخديجة: محمد يخطب خديجة؟ هو الفحل لا يقدر أنفه، وقد انطلق هذا القول من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان، مثلاً يضرب للشريف لا يردّ عن مواصلة أو مصاهرة"⁴.

فالنيف هو عدم قبول المذلة والإهانة يقول غابرييل غامب "لكن الأنف له اقتضاءات أخرى؛ فلا يتحمل الواحد أن يلقي الإهانة من منافس له أو خصم"⁵، فهو "حساس بقدر ما كان الشرف عند النبيل الأوروبي في القرن السابع عشر"⁶، ويقول بيار بورديو في دراسته حول الشرف في منطقة القبائل أن "مناطق الشرف (النيف) له معنى ووظيفة فقط لدى الرجل الذي يملك أشياء مقدسة، أشياء تستحق الدفاع عنها"⁷.

¹ زيان محمد، مرجع سابق، ص 144.

² بيار بورديو (2009): *الهيمنة الذكورية*، تر: سليمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 30.

³ علي زيعور (1982): *قطاع البطولة والترجسية في الذات العربية*، المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت، ص 31.

⁴ علي عبد الحليم حمزة (2003): *الجنس وأبعاده، جدل القداسة والإغواء والعنف*، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ص 61-62.

⁵ غابرييل غامب، مرجع سابق، ص 383.

⁶ غابرييل غامب، نفس المرجع، ص 383.

⁷ Bourdieu, *Op. Cit*, P47.

وتستعمل كلمة النيف في غالب الأحيان عند الرجل الذي يكون له أشياء مقدسة تقتضي منه حمايتها والدفاع عنها، ولها جانب متطرف في نظام القيم، إذ هو "مصطلح يستعمل في المشاكل الصغيرة بين الأشخاص حيث يتعلق الأمر برد التحدي، بالإجابة المنطقية على احتقار شخص معين، إن النيف ليس الإحساسية الشخصية لعضو في الجماعة، إن هذا المفهوم هو جزء من الشرف، شرف الجماعة، شرف تم اكتسابه، ويتعاضد مع الزمن عن طريق الانضمام الكامل إلى نظام القيم، إن النيف يعني ألا يكون الشخص موضوع سخرية أو سبب سخرية"¹

فالنيف كمفهوم ثقافي وخاصية ذكورية لا يعني الشرف، أي أن الكلمتين غير مترادفتين. وإنما الأولى هي خاصية تتمثل في الاستجابة لأي فعل من شأنه أن ينتهك شرف الفرد أو الجماعة. يقول بيار بورديو في هذا الصدد: "الشرف، الذي تملكه الجماعة، يتعارض مع مناظ الشرف، الذي يمكن أن يكون استجابة للإساءة"²؛ فالنيف إذن هو قدرة الرجل على الرد لأي فعل يستهدف واحدة من العناصر النازمة للشرف.

مما سبق نخلص إلى أن الرجل والنيف مفردات ذات صلة وثيقة بقيمة الشرف لدى الرجل في المجتمع الجزائري حيث تبرز هذه العلاقة من خلال الدلالة اللغوية والرمزية الثقافية للمفهومين. كما أن شرف الرجل في المجتمع الجزائري يستمد مقوماته وأساسه من خلال الكلمتين وعبر ما تحمله من أبعاد جسمانية وجنسية وأخلاقية.

إن الذي يعيننا من الأمثلة المتعددة حول مشاركة الرجل مع المرأة في قدسية الجسد تتخللها أيضا السلوكيات التي من الواجب أن يتصف بها الرجل داخل هذا الجسد، بكل ما يحمله المعنى من رجولة وفحولة، وأي محاولة في تغيير أعضائه التناسلية وتركيبته الجسمانية، أو تصرفاته الجسدية غير الطبيعية وغير السوية التي جُبل عليها، يفقد معها الصفات التي تدل على شرفه وشرف عائلته، من موقع أهمية الجسد الاجتماعية والقدسي على الواقعي، بما يعتبر أنه كائن بشري من ناحية، وكعلامة سلطة استقطابية من ناحية ثانية، فإنه يمكن القول -وهذا ما لمسناه- على سبيل المثال تلك النزعات العدائية (المادية

¹ مصطفى بوتفوشة (1984): *العائلة التطور والخصائص*، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ص53.

² Bourdieu, *Op.Cit*, P45.

والمعنوية) اتجاه جسد الرجل الذي يعول عليه المجتمع، انطلاقاً من وظائفه وتصرفاته البيولوجية والسيكولوجية عند الرجل، " كالرجل الخنثى-أو المثلي- الذي يعيب صاحبه ويمنعه من ممارسة دوره الجنسي في حياته، ليجعل منه أحياناً رجلاً مأبوناً يؤتى في دبره"¹.

وعندئذ يكتب له الحكم في سلب بعض الصفات الاسمية المذكورة عند مشابهته باسم المؤنث، ولا غرو في ذلك لأنّ بين الشرف والجسد وشائج قبرى وصلات عديدة، ليتم عندئذ الإفصاح بأسماء كُنية أنثوية عن بنية الرجل المتلبس لمظهر أنثوي، يفقد بذلك من خلال تسميته بأسماء أنثوية معاني الرجولة والفحولة...، وبالتالي تؤدي إلى خلخلة هذه المفاهيم وإسفاف للمعنى المعبر عنه، باعتبار الرجل يُشرع لنسق معرفي ثقافي، ويجدّر أثره في الواقع الحياتي واليومي، لأن مرجعيته الثقافية والدينية، والمنع المجتمعي أو القانوني ينبذ ويمقت ذلك، إنها رعائية ألوهية سماوية المرجع، معتبرة من يملكها من الرجال هي الغاية الأولى من وجوده قبل العبادة، إنها أيضاً إنتاجية ذات هدف مرسوم ومقصود، باعتبار أن "تحليل لغة قوم لا يعطينا مفتاحاً للدخول إلى ثقافتهم والتعرف على فكرهم فحسب، وإنما يتيح لنا التعرف على بيئة العلاقات العملية التي يقوم عليها مجتمعهم، لأن الإنسان يدرك علاقته بالعالم ومنهاج عمله، وهدفه فيه، بناءً على البنية اللغوية التي يستعملها"².

ثالثاً: الشرف والتنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري

إن اكتساب القيم والمعايير الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد تعتبر واحدة من الأهداف التي تصبو إلى تحقيقها عملية التنشئة الاجتماعية عبر مختلف المؤسسات المسؤولة على هذه العملية التي تمر بعد مراحل، "ولعلّ أهمها مرحلة الطفولة التي يقضيها الفرد- بين العائلة والمدرسة، ثم تتعاقب المؤسسات الأخرى عليه سواء كانت مؤسسات ذات وجود مادي ظاهري أو مؤسسات رمزية، والهدف الأول والأخير لكل هذه الوكالات ضمان الحد الأدنى من التوافق الاجتماعي للفرد مع البناء الاجتماعي السائد من جهة وحفظ استقلالية الفرد عن الآخر من جهة أخرى ولا يتم ذلك إلا بعملية التنشئة الاجتماعية"³.

¹ علي عبد الحليم حمزة (2003): *الجنس وأبعاده، جدل القداسة والإغواء والعنف*، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ص 45

² علي عبد الحليم حمزة، *نفس المرجع*، ص 272.

³ عبد العزيز خواجه (2005): *مبادئ في التنشئة الاجتماعية*، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص 05.

فمؤسسات التنشئة الاجتماعية تسعى إلى تنشئة أبنائها تنشئة صحيحة تمكنهم من أن يصبحوا فاعلين في المجتمع. وقد أعطى بياجي أهمية للتقدم اللغوي والوظيفة الرمزية باعتبارها أساس الاتصال بين الفرد داخل الأوساط المختلفة لهذه المؤسسات بشكل عام، وعليه فالمفهوم الجوهرى لـ " التنشئة الاجتماعية هي عملية تُعَلِّمُ الطفل في مختلف أطواره، للاندماج في النسق الاجتماعي والتوافق مع المعايير الاجتماعية والقيم السائدة (والشرف إحداهما)، واكتساب لغة الاتصال واتجاهات الأسرة التي ينتمي إليها، ثم التوافق مع الجماعات المحيطة به، كما يستوعب الحقوق والواجبات المرتبط بالمراكز التي يشغلها¹ وما يتناسب معها من أدوار ومن خلال ذلك يفهم أدوار الآخرين وطرق التعامل معهم في المواقف الاجتماعية المختلفة"².

وهذا الدور المحوري في بناء شخصية الفرد من خلال مجموعة الأنساق القيمية والأخلاقية قصد تفعيل الوقاية من الآفات والسلوكيات الغير سوية، يتعدى إلى المجال الثقافي حسب المفهوم الاجتماعي إلى " عملية اكتساب الثقافة واللغة والمعاني والرموز والقيم التي تحكم سلوكيات الأفراد وتحدّد توقعاتهم والتنبؤ باستجاباتهم وضمان التفاعل الإيجابي بينهم، بمعنى آخر هي عملية تشكيل اجتماعي للمادة الخام في الشخصية وتحويلها من الكائن البيولوجي إلى الكائن الاجتماعي وإكساب الإنسان صفته الإنسانية"³. ولا نقصد هنا بالثقافة ثقافة المثقفين والفنانين، إنما نمط الحياة والقيم والخصائص التي تميز كل مجتمع عن الآخر.

إذن فهذا التحويل للأفراد من مجرد موجود بيولوجي إلى كائن اجتماعي يتم من خلال تلقينه لثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، "وحين يستوعب الفرد داخليا أنماط السلوك والإدراك والتفكير، أي حين يمارسها بنفسه بشكل أوتوماتيكي تلقائي، دون وجود تناقضات أو حثّ وتحريض من الخارج، وحين يدمج كل ذلك في شخصيته هنا فقط يمكن أن نقول

¹ نلاحظ هنا أيضا ترابط حديثنا عن الشرف في المباحث القادمة في علاقته بمفهوم المواطنة، وما جاء في الدستور، وفي حديثنا أيضا عن

القوانين الخاصة بالمناصب العليا التي يشغلها على أساس شرف المهنة، ومتى يجرى منها.

² عبد العزيز خوجة، مرجع سابق، ص 14

³ عبد العزيز خوجة، نفس المرجع، ص 14 و15.

عن فرد أنه خضع فعلاً للتنشئة الاجتماعية¹. والأسرة الجزائرية باعتبارها مؤسسة اجتماعية في حد ذاتها تعمل هي كذلك على ترميم الفرد وتكوينه للامتثال إلى القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تظهر في ذوات الفرد في 'النحن' لتستمد منها هويتها النفسية والاجتماعية كقولنا نحن الجزائريون، نحن الرجال، نحن النساء...، وهنا خضوع الجسم لتنشئة اجتماعية تجعله يتكيف مع البيئة المحيطة، والأمثلة كثيرة في المجتمع الجزائري من ذلك أيضا طريقة الجلوس عند التوارق واختلاف الأطعمة من منطقة إلى أخرى²، وبمزيد من التفصيل هذا هو المعنى الذي تحدث عنه بيار بورديو عن جسم الطبقة Corps de classe أو الطبقة المنتجة لجسمها Classe fait corps ، وبهذه الحاجات نكون قد وفرنا الآليات الأساسية للتنشئة الاجتماعية.

وتظهر معالم تنشئة الفرد على طبقات عمرية مختلفة في مؤسسات التنشئة المتنوعة التي يتفاعل معها أو في أوساطها مثل: الأسرة وجماعات الأطفال من الروضة والمدرسة ووسائل الإعلام وتقنياتها الاتصالية المتعددة من خلال ما تبثه من حصص وأفلام ومسلسلات عبر الراديو التلفزة والسينما...، والحركات الجمعوية والنقابات والمؤسسات الدينية...، في مهماتها المتعددة كإكتساب المنافع والتوعية والانخراط في الأعمال الخيرية، مما يجعل درجات التأثير أيضا مختلفة. وهذا حسب الظروف المختلفة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...، للأفراد أنفسهم وأحيانا إلى طبيعة ونوعية اللغة والحوار من نهى وتنبيه وزجر وترغيب وترهيب...، "فالعائلة ومنذ القدم كانت تؤدي دور المحافظة على المنافع والممارسة الجماعية لمهنة معينة والتعاون اليومي في عالم لا يمكن للرجل أو المرأة المنعزلة أن تعيش فيه، وفي حال الحروب يقتصر دورها في الحفاظ على الشرف والأرواح"³، وهذا الذي يُظهرُ جلياً أن إكتساب قيمة الشرف في المجتمع الجزائري تكون في الوسط الأسري خاصة، ذلك أن المدرسة وباقي مؤسسات التنشئة يلتحق بهم الطفل في سن السادسة وأكثر وبالتالي يكون قد تلقف العديد من المبادئ ذات الصلة بقيمة الشرف قبل الالتحاق بهذا الفضاء التعليمي.

¹ عبد العزيز خوجة، نفس المرجع، صفحة 17

² عبد العزيز خوجة، مرجع سابق، صفحة 28

³ عبد العزيز خوجة، نفس المرجع، صفحة 114

وتقوم تنشئة الطفل على قيمة الشرف داخل الأسر الجزائرية عبر أساليب خاصة تستخدمها الأسرة لتحقيق أهدافها من التنشئة الاجتماعية تسمح للفرد بالتكيف والتلازم مع المحيط الاجتماعي الذي يشكل فيه الشرف محور التفاعل، حيث تبرز هذه المعالم من خلال ثلاث عمليات رئيسية: تعزيز النظام الأبوي، التمييز الجنسي، التمييز الجنسي بالإضافة إلى التربية الدينية. ذلك أن النظام الأبوي والدين الإسلامي من أبرز الخصائص السوسيو-ثقافية للأسر الجزائرية عموماً وبخاصة التقليدية منها.

1- تعزيز النظام الأبوي:

يعتبر هشام شرابي النظام الأبوي أنه نظام اجتماعي يتميز بسلطة أبوية يبتدأ كيانها في العائلة بسلطة الأب البيولوجية، ثم تمتد في البيئة الاجتماعية لتتبلور في علاقات المجتمع وحضارته ككل. وهي على هذا النحو ظاهرة مكشوفة وباطنة خفية في ذات الوقت؛ إذ تحكم علاقاتنا المباشرة وغير المباشرة. ويتميز النظام الأبوي باللغة الجماعية النافية للفرد والوعي الذاتي وتستبدلهما بالوعي الجماعي، وهي بذلك انعكاس للسلطة الأبوية والوعي البطريكي. إن هذه اللغة (الأبوية) يكمن في أعماقها آليات السيطرة على جميع أشكالها الأيديولوجية (في المفاهيم والتعابير والقيم والألفاظ والأساليب) وعلى جميع أشكالها المادية في وسائل القمع والسيطرة العنيفة المباشرة، وهي لغة يتقنها الخاصة وذوي السلطة وينشأ الفرد خلالها على أنها مهيمنة وتمثل القيم العليا والحقائق السامية، وهي لغة دفاعية تخشى التفاعل والحوار وتحتمي وراء الفكر الديني.¹

وتذهب المؤرخة الأمريكية جيردا ليرنر (Gerda Lerner) في كتابها نشأة النظام الأبوي إلى كون هذا الأخير "تجلي ومأسسة الهيمنة الذكرية على النساء والأطفال في الأسرة، وتوسيع الهيمنة الذكرية على النساء في المجتمع بعامته. يتضمن أن الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المهمة، والنساء محرومات من سلطة كهذه"² وتضيف الباحثة إليزابيث بادينتر (Elizabeth Badinter) بأن "البطريكي لا يعني فقط شكلاً من أشكال الأسر

¹ شرابي هشام (1999): النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص 11-16-18-19-20.

² جيردا ليرنر (د.ت.): نشأة النظام الأبوي، تر: أسامة اسبر، المنظمة العربية للترجمة، ص 450.

القائمة على القرابة الذكورية والسلطة الأبوية. إذ يشير المصطلح أيضًا إلى أي بنية اجتماعية تأخذ مصدرها من سلطة الأب"¹

فالنظام الأبوي نموذجًا اجتماعيًا وثقافيًا مرجعيًا وتفسيريًا للسلوك البشري والأسري باعتبارهما جزءًا من الكل المجتمعي. يختص هذا النظام بلغة ومجموعة من القيم يميزانه عن باقي الأنظمة الاجتماعية، وهو بهذا المنطق يأخذ منحى أيديولوجيًا وسلطويًا يتعزز فيه الفكر الخطي الأحادي الذكوري مثلما يؤكد ذلك الباحث الجزائري اليازيد بوعروري "إن مفهوم النظام الأبوي يستمد معناه من نموذج الأبوية (الأب) كما هي في المجتمعات التقليدية أو السابقة للحدثة، في بناه السياسية، الاجتماعية والنفسية"². وعلى هذا النحو فالنظام الأبوي يقوم على ثلاثة مبادئ:

- **النسب الأبوي:** أي أن نظام القرابة يتصل حصرا بالأب وتعتبر الأم وأقاربها أباعد عن الأسرة من هذا المنظور.
- **السلطة الأبوية أو عمودية العلاقات:** إذ يشكل الأب محور العلاقات أمام باقي أفراد الأسرة والذكور أمام الإناث. وتكون سلطة الرجل مطلقة أمام المرأة وقائمة على فرض الرأي ما يؤدي إلى خضوع وامتنال المرأة اتجاه الرجل.
- **المركزية الذكورية:** أي التمرکز حول النسق الذكوري الذي يجعل من الجنس الذكوري مركزًا والجنس الأنثوي هامشًا.

وتظهر عملية اكتساب الطفل لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري من خلال التحليل السيكو-سوسولوجي لعملية التنشئة الاجتماعية الذي قدمته الباحثة نفيسة زردومي. حيث قسمت العملية إلى ثلاث مراحل؛ في المرحلة الأولى يتم تعليم الطفل الأساسيات البيولوجية متمثلة في آداب الأكل والشرب وما إلى ذلك، ثم في المرحلة الثانية تتمحور التنشئة الاجتماعية حول التربية الأخلاقية أين يتم حث الطفل على فعل الخير والتخلي بالحشمة واجتناب المحرمات، وفي المرحلة الثالثة والأخير يتم فيها إدراج القواعد الأسرية والاجتماعية،

¹ Badinter, Élisabeth (2002) : **L'Un est l'autre. Des relations entre hommes et femmes**, Odile Jacob, Paris, p107.

² اليازيد بوعروري، مرجع سابق، ص53.

وهنا تلعب الأم دورا محوريا في تربية الطفل إذ تعمل على التنمية الاجتماعية للطفل ويتجلى هذا من خلال ادراج صورة الأب في ذهنية الطفل فعليا ودفعه نحو عالم الرجولة. والملاحظ عن الأم في الأسرة الجزائرية أنها في الغالب ما تعيد إنتاج نفس القيم الأسرية لا سيما التشدد على حماية شرف الفتاة وكذا تجسيد سلطة الرجال على النساء من خلال دعمها لسلطة الأب في الأسرة.¹

فالمراة إذا هي المسؤولة على تلقين الطفل لقيمة الشرف بمحدداته الثقافية في الوسط الاجتماعي الجزائري في ضلّ دعمها لسلطة الأبوية التي تشكل نظاما مرجعيا للبنىات الأيدولوجية للأسر الجزائرية. فمن خلال تلقينه على مبادئ النظام البطريركي، يكتسب الفرد خصائص ومقومات هذا النظام الذي يتحول فيما بعد إلى قيم ومحددات تمثل تصورا لمفهوم الشرف في بنيته السيكولوجية ما يترتب عليه ممارسات وسلوكيات تخضع أساسا لهذه القيمة.

2- التمييز الجنسي (Sexisme):

كان للأعراف والتقاليد دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، إذ يقتضي النظام الأبوي، وهو السائد في الأسر الجزائرية، أن تتم التنشئة وفقا لأدوار الأفراد في الحياة. من هنا نجد أنه غالبا ما يتم منح الولد مكانة اجتماعية أكثر من البنت، "ذلك أن البنت في نظر المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة لا تمثل فقط إضافة في عدد الذين يجب إعالتهم وإطعامهم، بل تمثل مصدرا دائما يهدد شرف العائلة".²

فالتنشئة الاجتماعية في العائلة الجزائرية، بخاصة التقليدية منها، قائمة على إعلاء شأن الذكر ومقامه على حساب المرأة والإطاحة من قيمة الأنثى، ويظهر هذا من خلال تمجيد المولود الذكر، وهي دلالة على انتصار الرجل اعتبارا أن الولد يشكل استمرارا لاسم العائلة وثروتها، في حين البنت لا تحظى بمثل هذا القبول حيث يظهر هذا الشعور بخاصة في مراسيم استقبال خبر ولادتها، أين تتم في سكوت تام وفي جو أقل ما يقال عنه أنه

¹ Nafissa Zerdoumi (1970) : Enfant d'hier : l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Maspéro, Paris, P60-66.

² لجلط فاطمة أحلام، عزوز عبد الناصر (2020): دور التنشئة الأسرية في تنميط دور الفتاة في الأسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 10، العدد 01، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ص502.

كئيب، بل وفي حال لم تعلوا زغاريد النساء ترحيبا بالمولود الجديد، يفهم بأن الطفل بنت، فيتوجه الرجل إلى المقهى حيث يلقي التعازي، ما يجعلنا نستخلص أن ميلاد المرأة غير مرغوب فيه باعتبار أنها تشكل وصمة عارّ بالنسبة للعائلة¹.

إن أهم ما يميز التنشئة الاجتماعية في الوسط الاجتماعي الجزائري، يذكر الباحث بلقاسم الحاج² هو محتواها التمييزي لصالح الذكور على حساب الإناث، فالبنت تحظى بتربية مختلفة عن التي يحظى بها أخوها، وكل شيء يحدث ليأتي ويذكرها بتفوق أخوها الذكر عليها في مختلف المناسبات كمناسبات الميلاد وقص الشعر لأول مرة وحفل الختان... إلخ فالتنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري تقوم على التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى، باعتبار أن الرجل يجلب الشرف أو يحافظ عليه، في حين المرأة تشكل مصدر خطر وتهديد لهذه القيمة. وتتم هذه العملية من خلال مجموعة من الممارسات التقليدية كالتمييز في اللباس، وكذا تثيب قيمة الاحتشام لدى البنت باعتبارها مقوم أساسي من المقومات النازمة للسلوك الأنثوي، والدينية كالفصل بين الأبناء الذكور والإناث من خلال تخصيص غرف خاصة بكل جنس على حدا، أو العالمية كالألعاب حيث يقدم للبنات دمي والذكور سيارات.

3- التمييز الجنسي (Stéréotypes sexuels):

قبل الشروع في الحديث عن آليات التمييز الجنسي في الوسط الاجتماعي الأسري الجزائري باعتباره جزء من عملية التنشئة لقيمة الشرف في الثقافة الجزائرية، سنحاول أولاً استقصاء مفهوم التمييز والتمييز الجنسي باعتبارهما الركيزة في تفكيك هذه الآلية. والتمييز هو "تحديد عدد الأشكال المتنوعة التي تتكون منها فصيلة ما... ويظهر التمييز الاجتماعي في اللغة وأزياء الملابس وأنساق الأخلاق وتقاليد وعادات العمل ويمكن في الواقع من وجهة نظر عامة النظر إلى جميع النظريات الاجتماعية كأمثلة للتمييز"³. بمعنى أنه العملية التي

¹ شادر كريمة (2001): المرأة الجزائرية ونموذج تغير الفتاة في إطار التغير الاجتماعي. دراسة سوسبولوجية ميدانية حول عينة من النساء بالجزائر العاصمة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، ص 75.

² بلقاسم الحاج: المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي داخل الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية وصفية تحليلية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، 2008-2009، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ص 43.

³ أحمد زكي بدوي (1982): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، ص ص 407-408.

من خلالها يتم تحديد أنواع السلوك الواجب انتهاجه في إطار ثقافي معين بحيث يتيح التقييم والقياس فمثلا تناول ثلاث وجبات في اليوم هو نمط غذائي خاضع للقياس والتقييم والتقييم.

أما التتميط الجنسي فكما عرفه المختص في علم النفس التربوي الدكتور حامد عبد السلام زهران هو "تبني الدور الجنسي، وهو عملية التوحد مع شخصية نفس الجنس واكتساب صفات الذكورة بالنسبة للبنين وصفاة الأنوثة بالنسبة للبنات، ويبدأ التتميط الجنسي في وقت مبكر، وذلك عن طريق تقمص سمات شخصية الوالد والكبار من نفس الجنس، ويتضمن التتميط الجنسي اكتساب المعايير والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام وكذلك إستدخال الأنماط السلوكية المناسبة لجنس الفرد"¹.

إذن فالتتميط الجنسي هو عملية لا شعورية يكتسب من خلالها الفرد مجموعة من الصفات السيكولوجية والسلوكيات الاجتماعية وفقا لخصائصه الجنسية، وهذا ما يشير إليه جان ميزونوف (Jean Maisonneuve) في مؤلفه مدخل إلى علم النفس "هو مجموع السلوكيات والصفات والأدوار المنسوبة إلى مفهومي الذكورة والأنوثة في ثقافة معينة"²، وتضيف بربرا سميث (Barbara Smith) بأنه "توقع الاتجاهات أو قيم أو سلوكيات معينة، لها صلة أو ارتباط بجنس معين أو بالآخر"³؛ بالتالي فالتتميط الجنسي عملية تخضع بالأساس للثقافة التي يتفاعل بداخلها الطفل، حيث يكون لمفهومي الذكورة والأنوثة المرجعية في تحديد مختلف الأدوار والنشاطات والقيم الناظمة لتفكير وتفاعل الفرد في محيطه الاجتماعي.

وهنا نجد أن الأسر الجزائرية تعتمد في الغالب على هذا النمط من التنشئة الاجتماعية حيث "أول ما تبدأ التفرقة بين الأخ والأخت بواسطة المهام المخصصة لكل جنس على حدا... نجد أن عمل المرأة يكون في محيط البيت ويتمثل في إعداد الطعام، وغسل الأواني وحلب المواشي، وهي كلها أعمال لا يحق للرجل التدخل فيها، بل إن مهمة الموكل إليه إجبارياً هي خارج البيت وتتمثل في جلب قوت عياله"⁴، يقول بلقاسم الحاج. من هنا نجد

¹ عبد السلام زهران (1981): علم النفس الاجتماعي، علم الكتاب، ط2، القاهرة، ص273.

² Jean Maisonneuve (1989) : Introduction à la psychologie, Puf, Paris, P138.

³ بربرا سميث (2009): سيكولوجيا الجنس والنوع، تر. سامح وديع الحفش، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ص75.

⁴ بلقاسم الحاج، مرجع سابق، ص43.

أن المهام الأسرية في المجتمع الجزائري تتم وفق التمييز الجنسي والذي له ارتباط وثيق بمفهوم الشرف؛ ذلك أن قيام الرجال بالنشاطات النسوية يشكل مساس في قيمة الشرف لدى الرجل الجزائري في التصور الاجتماعي، ثم أن خروج المرأة من البيت بدون إذن، يعتبر كذلك مساسا بشرف الرجل والأسرة.

إن عملية التمييز الجنسي جعلت أن تصاغ صورة الجنسين ومكانتهم تماشيا مع الدور المتوقع من كل واحد منهما في المستقبل، حيث يتم تلقين الجنس البشري وفق الأدوار الملائمة له والمتلائمة مع جنسه. فيتعلم الأبناء/الذكور أدوارهم المستقبلية كروبوب بيوت (أزواج/آباء)، بينما البنات يتعلمن أدوارهن المستقبلية كربات بيوت (زوجات/أمهات). وهذه النظرة التقليدية متجذرة في التراث الثقافي، وهو تصور يمجّد مكانة الرجل والمرأة على حدّ سواء، وفق أدوارهم المتناغمة مع أجناسهم، ومن هنا يتم تنشئة كل نوع بطريقة مغايرة عن الآخر.

إن الأسر الجزائرية تقوم بهندسة العقل البشري لأبنائها على أساس الخصائص الفيزيولوجية للفرد، أي أنه يتم التعامل مع الطفل وفقا لتركيبته الجنسية. ما يجعله ينمو ويتفاعل مع بيئته وفق ما تقتضي هذه التركيبة، ومن هنا نجد أن البنت يتم ترويضها على نشاطات البيت كغسل الملابس، تحضير الطعام، تنظيف البيت... إلخ، من الشؤون المنزلية، في حين يتم ترويض الطفل الذكر على نشاطات خارج البيت لجلب القوت وحماية الأسرة، وهي نشاطات تنحصر في المجالين الاقتصادي والأمني.

4- تثبيت القيم الدينية: إن الحديث عن تثبيت القيم الدينية وعلاقته بالشرف في

الثقافة الجزائرية، يقودنا في حقيقة الأمر للحديث عن مفهومين أساسيين في التنشئة الاجتماعية للطفل، حيث يشكلان أسلوبين في حدّ ذاتهما يدعمان مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري إنهما: الحلال والحرام. والحلال هو ما أجازاه الله لعباده في تشريعاته القرآنية والحرام هو ما منع منه العبد.

وتعتمد الأسر الجزائرية في تثبيت قيمة الحشمة والحياء من خلال التأكيد على أنهما قيمتان دينيتان يقتضي من الفرد التقيد بهما لاجتناب الموبقات وتحقيق الحياة الكريمة، ذلك أن الحلال وما يقتضي من شعائر دينية من سمات الأشخاص الشرفاء.

وعلى هذا النحو ينشأ الفرد على قيم دينية إسلامية تجعله يتفاعل بها في وسطه الاجتماعي والتقدير بيها يمنحه الشرف الاجتماعي.

رابعاً: حماية الشرف في المجتمع الجزائري

لاحظنا في سابق عرضنا في هذه الدراسة أن الشرف قيمة أساسية ومحورية في بناء العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري، من هنا تظهر ممارسات عدة ومتنوعة للحفاظ على هذه القيمة سوء على المستوى الفردي أم الجماعي ومن جنس لآخر.

1- حماية شرف المرأة: بين الممارسات التقليدية والطب الحديث

نظراً للأهمية البالغة التي يوليها المجتمع الجزائري لعذرية الفتاة قبل زواجها وارتباط هذا التصور بشرف المرأة والشرف العائلي بوجه أخص، ظهرت ممارسات اجتماعية وطقوس ثقافية تعمل على حماية عذرية الفتاة من أي فعل من شأنه أن يمس غشاء البكارة ويمزقه. ومن هذه الممارسات نجد: التصفاح ورتق البكارة.

- **التصفاح:** يسمى كذلك بالرَّبِيط في اللغة الشعبية الجزائرية. هي بحسب مالك شبل ممارسة كثيرة الحضور وشاسعة الانتشار في الشمال الأفريقي.¹ لا توجد دراسات على حد اطلاقنا تشير إلى الجذور التاريخية لهذه الممارسة، باستثناء أن العالم أبو عبد الله محمد بن محمد النفزاوي استخدم المصطلح في مؤلفه الروض العاطر في نزهة خاطر الذي أصدره في حوالي عام 1413 للميلاد وهو ما يوحي بوجود هذه الممارسة في زمنه أو ربما من قبل حيث قال: "المصفحات وهي التي لم يقدر على دخولهن ذكور"².

وقد عبر مالك شبل في كتابه الجنس والحريم روح السراري عن التصفاح بـ "طقس الإغلاق"، وهي عملية سدّ العضو التناسلي للفتاة بتخييطه.³ وهو بحسب محمد الصالح بلقج (Mohamed Salah Belgadj) يندرج ضمن الممارسات السحرية التي تهدف إلى

¹ مالك شبل (2010): **الجنس والحريم روح السراري الممارسات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير**، تر. عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 82.

² أبو عبد الله النفزاوي (1993): **الروض العاطر في نزهة خاطر**، تحقيق جمال جمعة، لندن، ص 182.

³ مالك شبل، مرجع سابق، ص 82.

الحفاظ على شرف الفتاة وبكارتها والوقاية من كل خطر خارجي.¹ ويضيف مالك شبل بأن طقس الإغلاق يمنع الفتاة من مباشرة أي علاقة جنسية حقيقية وكاملة، وفي نفس الوقت لا يمنعها من ممارسة احتكاكات جنسية سطحية، لن تعرض غشاء البكارة لخطر الافتضاض أو التمزيق.²

فالتصفاح هو ممارسة اجتماعية سحرية تعمل على تقييد وشدّ العضو التناسلي للبنات العذراء، وإعجازه أمام أي اتصال جنسي من شأنه فضّ بكارتها، وهي على هذا النحو ممارسة تحمل في طياتها معتقدات شعبية تتمثل حصرياً في حماية غشاء البكارة الذي يحمل دلالة رمزية مادية عن شرفها وشرف أسرته. حيث ترى في هذا الشأن الباحثة التونسية السحيري بن حنيرة في كتاب لها حول الجسد والمجتمع بأن التصفاح ممارسة سحرية غايتها صيانة جسد الفتاة مشروع المرأة وحجبه عن الآخر أي الرجل.³

وتتم عملية التصفاح في سرية تامة بعيداً عن تواجد الرجال على اعتبار الفعل يندرج ضمن عالم النسوة وخصوصيتهن.⁴ حيث تقوم المرأة المصفّحة بفتح فجوة عميقة من أسفل إلى أعلى فخذ البنت حتى يخرج شيء من الدم. وتردد البنت في أثناء العملية سبع مرات متتالية عبارة "وُلد النَّاسُ خِطٌ وَنَيًّا حَيْطٌ". ولفك الربيط أو التصفاح يتم إجراء نفس العملية أيام قلائل قبل يوم الزفاف، لكن في هذه المرة بفتح الفجوة من الأعلى إلى الأسفل وتردد الفتاة عكس الصيغة التي ذكرتها في المرة الأولى "وُلد النَّاسُ حَيْطٌ وَنَيًّا خِطٌ".⁵

وعلى هذا النحو فممارسة التصفاح تتم عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى وتسمى مرحلة التصفاح أو الربيط⁶، تكون قبل الزواج ويختلف سنّ إجراءها باختلاف المناطق، لكن على العموم تكون قبل سن الرشد للفتاة الواقع بين أربع

¹ مالك شبل، نفس المرجع، ص 82.

² مالك شبل، نفس المرجع، ص 82.

³ صوفية السحيري بن حنيرة (2008): الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر، تونس، ص 55.

⁴ Barkahoum Ferhati (2007) : Les clôtures symboliques des Algériennes : la virginité ou l'honneur social en question, Clio, N°26, France, P170.

⁵ مالك شبل، مرجع سابق، ص 82.

⁶ صوفية السحيري بن حنيرة، مرجع سابق، ص 55.

سنوات إلى ثماني سنوات على أقصى تقدير.¹ وتتم العملية في جو نسوي بامتياز، أين تتولى امرأة مسنة، تكون لها صلة قرابة بالبنات المصفحة أو من المقربين كالجيران، بإجراء الطقس السحري.² وبعد العملية تصبح الفتاة حسب الاعتقاد الشعبي مُسَكَّرَةً، مَرْبُوطَةً، مُصَفَّحَةً وهي تسميات تُطلق على البنات التي أُجريت عليها العملية³.

أما المرحلة الثانية فهي تأتي قبيل ليلة الزفاف وتسمى بمرحلة حل التصفيح أو الربيط⁴، التي تتم كما أسلفنا الذكر بصيغة عكسية حيث يشار للرجل بالحائط والبنات بالخيط. والجدير بالذكر في هذا المقام أن الشخص الذي يقوم بالتصفاح، أي المُصَفِّح بضم الميم وكسر الفاء، غالبا ما يترك وصية لأقرباء البنات قصد فكه في حال غيابه إذ تذكر الباحثتان أزرويل والمرنيسي أنه "عند قيام الأم بعملية الغلق فهي أيضًا التي تقوم بفكّ مفعول الطقوس السحرية التي تحفظ سرها، وغالبا ما تترك وصية لمن تثق بها حتى تفكّ ثقاف ابناتها في حال غيابها"⁵.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن التقنية التي تم عرضها هي واحدة من بين العديد من التقنيات الأخرى التي تعتمدها المرأة المغاربية والجزائرية على وجه الخصوص في المحافظة على عذرية البنات، ذلك لما للعذرية من أهمية في مستقبل البنات خاصة بما تعلق بالزواج وكذا شرف الأسرة، حيث وفي هذا الإطار عدّت الباحثة بركاهم فرحاتي في مقال لها حول العذرية والشرف أربع طرائق أخرى لعملية التصفيح، والتي يتم فيها الاعتماد على أدوات مختلفة كالقفل الحلقي (Cadenas)، خزانة (Coffre-fort) ... الخ⁶.

بالرغم من أن الدراسات البيولوجية غير واردة عن مفعول التصفيح على الجهاز التناسلي للمرأة على حدّ علمنا، إلا أن الواضح هو أن التأثير النفسي لهذا الطقس على البنات ينعكس على العمل بيولوجي للجهاز التناسلي ما يجعل استعصاء ولوج القضيب إلى

¹ Barkahoum Ferhati: **Ibid**, P170.

² صبيحة كيم (2022): **إستراتيجية الأسرة الجزائرية في حماية عذرية الفتاة بين استمرارية وتلاشي معتقد الربيط**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد خاص، الجزائر، ص43.

³ Barkahoum Ferhati: **Ibid**, P170.

⁴ صوفية السحيري بن حتيرة، **نفس المرجع**، ص55.

⁵ فاطمة الزهراء أزرويل، فاطمة المرنيسي وآخرون (1991): **مقاربات الجسد الأنثوي**، دار الفنك، الدار البيضاء، المغرب، ص 46-47.

⁶ Voir : Barkahoum Ferhati: **Op. Cit**, 2007.

المهبل في أثناء أي ممارسة جنسية، وهو ما تؤكد الباحثة التونسية صوفية السحيري "إذ يؤثر ما هو نفسي على ما هو بيولوجي فيستعصي الولوج"¹.

إن طقوس الرّبيط ظاهرة ثقافية بامتياز عرفها المجتمع الجزائري منذ القدم، وهي من الممارسات التي تدلي بتداخل العديد من الجوانب مع بعضها ذات الصلة بقيمة الشرف: فالنفسية تعبر عن خوف الأسرة وتحديد الأم على عذرية البنت، والبيولوجية في تحصين فرج البنت، وحتى الاقتصادية، ذلك أن هذا السحر أصبح يمارس مقابل ثمن مادي في بعض المناطق. وهي جوانب يختفي الشرف من وراءها باعتباره قيمة اجتماعية محورية في تأسيس العلاقات الثنائية رجل/امرأة.

- رتق البكارة (Hyménoplastie): هي عبارة عن عملية جراحية يتم فيها ترقيع/إصلاح غشاء البكارة. تقوم بها الفتاة التي فقدت عذريتها بسبب ممارسة جنسية أو لسبب آخر، وهو مفهوم جديد ظهر في مجال الطب الحديث حيث تبلور مع التطورات العلمية التكنولوجية الحديثة التي يشهدها العالم المعاصر. إذ أنها ترتبط بالثقافة الغربية مثلما أطلق عليها بالعذرية التوافقية².

وهي تدخل في إطارا الجراحات التجميلية مثل شدّ الوجه أو جراحة الجفن أو تكبير أو تصغير الثدي. ومع ذلك فعلمية رتق البكارة مرتبط بصفة "الحميمة" أي أنها نوع من "الجراحات الحميمة". تسمح للمرأة أن تجد غشاء بكارة "سليماً" كما قبل الزواج. ونتيجة ترقيع غشاء البكارة تكون فورية وتستمر حتى الجماع التالي. وتمتاز بكونها جراحة يصعب اكتشافها حتى في حالة إجراء فحص طبي لأمراض النساء قبل الزواج³.

هذه الممارسة في واقع الأمر ليست لحماية العذرية وإنما لإخفاء حادثة فض البكارة. فبعكس التصفاح الذي يتم في مرحلة عمرية مبكرة، فإن رتق البكارة عملية بَعْدية أي أنها تأتي بعد اكتشاف الفتاة أن غشاء بكارتها قد فُضّ. وحسب الباحثة خديجة مختاري تمثل

¹ صوفية السحيري بن حنيرة، مرجع سابق، ص 56.

² صبيحة كيم، مرجع سابق، ص 36.

³ Abdelouahed, Houria (2019): L'hyménoplastie ou à la recherche de la virginité perdue, Recherches en psychanalyse, vol. 27, no. 1, P20.

هذه الممارسة في المخيال النسوي "تحدي الرجل أو بالأحرى معاقبته والانتقام منه بطريقة أخرى وهي جراحة ترميم غشاء البكارة"¹

من هنا، يمكننا التقديم بأن رمزية البكارة عرفت تغير في المخيال الاجتماعي الجزائري الأنثوي على وجه الخصوص، فالعقلية الجديدة تعمل على تهشيم القيود الجنسانية وفتح جسور الحرية أمام المرأة وكذا الرجل للممارسة الجنسية، اعتباراً أن إشكالية فضّ غشاء البكارة باعتباره شهادة مادية عن شرف المرأة، أضحت عنصراً قابلاً لإعادة الإنتاج. وبالتالي فهستيرية البكارة التي تشكل نقطة ضعف المرأة أمام الرجل تتراجع؛ ذلك أن الخوف من فقدانها لم يبقى هاجساً في ظل وجود حلول بديلة وفرها الطب الحديث. وهنا تؤكد الباحثة مختاري خديجة "أنّ الخوف من الجنس الآخر (الرجل) قد تلاشى أمام تحديات العولمة الثقافية والتطور التكنولوجي والهاجس الذي كان يؤرق المرأة كنقطة ضعف يتصيداها الرجل ويجعلها تحت سلطة النظام الرجولي. أصبحت راسباً ثقافياً في بعض جوانبها"²

2- الثأر، الطلاق وصيانة الشرف عند الرجل

- الثأر والشرف:

إن الأخذ بالثأر فعل قديم بقدم البشرية فقد لاقى وجوده بوجود الإنسان على سطح البسيطة، وقد تناوله الأدباء على مر التاريخ في العديد من الأعمال الفنية بدأ بالمرح الإغريقي وصولاً إلى أعمال بيير كورني في مسرحية "السيد" ووليم شكسبير في مسرحيته الشهيرة "هاملت".

والبحث العلمي لم يكن بمنأى عن هذه الظاهرة فقد تطرق إليه المفكرون والباحثون عرب وغرب في الكثير من أبحاثهم ودراساتهم العلمية. حيث نجد واحدة من الدراسات المهمة في هذا المجال تلك التي أجراها الباحثين الأمريكيين في علم النفس الاجتماعي ريشار نيزبات (Richard Nisbett) ودوف كوهان (Dov Cohen) بعنوان ثقافة الشرف: سيكولوجية الجريمة في الجنوب. والتي كانت عبارة عن دراسة مقارنة حول ظاهرة العنف

¹ خديجة مختاري (2018): شرف المرأة في الثقافة الجزائرية بين الثابت والمتغير (رصد لمحددات تمثل القيمة)، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 45، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، ص 20.

² خديجة مختاري، مرجع سابق، ص 20.

بين سكان الشمال والجنوب في الولايات المتحدة الأمريكية والتي توصلوا من خلالها إلى أن اللجوء إلى العنف في المجتمعات التي تحتكم إلى ثقافة الشرف لا يمكن تفسيره بالعوامل الاقتصادية كالفقر أو اللامساواة في توزيع الثروات وإنما من خلال ثقافة الشرف ذاتها.¹

فعلى الرغم من أن مثل هذه المرجعيات والمصادر المختلفة أو التعليقات القليلة لا تسمح بقدر كبير من رسم صورة دقيقة لماضي دوافع الثأر إلا أنها تتيح الوصول إلى تركيب تصور عام حول هذه الظاهرة، فالثأر مثلما يرى أحمد أبوزيد خلال دراسته لقرية في الصعيد المصري هو "نظام اجتماعي متماسك له ملامحه الأساسية وقوانينه الخاصة التي تحكمه وتميزه عن جرائم القتل العادية"²، ويرى إبراهيم زيد كذلك بأنه "تصرف انفعالي يقصد به إزهاق الروح وبدافع الانتقام الغريزي، يقوم به فرد أو أكثر من أقرباء المجني عليه ضد الجاني أو أحد من الأقربين إليه"³ أما بالنسبة للدكتور عماد عبد الجواد فهو "نظام اجتماعي يقوم على مبدأ رد العدوان بالعدوان، وذلك إغفالا للقانون السائد الذي تطبقه السلطة المختصة في الدولة"⁴.

وتأسيسا على ما سبق فالثأر هو نظام اجتماعي قانونه الأساسي قائم على تعويض الإساءة التي مسّت شخص أو جماعة، حيث يقوم فيه فرد أو مجموعة من الأفراد بإلحاق الضرر بالشخص أو المجموعة التي تضرروا منها. وتظهر العلاقة بين الثأر والشرف عندما يثار الفرد بدافع انتهاك شرفه، إذ يذكر كارميل كاسار أنه تقليديا، كان التمسك بالشرف يظهر في ذروته عند القتل من أجل الشرف، الذي يشكل ردة فعل لإهانة خطيرة، ما يجعل أن تكون نتيجة جريمة الدم هي الثأر.⁵

إن الثأر عملية إجرامية بطلها رجل أو مجموعة من الرجال تبلورت نتيجة فعل يشكل في التصور الاجتماعي إهانة تمس بشرف الفرد أو الجماعة "ما يجعل فعل القتل أمر لا بد

¹ Voir, Richard Nisbett et Dov Cohen (1996): **Culture of Honor The psychology of violence in the south**, Westview Press, USA.

² أحمد أبو زيد (1964): **الثأر دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد**، دار المعارف، القاهرة، ص63.

³ محمد إبراهيم زيد (1978): **مقدمة في علم الإجرام والسلوك الإجرامي**، مطبعة دار النشر والثقافة، القاهرة، ص256.

⁴ عماد أحمد عبد الجواد (2007): **الثأر عند العرب مقارنا بالقصاص في الشريعة الإسلامية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أسيوط، مصر، ص66.

⁵ Carmel Cassar, **Op.Cit**, P77.

منه، يتم الإرغام عليه ويحظى بالمكافأة¹ مثلما يرى روجيه كايوا. ويضيف صاحب كتاب أنثروبولوجيا الشرف أن استخدام العنف الجسدي هو أقصى حالات الدفاع عن الشرف عندما تعجز باقي السبل.²

وقد تعرض الدين الإسلامي لمسألة الثأر في العديد من المحطات التي تبرز في القرآن الكريم والسنة النبوية واللذان يؤكدان على تحريم مثل هذه الممارسة التي تدخل عموماً في إطار زهق الأنفس وسفك الدماء كون النفس البشرية مقدسة في الشريعة الإسلامية، يقول المولى عز وجل في الآية 32 من سورة المائدة (كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) وفي الحديث الشريف يقول الرسول الكريم (زوال الدنيا أهون على الله من هدر دم مؤمن بغير حق)³

وبقصد التقليل والحد من انتشار ظاهرة الثأر شرع الدين الإسلامي التعويض المالي عن الضرر الجنائي، مؤسسا في ذلك لنظام اجتماعي يدعى: الدية. وهي كما عرفها ابن عرفة "مال يجب بقتل آدمي حر عن دمه أو بجرحه مُقَدَّرٌ شرعا لا باجتهاد"⁴ يقول تعالى في الآية 93 من سورة النساء (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) ويتبين من الآية الكريمة كذلك أن الدية لا تكفي لوحدها بل يتوجب على الفرد المجرم أن يحرر عبدا من قيود العبودية أو صيام شهرين متتابعين في حال لم يجد عبدا لتحريره،

¹ روجيه كايوا (2010): *الإنسان والمقدس*، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص238.

² Pitt-Rivers, *Op. Cit.*, P28.

³ محمد ناصر الدين الألباني (1988): *صحيح الجامع الصغير وزيادته*، المجلد الأول، المكتب الإسلامي، ط 03، بيروت، ص905.

⁴ أبو عبد الله الرصاع (1993): *الهداية الكافية الشافية لبیان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية*، تحقيق: محمد أبو الأجدان والظاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص621.

وهي قيود جاءت لوضع حد لظاهرة سفك الدماء ولو بالخطأ والتي يشكل فيها الثأر جريمة لا تغتفر، وهي "حلول لكل ما يمكن أن يشغل بال المؤمن إن قتل مؤمناً بالخطأ"¹

- الطلاق، الوجه الخفي لصيانة الشرف:

إن الطلاق ظاهر اجتماعية قديمة ذات صلة وثيقة بنظام الأسرة ولا ندري إلى متى تعود جذورها وكيف تأسس نظامها، فقد وجدت عند الإغريقين والمصريين القدامى والرومان وعند اليهود والمسيحيين والمسلمين. بالتالي هي ظاهرة تختلف أشكالها وأنواعها باختلاف المجتمعات والثقافات، ما يجعل أسباب وقوعها في تداخل مع عوامل متعددة: اقتصادية، نفسية، اجتماعية، وثقافية.

وبالرغم من كون الطلاق لدى المسلمين أبغض الحلال عند الله، إلا أنه ظاهرة اجتماعية ذات ارتباطات بمختلف جوانب الحياة لا سيما فيما تعلق بالشرف وتصوراته الاجتماعية في المجتمع الجزائري وهذا ما سنحاول تفصيله في هذا الصدد. إذ ما يلاحظ عن الطلاق في المجتمع الجزائري هو أن له صلة كبيرة بقيمة الشرف حيث تظهر معالم هذا الارتباط في جزئيات يمكن إبرازها من خلال أسباب ودواعي الطلاق من جهة ثم في آلياته من جهة أخرى.

فقد أجرى الباحثان مصلي رضوان ومداني سليمة دراسة حول أسباب الطلاق في الجزائر لعينة من النساء المطلقات²، حيث أفضت النتائج بتصدر الخيانة الزوجية على قائمة الأسباب التي تدفع إلى الطلاق في المجتمع الجزائري. وهذه الحقيقة ليست بالجديدة لا في المجتمع الجزائري ولا في المجتمعات العربية أو الغربية، فكثير من الآراء تتفق حول استحالة استمرار العلاقة الزوجية بعد حدوث الخيانة الزوجية لاسيما في حالة المرأة الخائنة³. لكن ما يجب أن نتباحثه في هذا الصدد هو كيفية تأثير قيمة الشرف على اتخاذ

¹ زينب علي عبد محسن (2013): الثأر السليبي بين الشريعة الإسلامية والتاريخ، م.01، ع.11، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ص542.

² مصلي رضوان ومداني سليمة (2018): أسباب الطلاق في الجزائر دراسة ميدانية ببلدية بوفاريك، حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، الجزء 2، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ص402.

³ هناء جاسم السباعوي (2013): الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل -دراسة تحليلية-، إضاءات موصلية، العدد 74، ص7.

قرار الطلاق حيث من خلالها تبرز لنا العلاقة الكامنة بين المفهومين وبالتالي السؤال الذي يتمخض: لماذا تستحيل العلاقة الزوجية في حال المرأة الخائنة؟

إن الوفاء قيمة لصيقة بنظام الشرف إذ لا يمكن تصور هذا النظام القيمي من دون هذه القيمة المحورية. والوفاء هو نقيض الخيانة التي تعني عدم المحافظة على الأمانة. وقد لاحظنا فيما سبق بأن الشرف في المجتمع الجزائري مؤسس على تصورين ديني وذكوري، وإذا كان الطلاق من وجهة نظر تنظيمية هو عملية يتم من خلالها إنهاء علاقة زوجية بين الرجل والمرأة، فإنه من وجهة نظر ثقافية قيمة يشكل عملية لحفظ شرف الرجل واسمه اللذان يرتبطان بسمعة عائلته وشرفها خاصة فيما تعلق بخيانة الزوجة لزوجها. ذلك أن خيانة الزوجة يعتبر حدث مخل بنظام الشرف المؤسس على القيم والمبادئ الدينية من جهة وقيم ومبادئ النظام الذكوري من جهة أخرى، فاستمرار العلاقة الزوجية بعد الخيانة يشكل في التصور الاجتماعي الجزائري وصمة عار على الرجل وجب مسحها عبر الطلاق.

خامسا: الشرف في التشريع الجزائري

إن الخوض في دراسة ظواهر سوسيولوجية بمقاربة قانونية يرسم في ذهنية القارئ ذلك البعد السياسي للمسألة، بمعنى أن الحديث عن المنظومة القانونية في المخيال الاجتماعي الشعبي وفي بعض الأحيان حتى العلمي دائما ما يضع القارئ في جو فكري سياسي. وهو تصور منبثق من طبيعة التركيبة الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة القائمة على التقسيم والتخصيص العملي والعملي للحياة الاجتماعية والذي جعل أن ترتبط المسائل القانونية ارتباطا حميميا بالمسائل السياسية. وهذا التصور في منظورنا مشوه كون القوانين في أصلها منبثقة من ظروف تاريخية واجتماعية لهذا فالحديث عن القوانين والتشريعات المسيرة للدول هو حديث عن قوانين ناظمة للحياة الاجتماعية بالدرجة الأولى.

وبالنظر إلى الأهمية التي توليها المجتمعات الإنسانية للشرف وما يمكن أن يجنيه الفرد من هذه القيمة وما حصل في الماضي من استغلال واستعمال للسلطة والثروات بغير حق فقط باسم الشرف، ثم ما يترتب على انتهاكه من عنف يؤدي حتى حد الموت. فقد اعتمدت المجتمعات المعاصرة مجموعة من القوانين تحمي هذه القيمة الاجتماعية من أي

استغلال وانتهاك يقول شوبنهاور "تحسبا لحماية الشرف من أي تلاعبات، سُنت قوانين تجرم القذف والتشهير والمس بحرمة الأشخاص وتزجر الشتم والسب"¹.

وتعتبر القوانين والتشريعات الجزائرية الشرف من الأسس الأساسية التي يجب أن يتمتع بها المجتمع والأفراد على حد سواء. لهذا حرص المشرع الجزائري على حماية هذه القيمة بل وإعطائها مكانة خاصة في القانون الأعلى الذي يحكم الجمهورية الجزائرية فقد جاء في المادة 47 من الدستور الجزائري لسنة 2020: "لكل شخص الحق في حماية حياته الخاصة وشرفه"² وتصنف كل الجرائم المرتبطة بهتك العرض في القانون الجزائري ضمن الجنايات حيث جاء في المادة 336 من قانون العقوبات أن "كل من ارتكب جنائية هتك عرض يعاقب بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات"³.

وعلى اعتبار أن الشرف يأخذ أبعادا متعددة بحسب الزاوية والمكانة التي يتموضع فيها الفرد، فقد يكون الشرف بالنسبة للرجل زوجته، عندما يكون متزوجا، ويقترن هنا بالممارسة الجنسية، كما قد يكون الشرف ذات الفرد ويرتبط هنا بكرامته ومكانته الاجتماعية وبالتالي كل إساءة لذاته تشكل انتهاكا لشرفه.

وعلى هذا النحو فالقانون لم يجزم في مسألة الشرف في مادة واحدة وإنما أخذ كل جزئية على حدة، فمسألة الزنا مثلا صنفها المشرع ضمن الجنايات التي تصل بمرتبتها إلى حد السجن لسنتين حيث جاء في المادة 339 أنه "يقضي بالحبس من سنة إلى سنتين على كل امرأة متزوجة ثبت ارتكابها جريمة الزنا. وتطبق العقوبة ذاتها على كل من ارتكب جريمة الزنا مع امرأة يعلم أنها متزوجة. ويعاقب الزوج الذي يرتكب جريمة الزنا بالحبس من سنة إلى سنتين وتطبق العقوبة ذاتها على شريكته"⁴.

وكذلك بالنسبة للقذف والشتم والسب فهي من القضايا التي تمس بذات الإنسان وسمعته وشرفه في وسطه الاجتماعي وهي مسائل لم يتغافل عنها القانون الجزائري فالمادة

¹ آرثور شوبنهاور (2018): *فن العيش الحكيم تأملات في الناس والحياة*، تر. عبد الله زارو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 92.

² *دستور الجزائر 2020*، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 82، 30 ديسمبر 2020، المطبعة الرسمية، الجزائر، ص 13.

³ الأمر رقم 66-165 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،

⁴ الأمر رقم 66-165 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،

298 (معدلة) من قانون العقوبات تذكر "يعاقب على القذف الموجه إلى الأفراد بالحبس من شهرين إلى ستة أشهر وبغرامة من 25.000 دج إلى 50.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين"¹، وكذلك في المادة 299 من ذات القانون نجد أنه "يعاقب على السب الموجه إلى فرد أو عدة أفراد بالحبس من شهر إلى ثلاثة أشهر وبغرامة من 10.000 دج إلى 25.000 دج"².

إن التشريع الجزائري مثلما كل التشريعات العالمية عمل على حماية وصيانة الشرف من الملاحظات التي من شأنها أن تزعج بممارسات قد تصل إلى حد العنف، بحيث كفل لهذه القيمة الاجتماعية الحماية الجزائية والمدنية باعتبارها حق شرعي لكل فرد، إلا أن الملاحظ هو أن حد العقوبة نرى بأنه لا يتناسب وطبيعة الجريمة فمثلا جعل الحد الأقصى للسجن لجريمة الزنا يتوقف عند سنتين؛ عقاب أقل ما يقال عنه أنه هزيل مقارنة بحجم الجريمة والأثار المترتبة عنها في الوسط الاجتماعي.

¹ الأمر رقم 66-165 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،

² الأمر رقم 66-165 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،

الفصل الخامس: مسارات في تطور الشرف الجمعي في الجزائر: من الشرف القبلي إلى الشرف الوطني

تمهيد

أولاً: في ماهية الشرف القبلي والشرف الوطني

ثانياً: الشرف القبلي في الجزائر

ثالثاً: الشرف الوطني في الجزائر

خاتمة

تمهيد

في هذا الفصل سوف نتطرق إلى الشرف الجمعي كأحد الأنواع الذي يحدد القيم والمعايير التي يجب أن يتحلّى بها الأفراد في بيئتهم الاجتماعية قصد تحقيق جُملة من الغايات في المحيط الداخلي للجماعة وكذا الخارجي، وبمقدورنا أن نميز نوعين رئيسيين من الشرف الجمعي في الجزائر: الشرف القَبلي والشرف الوطني، وبغض النظر عن محددات كل نوع، فإن التنويعات تبدو حافلة بالكثير من العناصر الجوهرية، على نحو نميز عبر المباحث بين المجتمع القبلي الذي حافظ على الشرف انطلاقاً من الذاكرة الشعبية والثقافة القبلية والتقاليد العرفية، والتي تُلزم الأفراد والعائلات والعشائر احترامها والتقيد بها، كحرف المرأة باعتباره أحد المقاييس المشتهاة والمبتغاة عند المجتمعات، أو مثل حرمة المسكن والأرض...، ومن جهة أخرى نتناول في الشقّ الموازي للمبحث الشرف الوطني الذي اقترن أساساً بالثقافة السياسية والوطنية، منذ تأسيس الدولة الجزائرية، أين نجد دور الحركات الوطنية في إعلاء الراية الوطنية، وصولاً إلى قيام الدولة الحديثة على تدوين قيمة الشرف في المواثيق الوطنية والرسمية، مثل تدعيم قيم المواطنة والانتماء وتعزيز الهوية الوطنية.

أولاً: في ماهية الشرف القبلي والشرف الوطني

إن الذي يجب توضيحه هنا وتمييزه عن باقي أنواع الشرف هو مفهوم الشرف الجمعي كونه اللبنة الأساسية الذي تنبثق منه أنواع الشرف الجمعي الأخرى. ونعني بهذا الأخير شرف الجماعة ككل أي قيمة الجماعة ككتلة واحدة في نظرها وفي نظر أقرانها من الجماعات البشرية المجاورة لها. فالشرف الجمعي هو نوع من الشرف الذي يحدد القيم والمعايير التي يجب أن يتحلّى بها الأفراد في بيئتهم الاجتماعية قصد تحقيق جملة من الغايات في المحيط الداخلي للجماعة وكذا الخارجي، وبالتالي هو قيمة داخلية وفي الوقت ذاته خارجية يشير إلى سمعة الجماعة أمام نظائرها من الجماعات البشرية الأخرى.

وعلى هذا النحو فإن الشرف الجمعي يأخذ أشكال مختلفة باختلاف الثقافات البشرية وكذا التنظيمات الاجتماعية والسياسية باعتبارهما الإطار الأكثر تنظيماً وهيكله للحياة الاجتماعية والأكثر تأثيراً في الضمير الجمعي للمجتمع الجزائري.

من هنا وانطلاقاً من التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي عرفه المجتمع الجزائري عبر تاريخه، يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من الشرف الجمعي في الجزائر: الشرف القبلي والشرف الوطني.

1- مفهوم الشرف القبلي: هو نوع من الشرف الجمعي القائم على مجموعة من المحدّات والمبادئ ذات الصلة بالثقافة القبلية والتقاليد العرفية، التي تختلف هي الأخرى من فضاء جغرافي قبلي إلى آخر. أي أن محدّات الشرف القبلي تنبثق أساساً من الثقافة القبلية الحاضرة لها والتي تلزم الأفراد والعائلات والعشائر احترامها والتقيّد بها.

2- مفهوم الشرف الوطني: هو نوع آخر من أنواع الشرف الجمعي، له كذلك محدّداته القيمة ومبادئه الاجتماعية، إلا أن ارتباطاته تختلف عن الشرف القبلي ذلك أنه مقرون أساساً بالثقافة السياسية وبخاصة الوطنية. وهو نوع تبلور مع التطورات الاجتماعية والسياسية العالمية التي شهدتها الإنسانية خلال الثلاث قرون الماضية والتي عرّفت تلاشي النظام الاجتماعي القبلي.

ثانيا: الشرف القبلي في الجزائر

إن تحديد الأصول التاريخية للشرف القبلي في الجزائر مسألة معقدة كون التنظيم القبلي في المجتمع الجزائري يعود إلى حقبة زمنية غابرة، إلا أنه ما يمكن تقديمه هو أن هذا النوع من الشرف قد ساد في المجتمع الجزائري حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وعليه سنحاول التفصيل في هذا النوع من الشرف الجمعي انطلاقا مما توفر من مصادر ومراجع تتيح الولوج لفهم ثقافة القبائل الجزائرية ومن ثم استخراج محددات ومظاهر الشرف القبلي لدى القبائل الجزائرية وكذا أهم الوظائف التي كانت تؤديها هذه القيمة الاجتماعية.

1- محددات الشرف القبلي في الجزائر:

مما لا شك فيه أن محددات القيم الاجتماعية بصفة عامة نابعة من المعتقدات والتصورات الاجتماعية التي تبلورت نتيجة ظروف تاريخية وسياسية وحتى جغرافية، والشرف باعتباره قيمة اجتماعية هو كذلك خاضع لجملة هذه العوامل بدرجات متباينة من عامل إلى آخر. والملاحظ على الشرف القبلي في الجزائر أن محدداته تبرز أساسا في تلك العناصر والمجالات التي يُحضر انتهاكها وتدنيسها إذ هو شعور "يجد وجوده في معنى المقدس"¹، كما يقول بيار بورديو.

على هذا النحو نجد عدد معتبر من العناصر التي تتدرج ضمن إطار الشرف القبلي والتي تحدد معنى ومجال هذه القيمة، ويمكن إبراز أهمها انطلاقا من جملة الرموز الحاضرة لمحددات الشرف القبلي. وهي في مجملها رموز بأبعاد ثقافية ذات دلالات اجتماعية وسياسية ودينية وتاريخية. لهذا فإننا سنحاول فحص البعض منها لفهم الأبعاد المتسترة من ورائها.

¹ Bourdieu, Pierre (2000) : Esquisse d'une théorie de la pratique : procédé de trois études d'ethnologie kabyle, Seuil, Paris, P47.

من بين العناصر النازمة لمفهوم قيمة الشرف القبلي نجد تلك التي تطرق إليها بيار بورديو متمثلة في المرأة، الأرض والبيت. وهي عناصر تتدرج ضمن إطار مفهومي العرض والحرمة كما سبق وأن أشرنا في الفصل الخاص بالشرف في الثقافة الجزائرية. إلا أنه ما يجب استقصاءه هنا هو دلالة هذه العناصر بالنسبة للشرف القبلي أو بمعنى آخر تفكيك العلاقة الكامنة بين كل من المرأة، الأرض، البيت والشرف القبلي؟

أ. المرأة: لعبت المرأة دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى العسكرية في المجتمع الجزائري في زمن القبيلة، بحيث يبرز هذا الدور من خلال الوظائف التي كانت تؤديها المرأة وكذا المناصب القيادية التي تقلدتها، على غرار الكاهنة ديها **Dihya** (المعروفة أيضا باسم الكاهنة **Al Kahina**) التي حكمت قبيلة زناتة وقادت معارك لمقاومة زحف المسلمين دفاعاً عن رياستها وحدود مملكتها.¹ أو كذلك مشاركة النساء في الحروب إلى جانب الرجال مثلما حدث ابان الحكم الزياني لبلاد المغرب الأوسط عندما هاجم السلطان أبو الحسن المريني مدينة تلمسان في سنة 1336م فوجد النساء تخضن المعركة خلف أسوار المدينة.²

وإن كان لهذا الدور الذي أدته المرأة الجزائرية من الأهمية ما يزيد من شأنها وإعلاء مكانتها، إلا أن ذلك لم يمس في مفهوم الشرف لدى المرأة والقبائل بصفة عامة. فقد كان الجنس الأنثوي يشكل محددًا هامًا في النظام القيمي للشرف، بل يعتبره القبيلة شرف في حد ذاته وجب حمايته والدفاع عنه، يقول غابرييل غامب "والشرف الذي يجب على المرء حمايته هو في المقام الأول شرف الأسرة والمقصود به خاصة شرف النساء"³، ويتمثل هذا الشرف أساسًا في عفة المرأة ونقاؤها. فالمرأة تشكل جزء لا يستهان به في تحقيق وإعلاء سمعة العائلة والقبيلة باعتبارها رمز الحياة لكونها المسؤولة الأولى على وظيفة الإنجاب

¹ بن قرية صالح وآخرون (2007): تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص34.

² فيلالتي عبد العزيز (2002): تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، ص 293.

³ كامب غابرييل (2014): البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب، ص 384.

يقول جوديت عبد الكريم "الشرف صفة ملازمة للمجتمعات القبلية فالمحافظة عليه تعبير عن الحرص على اعلاء سمعة العائلة والقبيلة، وعلى صفاء دمها"¹

والمخفي من وراء صفاء الدم هو صفاء النسب أي عدم اختلاط الأنساب، لهذا نجد نظام الألقاب الشائع في المجتمعات العربية القبلية النظام الثلاثي المكون من اسم الفرد ثم اسم أبيه ثم اسم جده. الأمر الذي دفع ببورديو في مؤلفه سوسيولوجيا الجزائر بالقول "لفهم أهمية اللقب، الذي يهيمن على الواقع التاريخي والاجتماعي، وجب التموقع في منطق الشرف والهيبة"²، إذ أن هوية الفرد تظهر في اسمه الذي يشير إلى عائلته وقبيلته.

ولهذا تشكل ممارسة المرأة لعلاقات جنسية خارج الأطر المتفق عليها، والمتمثلة أساسا في الزواج، وصمة عار تلحق بالعائلة أو القبيلة. الأمر الذي يدفع إلى الثأر واتخاذ عقوبات صارمة ضد الفاعلة قد تصل حتى حد الموت، حيث "تأتي ردّة فعل القبيلة أو الأسرة قوية عندما يُلطخ شرفهم بفعل زنا المرأة، ويكون الزوج القاضي الوحيد حول العقوبة المسطرة بالطلاق أو الموت، كما أن الأسرة تؤثر عليه بالتهديد والتوبيخ، حتى يثأر"³. وانطلاقا من السلطة الأبوية الخاصة لفكرة غسل العار واعتباره ضابط تعزيز مكانة القبيلة، فقد "كان الاعتداء على شرف المرأة يلحق عارا بالقبيلة لا تستطيع احتمالها، فتذهب لغسله"⁴.

ومن الأمثلة كثير حول علاقة الشرف بالمرأة و الممارسة الجنسية بوجه أخص، وما يترتب عليها من وصمة عار تلحق العائلات والقبائل تصل إلى حد القتل إذ يذكر المؤرخ المغربي ابن عذاري أنه في سنة 921م "كان الرجل المتشرق يدخل إلى حليمة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه، ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ويقول له تصبر فإذا صبر عدّ كامل الإيمان وسمي من الصابرة"⁵، مما دفع بالسكان إلى الثوران وقتل بعض المتشركين وعدم الخضوع للسلطة الحاكمة الفاطمية آنذاك والرفض الكامل للتشريق وردت

¹ جودت عبد الكريم يوسف (1991): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص304.

² Bourdieu, Pierre (2006) : **Sociologie de l'Algérie**, Presses Universitaire de France, Paris, P67

³ Bourdieu, Pierre, **Op.Cit**, P24.

⁴ جودت عبد الكريم يوسف (1991): مرجع سابق، ص 304.

⁵ ابن عذاري المراكشي (1971): البيان في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص185.

الفعل هذه إنما تُظهر تمسك القبائل بشرفهم وحرصهم على أعلاء هذه القيمة الجوهرية في البنية الاجتماعية والثقافية وما يترتب على المساس بها من أفعال إجرامية.

كما تذكر المصادر التاريخية كذلك أنه أثناء الحصار المريني على تلمسان خلال سنتي 1299 و1306 للميلاد، والذي كادت أن تسقط فيه الدولة الزيانية، تقدمت إحدى نساء البلاط الزياني، تدعى دعد، إلى أبي حمو وأبي زيان وأخبرتهما بالاتفاق الذي قدمت إليه أميرات بني زيان وسيدات القصر متمثلاً في قتلهن خشية منهن على شرفهن من العار والذل وانتهاك حرمتهم وحرمة رجالهن لما قد يفعله المرينيون في حال اقتحامهم لمدينة تلمسان.¹ ويروى أيضاً "أن ابنة أحد أصدقاء حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية كانت من سبايا باغية، وكان الجنود قد نالوا شهوتهم، وحدث أن تقدم والدها لصديقه حماد طالبا فك أسرها، فدعاها إليه، لكنها نجحت في تمرير حيلة على حماد أدت إلى قتلها بحد السيف، ذلك لأنها كرهت العيش بعد الذي جرى، ألا يدل هذا على أن الموت أهون من عار الزنا"².

إن ارتباط شرف المرأة بعذريتها وفرجها عامةً وإن اعتبره البعض "من أنانية الرجل، فهو يعتبر المرأة متاعاً خاصاً به ليس لأحد أن يشاركه"³، إلا أننا نرى أن المسألة مرتبطة بعامل آخر، غير تلك النظرة الذكورية التسلطية التي لا ننفي وجودها. فالمجتمعات الشمال أفريقية كانت، كما سلف وأن ذكرنا، تولي أهمية بالغة للنسب، ذلك أن "بنية النسب الأبوي والنظام الأبوي يتضمنان كلا من دور الأب وكذا الغلبة المطلقة الممنوحة للرجال، حيث تخضع المرأة إلى سلطة النسل الأبوي"⁴، ما جعل أن تكون النظرة للمرأة على أنها هي الحاملة للحياة والحافظة للنسل وبالتالي هوية القبيلة "فهن اللاتي من خلالهن تتناقل الحياة. وشرف الزوجة، أو الابنة، أو الأخت، لم يغسله إلا بالدم"⁵.

¹ صالحى و داد (2021): المرأة بالمغرب الأوسط بين التأثير والتأثر خلال القرنين (6-12/هـ-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ص 85.

² جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 305.

³ جودت عبد الكريم يوسف، نفس المرجع، ص 304.

⁴ Bourdieu, Pierre, Op.Cit, P67.

⁵ كامب غابرييل، مرجع سابق، ص 384.

من هنا فالمرأة في ظل نظام الشرف القبلي تشكل رمزا حاضنا لدلالة الشرف، دلالة بأبعاد ثقافية وسياسية تتمثل في كونها الحافظ للهوية من خلال تحديد النسل والنسب من جهة، ومن جانب آخر فهي المحافظة، بطريقة غير مباشرة، على سيادة القبيلة كون الزعامة في النظام القبلي متوارثة تعود بالأساس إلى أفراد النسب الواحد إذ لا مجال للغريب لترأس القبيلة.

ب. الأرض: تشكل الأرض أحد الأسس المهمة التي تتبني حولها سيادة القبيلة ووجودها، ذلك أن كل قبيلة تقترن بمنطقة أو إقليم جغرافي معين، بحيث يشكل هذا الفضاء مجالا لاستقرار القبائل وتفاعل أفرادها فيما بينهم وناهيك عن كونها منبع ومصدر العيش بالنسبة للأسر والقبائل، "فلا قيمة للأرض إلا بالرجال الذين يحرثونها وأيضا بمن يحميها"¹.

فالأرض في النظام القبلي تحمل أهمية على مستويين: أولها اقتصاديا، باعتبار الأرض مصدرا للعيش والاستقرار، أين يقوم أفراد القبيلة بممارسة نشاطات الفلاحة والرعي وهي أهم ملامح الاقتصاد القبلي، والمستوى الثاني يتمثل في البعد السياسي والثقافي وهو الذي في رأينا، يتحدد وفقه معلم آخر من معالم الشرف القبلي، ذلك أن القبيلة كما يرى الأنثروبولوجي البريطاني إيفانز-بريتشارد (Evens-Pritchard) هي الفاعل في النسق السياسي الذي تتحدد ملامحه من خلال الظروف الإيكولوجية والمعاشية (الفلاحة والرعي). ويرتكز هذا النسق على أصغر وحدة متمثلة في القرية والتي يتم النفوذ السياسي داخلها وفق شبكة المصاهرة، هذه الشبكات التي تتجزأ إلى فروع أولية وفروع ثانوية تشكل ملكية الأرض محددًا رئيسيا لأحجامها².

وهكذا تبرز العلاقة الكامنة بين الأرض والشرف في المجتمع الجزائري في زمن القبيلة، باعتبار الأرض المجال الجغرافي الخصب الذي تمارس فيه القبيلة سيادتها وسلطتها. وعليه، وجب حماية هذا المجال والدفاع عنه للمحافظة على كيان القبيلة وبالتالي شرفها،

¹ Bourdieu, Pierre (2000) : **Esquisse d'une théorie de la pratique : procédé de trois études d'ethnologie kabyle**, Seuil, Paris, P167.

² بوطالب محمد نجيب (2002): **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 21.

يقول بورديو: "الاعتداءات على الأرض، البيت والنساء، هي اعتداءات ضد أسيادهم، وبالتالي على شرفهم"¹.

تشكل الأرض محور التماس القبلية وتعزز الانصهار داخل الجماعة خاصة في وجود خطر خارجي سواء كان من قبل جماعة زاحفة أو من طرف السلطة المركزية. فالقبائل كما ذكر ابن خلدون يعيشون بلا أسوار معتمدين على رجالاتهم في الدفاع عن أراضيهم ولا يمنحون هذا الشرف إلا لأبناء قبيلتهم، إذ يقول في هذا الصدد "ولا يصدق دفاعهم وزيادهم"² إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد"³ فالدفاع عن الأرض هو شرف لا يمنح إلا لأفراد القبيلة.

إن التصور الاجتماعي للأرض لدى المجتمع الجزائري خلال العهد القبلي يتعدى أن يكون مجرد نظرة نفعية مادية متمثلة في الاستفادة مما تنتجه من محاصيل زراعية وموارد طبيعية توفرها للقبيلة للعيش، وإنما يأخذ بُعداً رمزياً يتمثل في كون الأرض هي صاحبة الكرم والعطاء بالإضافة إلى كونها الحاملة والحاضنة للتاريخ الاجتماعي والسياسي للقبيلة، "إن ارتباط الفلاح الجزائري بأرضه يرجع إلى جانب الأسطورة أكثر مما يرجع إلى المنفعة المادية"⁴، يقول ، ومعنى هذا حسب بورديو أن الأرض بالنسبة للفرد في إطار النظام القبلي تحمل بعداً معنوياً أكثر منه مادياً اقتصادياً. ذلك أن مصير الفرد في نهاية المطاف متوقف على ما تهبه له الأرض من خيراتها ولا مما يبده الإنسان من جهد وتغان في العمل، ما يضع الفرد في علاقة خضوع كاملة للأرض، فهذه الأخيرة مهيمنة على الإنسان أكثر من هيمنة هذا الأخير عليها.

إن هذه العلاقة الحميمة بين أفراد القبيلة والأرض تجعلهم يشعرون أن الأرض التي يكسبون منها عيشهم هي أرضهم طالما أنهم يقيمون فيها، وكل من حاول الاقتراب منها،

¹ Bourdieu, Pierre, Op.Cit, P167.

² مفرد نود وذاد وهو اسم علم مذكر من أصل عربي، ويعني الحماية ورد الاعتداء والدفاع.

³ ابن خلدون عبد الرحمان، مصدر سابق، ص 67.

⁴ Bourdieu, Pierre, Op.Cit, P82.

يعتبر من طرف العصابة أو القبيلة عدواً يجب دفعه. وإن لم يدافعوا عن مجالهم هذا فإنه: "يُنظر إلى الرجال الذين يتخلون عن تراثهم بالإجماع على أنهم رجال بلا شرف"¹.

فالتصور الاجتماعي للأرض لدى المجتمع الجزائري في زمن القبيلة يحمل ثلاث أبعاد: الأول اقتصادي يتمثل في النشاط الفلاحي والرعوي، الثاني سياسي يتمثل في كون الأرض مصدراً للسيادة والزعامة، والثالث ثقافي يتمثل في التاريخ المشترك والملكية الجماعية، وهي الثلاثية التي جعلت أن يرتبط الشرف ارتباطاً وثيقاً بالأرض لدى الفرد والقبيلة آنذاك.

ج. الدار والخيمة: إذا كانت المعتقدات الاجتماعية واحدة من أبرز الموجهات للسلوك البشري، فإن هذا يقودنا لا محال للتقديم بأن المعتقدات الاجتماعية هي الناظمة كذلك للتصورات الاجتماعية للمحيط البشري والفضاء الحاضن له، وعلى اعتبار أن الفضاء المنزلي جزء من الفضاء العام الذي يتفاعل فيه الإنسان فإنه -أي الفضاء المنزلي- يخضع بالضرورة لهذه التصورات الاجتماعية.

ويُعبر على الفضاء المنزلي في الثقافة القبلية الجزائرية بمصطلح الدار وهي في العموم " فضاء تحيطه جدران أو بنايات أو خيم بدو متجاوزة الواحدة إلى جانب الأخرى في شكل دائري"²، حيث تختلف من منطقة جغرافية وبيئة اجتماعية إلى أخرى. فنجد النمط المسجد في شكل بنايات جدران شائع في المناطق الشمالية والقبائل المستقرة في إقليم جغرافي محدد، في حين النمط المعماري المنزلي الثاني المتمثل في الخيمة نجده منتشر أساساً لدى قبائل الصحراء والبدو الرحل. وهذا التوزيع راجع بالدرجة الأولى إلى الطبيعة الجغرافية والبيئة الطبيعية التي يقطنها الإنسان وكذا الظروف التقنية ينتجها المجتمع.

وإذا كانت الأرض مثلما لاحظنا أنفاً تمثل الشرف الذي يدافع عنه الفرد والقبيلة لدى قبائل الشمال الجزائري؛ فإنه لدى القبائل الرحل والمتواجدون في الجنوب الجزائري الصحراء

¹ M.-L. Gélard et H. Claudot-Hawad (2000) : **Honneur**, Encyclopédie berbère [En ligne], 23, document H57, mis en ligne le 01 juin 2011, <https://urlz.fr/jkqw> : consulté le 29/09/2022.

² سليمان بومدين (2007): **تصورات المغاربة لحرمة داره**، مجلة انسانيات، العدد 37، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ص 51.

على وجه الخصوص، يشكل الاعتداء على الخيمة انتهاكاً لشرف العائلة والقبيلة، ذلك أنها شرف في حدّ ذاته يقتضي الدفاع عنه. فـ " للخيمة حُرمتها التي لا يجب أن تنتهك؛ فهي مجال داخلي لرب الأسرة ولا يجب أن تثار فيها أو تتعرض لعمل قد يشين لسمعة صاحبها"¹، باعتبارها الفضاء الحميمي الذي يحمل أسرار الأسر، وتمارس فيه تلك الوظائف البيولوجية الإنسانية كالأكل والإنجاب والنوم... الخ. ونفس الشيء نجده بالنسبة للمنازل الجدرانية.

إن اقتران الفضاء المنزلي بمفهوم الشرف يرجع إلى كون البيت يكتسي رمزية تدخل ضمن إطار مفهوم الملكية التي يحظى بها الرجل الجزائري، وكذا ارتباط المرأة بهذا الفضاء الفيزيقي، إذ أن البيت كما يرى بورديو هو فضاء مغلق وعالم سري خاص بالمرأة بعكس الفضاء العام الخارجي عن البيت الذي يختص به الرجال². ومن هنا نجد أن رمزية هذا الفضاء جعلت منه أن يتحول إلى مكان مقدس الذي يحضر انتهاكه ولهذا يشار له في الثقافة العربية الإسلامية عموماً بمفهوم الحرمة³.

د. حسن الضيافة: إن كرم الضيافة من القيم البارزة التي يتميز بها المجتمع الجزائري إذ يكاد لا يخلو منها مجلس عند قدوم الضيف بشكل أساسي وفي مختلف المناسبات بشكل عام، فبالإضافة إلى نجدة المستغيث ومساعدة المحتاج والتحلّي بسلوك التضامن الاجتماعي، ومختلف العوامل النفسية، البيئية والدينية التي ساهمت في تفشي ظاهرة الضيافة في المجتمع الجزائري، فإنها عُرفّت من الأعراف المتوارثة لدى قبائل المجتمع الجزائري، ويتبين هذا الإرث جلياً في واحدة من الأحداث التي وقعت في العصر الوسيط عندما استنقر أبو عبد الله الداعي من حُجاج كتامة عن الطعام الذي قدموه له وهو نزيل عليهم في موسم الحج، فأجابه الحجاج: "هذه سنتنا في ضيفنا"⁴، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على تجذر هذه الممارسة وترسخها في

¹ بوبريك رحال (2012): زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقراق، الرباط، ص98.

² Bourdieu, Pierre, Op.Cit, P48.

³ سليمان بومدين، مرجع سابق، ص50.

⁴ القاضي نعمان (1986): كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) والشركة التونسية للتوزيع (تونس)، ص35.

الموروث الاجتماعي والثقافي الجزائري منذ عصور مضت، ذلك لعظم شأنها وأهمية دلالتها.

لذلك تشكل الضيافة عنصرا هاما في كسب الشرف وتثبيته في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ذلك أنه كما يذكر الدكتور رضا النية "طغيان الطابع الريفي-البدوي على الحياة العامة في معظم المجالات الكتابية، وتنافس بطونها على اكتساب محاميد الأخلاق وقيم الشهامة، والنجدة، والكرم، والإيثار، التي كانت ترى فيها كمال شخصيتها، وعنوان شرفها على سائر القبائل، زاد من مؤشر الحضور الميداني لهذه الظاهرة -أي الضيافة-، ويؤرر في الآن نفسه انتشارها الواسع في كامل المنطقة"¹.

من هنا نرى كيف تتمظهر قيمة الشرف حول الضيافة في المجتمع الجزائري في الزمن القبلي، ذلك أنها تزيد من قيمة الفرد المضيف وقبيلته شرفا وهيبة أمام باقي القبائل، كما أن سوء الضيافة يشكل وصمة عار تلحق بالقبيلة وتقلل من شأنها أمام القبائل الأخرى. فقد حدث وأن نزل شخص يدعى أبو عبد الله الشيعي على أرض الجزائر وقد كان في ضيافته القبائل الكتابية. ولما رأى شيوخ القبائل الكتابية مخافة منه على زوال رياستهم، توجهوا إلى بنان بن صقلان للقبض على أبو عبد الله وإخراجه من البلد. فكان رد بن صقلان "هذا الرجل صار بين أظهرنا، وهو ضيف عندنا كيف ينبغي أن نفعل فيه مثل هذا الفعل"².

بغض النظر عن الجوانب السياسية والمذهبية الدينية، فإنه لعل ما تبرزه هذه الحادثة هو، أهمية الضيافة وحماية الضيف عند القبائل الجزائرية وعلاقتها بالشرف القبلي. فقد أضحى في التقاليد البربرية التخلي عن نصره الضيف وحمايته من المساوي والمآسي خزي يتضرر به شرف الفرد والقبائل على حد سواء، " إذ بات في عرفهم خذلان اللائد بهم من انقطاع طريق، أو سلب، أو طالب للضيافة، منقصة ومعرّة تحط من رجولة المقدم عليه بين قومه، ولا يلبث العار أن يلحق بكل قبيلته ويهز من هيبتها بين سائر القبائل"³.

¹ بن النية رضا (2000): إكرام الضيف في المجال الكتابي أثناء الدعوة الإسماعيلية بين العوائد المحلية والتجاذبات السياسية، مجلة المعيار، العدد 51، المجلد 24، الجزائر، ص 641.

² النومري شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب (2004): نهاية الإرب في فنون الأدب، الجزء 28، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 51.

³ بن النية رضا، مرجع سابق، ص 641.

لقد كانت الضيافة دليل على كرم الفرد وأهله، وتشكل قيمة وجودية لدى القبائل لما لها من أثر بالغ تعلوا بشأنهم وترفع من شرفهم بين القبائل الأخرى مثلما ذكر المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون "وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في خلال الحميدة وما جُبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم"¹.

إن الضيافة كممارسة اجتماعية تحمل دلالات رمزية ضمنية ذات ارتباط وثيق بالشرف، وتتمثل في كونها من جهة دلالة على القوة العسكرية للقبائل، ذلك أن النزول يدخل تحت حماية مضيفه إذ "يعتبر المنزل مكاناً محمياً يجب الحفاظ عليه من أي جريمة. وهكذا يكون الضيف العابر تحت الحماية الكاملة للمضيف؛ فإذا وقع ضحية السرقة تقع مسؤوليته على صاحب المنزل"². ومن جهة أخرى فهي تشير إلى القوة الاقتصادية كون توفير الإطعام للضيوف مؤشر على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي لدى القبائل. وفي كامل الأحوال فالضيافة تدل على كرم القبيلة نبلها وهي عادة نابعة إما لتثبيت الشرف أو قصد نيله.

2- الشرف القبلي: بين النسب البربري والنسب العلوي:

شكلت عملية الفتوحات الإسلامية لمنطقة شمال إفريقيا مرحلة جوهرية ومحورية في التاريخ الاجتماعي، السياسي والثقافي للمجتمع المغربي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة. ذلك أنها غيرت من ملامح النسق الثقافي للمجتمع الجزائري بطريقة شبه جذرية. فبالإضافة لعنصر الدين الجديد الذي اجتاحت المنطقة متمثلاً في الإسلام، ظهرت سمات ثقافية أخرى عملت على تغيير الملامح العام للمجتمع الجزائري كاللغة "التي كانت من أهم النتائج التي أسفرت عليها الحملة الهلالية على الجزائر"³ والتي-اللغة- جاءت بمفاهيم جديدة عملت هي الأخرى على إعادة الهيكلة الاجتماعية والثقافية للمجتمع البربري، حيث أضحى يحتكم إليها المجتمع في تكوين علاقاته الاجتماعية ومرجعياته الفكرية والثقافية، ولعل مفهوم النسب الشريف كان من أبرزها.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1604.

² <https://books.openedition.org/cefas/1017?lang=fr> le 01/03/2024.

³ عويس عبد الحليم (1991): *دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر*، الطبعة الثانية، دار الصحو، القاهرة، ص 236.

والنسب الشريف من وجهة نظر لغوية يمثل العلاقة القرابية التي تربط الفرد بأسلافه الشرفاء. ذلك أن النسب هو العلاقة القائمة بين فردين أو أكثر لهم نفس الصلة الدموية سواء من الجانب الأبوي أو الأموي مثل الأب والأبناء أو الجد والأحفاد. فقد جاء في المعجم العربي الشهير لسان العرب أن النسب هو نَسَبُ الْقَرَابَاتِ، وهو واحدُ الْأَنْسَابِ. ابن سيده: النَّسْبَةُ وَالنَّسَبَةُ وَالنَّسَبُ: الْقَرَابَةُ؛ وَقِيلَ: هُوَ فِي الْأَبَاءِ خَاصَّةً؛ وَقِيلَ: النَّسْبَةُ مُصَدَّرُ الْإِنْتِسَابِ؛ وَالنَّسَبَةُ: الْأَسْمُ. التهذيب: النَّسَبُ يَكُونُ بِالْأَبَاءِ، وَيَكُونُ إِلَى الْبِلَادِ، وَيَكُونُ فِي الصَّنَاعَةِ.¹

قد يكون النسب أيضاً مرتبطاً بالأوطان؛ مثل انتساب فرد إلى بلد الجزائر ويظهر من خلال جواز السفر الذي يحمله الإنسان، وقد يكون مرتبطاً بالمهنة، مثل الفرد الذي يزاول عملاً معيناً كالنجارة أو الحلاق، فنقول عنه نجار أو حلاق. وفي اللغة الفرنسية جاء مفهوم النسب (Lignage) في موسوعة لاروس² أنه، من وجهة نظر أنثروبولوجية، مجموعة من الأشخاص الأحياء ذوي الصلة، ينحدرون من سلف مشترك.

أما الشريف من مصدر شرف والشَّرَفُ هو الْحَسَبُ بِالْأَبَاءِ، شَرَفَ يَشْرَفُ شَرَفًا وَشُرْفَةً وَشَرَفَةً، فهو شريفٌ، والجمع أَشْرَافٌ. غيره: وَالشَّرَفُ وَالْمَجْدُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا بِالْأَبَاءِ. ويقال: رجل شريفٌ ورجل ماجدٌ له آباءٌ متقدِّمون في الشَّرَفِ.³

والنسب الشريف عند المسلمين يعبر عن الموروث اللامادي لقيمة الشرف والذي يرثه الأبناء عن أسلافهم، ولا يكون إلا من أشرف القوم متمثلاً أساساً في سلالة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ونخص هنا أحفاده صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين، أبناء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. يقول جلال الدين السيوطي في كتابه العجاجة الزرنبية في السلالة الزنبية: "اسم الشريف يطلق على كل من كان من أهل البيت، سواء كان حسنياً أم حسنياً أم علويًا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفرًا أم عقليًا أم عباسياً... فلما ولي الفاطميون الخلافة بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين"⁴؛ ويضيف الباحث وائس صلاح الدين في حديثه عن

¹ ابن منظور، مصدر سابق، ص 755.

² Larouss, **Op.Cit**, P820.

³ ابن منظور، مصدر سابق، ص 169

⁴ السيوطي جلال الدين، العجاجة الزنبية في السلالة الزنبية، ص 401.

النسب الشريف في المخيال الشعبي بالمغرب: "الشرف بالمغرب في الذاكرة الشعبية مرتبط فقط بذرية سيدتنا فاطمة الزهراء عليها الرضوان أي ذرية الحسنين: الحسن والحسين نجلي رابع الخلفاء الراشدين الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه"¹.

شكل الانتساب إلى النبي محمد واحدة من العوامل الرئيسية والأدوات الهامة في اندماج العرب مع القبائل البربرية من جهة وتمكنهم من تحقيق الرياسة في شمال أفريقيا من جهة أخرى، يقول عويس عبد الحليم في هذا الصدد "حين أحس المسلمون من سكان البلاد الأصليين -أي البربر- أن العرب جاءوا من أرض النبي، وأن لهم، أو لكثيرين منهم، صلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هنا أسلموا القيادة في كثير من الأحوال"²، كما أن قدوم العرب المسلمون إلى منطقة شمال أفريقيا شكل ظهور فئة جديدة في الوسط الاجتماعي الجزائري وهم الشرفاء.

يعود ظهور الشرفاء في شمال أفريقيا عموماً مع قدوم إدريس بن عبد الله إلى المغرب سنة 788 للميلاد أين وجد أسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة، فاستقبله وأكرمه فبين له إدريس أمره وقدم له نفسه، بعدها وافق أسحق بن عبد الحميد على إيوائه وخدمته³. وبعد أن عرفه الناس وأدركوا نسبه وعلاقته بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام، بايعوه لتولى شؤونهم الدينية والدنيوية⁴. ويوم بيعته خطب في الناس قائلاً: "بعد حمد الله والصلاة على نبيه: لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق، لا تجدونه عند غيرنا"⁵.

وبعد أن فتح العديد من المدن المغربية وأسلم على يده الكثير من اليهود والنصارى، لحق ونزل بأرض تلمسان ونواحيها، أين نال طاعة القبائل الكائنة هناك من خلال الأمير

¹ صلاح الدين وانس (2018): ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الدين والاستغلال السياسي، مجلة أفق الفكرية، مج 04، ع09، مخبر البحوث و دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليايس -سيدي بلعباس-، الجزائر، ص249.

² عويس عبد الحليم (1991): دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، دار الصحوة، القاهرة، ص28.

³ المكناسي احمد ابن القاضي (1973): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص19-20.

⁴ الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1997): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص211.

⁵ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 908.

محمد بن حرز بن جزلان¹. ولعل ما زاد التقاف القبائل البربرية حول هذه الشخصية هو اتسام حكم ادريس بن عبد الله "بالعدل والمساواة، حيث طَبَّقَ الشريعة الإسلامية وألغى الضرائب والمصادرات؛ فأمن الناس على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم وشعر سكان المغرب الأقصى لأول مرة منذ الفتح الإسلامي بكرامتهم وإنسانيتهم في ظل إمام عادل من أهل البيت، فانقادوا له انقيادا قل نظيره والتفوا حوله"².

هكذا هي بداية ظهور النسب الشريف والأشرف في شمال أفريقيا فقد "كان البيت الإدريسي هو أول من دشن استعمال النسب في تاريخ المغرب الإسلامي، ومن بعدهم لم تتخل الأسر الحاكمة عن الارتباط بنسب عربي بل بنسب شريف، ففضلا عن المكانة الرمزية التي يعطيها هذا النسب فقد يكون حجة شرعية لتحقيق مآرب سياسية"³.

لكن، نطرح سؤالاً: كيف لهذا الموجود الاجتماعي والسياسي والثقافي الجديد الأثر على مفهوم الشرف؟ وماهي هذه التأثيرات؟

أضحت أغلب الأنظمة الاجتماعية والممارسات الثقافية وكذا السياسية تكاد تخضع كلية لمفهوم النسب الشريف الذي يمثل في جوهره الشرف كما سلف وأن وضحنا. فقيام الدول منذ ظهور المفهوم في شمال افريقيا كان، بالإضافة إلى المذاهب الفكرية والغايات المنفعية، عن طريق النسب الشريف لاسيما فيما تعلق بالحكم والملك عبر الدول المتعاقبة. وبخاصة خلال القرون الأخيرة قبل الغزو الإسباني للمغرب الأوسط، فعبر "التاريخ الإسلامي لم يكن الانتساب لآل البيت في الحكم، مجرد تجميل للواجهة الاجتماعية، بل كثيرا ما كان دريعة لطلب الحكم أو تثبيت الأقدام في مواقع السلطة. أولا لاستقطاب التيار الواسع من القائلين بأحقية آل البيت في الحكم، وثانيا لاستغلال ما يعتقد البعض، بغض النظر عن

¹ ابن خلدون، نفس المصدر، ص 908.

² سعدون بن عباس نصر الله (د.ت): دولة الأدارسة في العصر الذهبي، الطبعة 1، دار النهضة العربية، بيروت، ص 76.

³ ملين محمد نبيل (2013): السلطان الشريف: الحذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، تر. عبد الحق الزموري، مركز جاك بيرك كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، ص 67.

مذاهبهم الدينية، بعصمة أئمة آل البيت عن الوقوع في أخطاء الحكم من ظلم وفساد وغيرهما¹.

إذ تذكر المصادر والمراجع التاريخية التي تيسر الوصول إليها أن حكام المملكة الزيانية، وفي ضلّ تداعي قوة الموحدين على الحكم في المنطقة، بالإضافة إلى أزمة الشرعية التي سادت خلال العصر الوسيط في المغرب الأوسط، أنهم التجأوا إلى النسب الشريف لإضفاء الشرعية على حكمهم. فمن خلال بنو القاسم، وهم بطن من بطون بنو عبد الواد بحسب صاحب كتاب العبر²، عمل الزيانيون على تأكيد النسب المنتمي إلى القاسم بن الإدريس "خصوصا في عهد موسى بن يوسف ابن عبد الرحمان بن يحيى يغمراسن بن زيان"³، وتظهر ملامح تثبيت النسب الإدريسي في شعر موسى بن يوسف نفسه حيث قال في كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك⁴:

تسرّبت كردوسين من آل عامر ومن آل ادريس الشريف بن القاسم
حملنا عليهم حملة مضرية فولوا شرادا مثل جفل النعائم

يذكر لنا كذلك عبد الرحمان ابن خلدون أنه عندما سُئل ياغمراسن بن زيان عن حقيقة نسبهم الإدريسي رد: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله أما الدنيا فنلناها بسيوفنا"⁵. فبالرغم من أن ياغمراسن فصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي، إلا أنه لم ينفي انتسابه لسلالة الحسن والحسين، وهو ما يؤكد من وجهة نظرنا تأثير النسب الشريف على مفهوم الشرف في المغرب الأوسط. فقد تحول شرف الرياسة الذي كان يعود لشيخ القبيلة إلى الشرف الديني متمثلا في النسب الشريف. كما أن الزيانيون اعتمدوا تقاليد الخلافة لتولي مضامير الحكم وهو ما يذكره صاحب المقدمة "دخل السلطان أبو حمو إلى تلمسان يوم

¹ وائس صلاح الدين (2018): ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني والادعاء السياسي، مجلة أفاق فكرية، العدد 09، المجلد 04، مخبر البحوث ودراسات الفكر الاسلامي في الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس - الجزائر، ص 254.

² عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1842.

³ أبوضيف مصطفى أحمد (1982): أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص 145.

⁴ أبو حمو موسى الزياني (1279 هـ): واسطة السلوك في سياسة الملوك، المطبعة التونسية، تونس، ص 16-17.

⁵ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1842.

الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستين وسبعمئة واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد أريكته، وبويع بيعة الخلافة¹.

إن اعتماد الزيانيون منطق الشرف في المجال السياسي يدلي بثلاث أمور هامة: أولها وقف زحف النوايا السياسية للفاطميين وتثبيت ركائز الدولة الزيانية، ثانيها هو قوة هذه القيمة، أي قيمة الشرف، في البيئة الاجتماعية الجزائرية والمغربية بصفة عامة. وأخيرا ثالثها، وهو ما يهمنا في هذا البحث، تحول محدد قيمة الشرف المتمثل في النسب البربري إلى العنصر الديني المتمثل في النسب الشريف.

ثالثا: الشرف الوطني في الجزائر

1- الجذور التاريخية لتبلور الشرف الوطني في الجزائر

برز مفهوم الشرف في الذاكرة الشعبية الجزائرية منذ القدم، بالرغم من عدم ذكره في تراجم مشاهير العلماء والأدباء في الأدب الجزائري القديم، بسبب مناهج البحث وتقسيمات العصور التي كان ينقصها التنظيم والاستقصاء الدقيق، ومتطلبات العمل الجهد المتصل والمتتابع، إضافة إلى اعتناء العلماء بالتنقيب عن تاريخ المجتمع العربي عكس تاريخ الجزائر، الذي تم إغفاله وعدم تدوين وتأريخ مختلف الظواهر الاجتماعية التي عاشتها الأمة الجزائرية، وما كان التوسع العثماني ومقاومة الاحتلال الفرنسي للغة العربية، إلا جواً مناسباً ومساعداً على ذلك ومبرراً للنسيان والإهمال، حتى إذا بحثنا في التاريخ أو الأدب وثقافة المجتمع الجزائري لوجدنا أن الحديث عن الشرف والاقتناع به كان أمر بديهي ومتأصل في فكره وعاداته، وصرحاً قوياً لتاريخه الحديث والمعاصر.

حينما غزا الاستعمار الفرنسي على الجزائر إبان العهد العثماني، نجد استطراد حمدان خوجة قائلاً: "أعتقد اني عثرت على السبب الذي جعل الموظفين الفرنسيين يشيرون على الحكومة الفرنسية بالاستيلاء على مؤسسات الأوقاف؛ إنهم فعلوا ذلك أولاً للحصول على وسيلة يكسبون بها ثروة طائلة في أسرع وقت ممكن، ولو على حساب الإنسانية وشرف الأمة، وثانيا لافتتان الأنفس وترغيب فرنسا في الاحتفاظ بالإيالة لنفسها"²، فإلى جانب

¹ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1875.

² حمدان خوجة (1975): المرأة، تقديم وتعريب العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 276/275

هدف السلطات الاستعمارية للقضاء على الأوقاف كوسيلة للاستلاء على الممتلكات الجزائرية، وأسقطت عنه مناعته، نلاحظ كيف كان للشرف بعده الدلالي عند حمدان خوجة وربطه بالمدلول الروحي لمقدسات كيان الأمة، أين اتخذ في دوافعه المتعددة ومقاصده المتطورة، يعانق فيه الواقع للخيال وتتأزر قِيَمُهُ عند ذكر الأشراف والأصل والحسب، وحياة الناس ذات الطابع الفكري والفني بجوانبه التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية، وهي جوانب تختلف حظوظها في الذكر والتوثيق بحسب الكتاب والأدباء والعلماء والباحثين.

لقد كان الشرف في الجزائر ميزاناً لأشكال العلاقات بين أخبار الناس وعاداتهم وتقاليديهم ونظم الحكم وأساليب العيش، وذكُرُ شأن المبدأ وأصل النسل وتباين أحاديث المناطق وهيئة البيئة والأزمة، فرغم الفتح الإسلامي وظهور العقيدة الجديدة بعمقها الإنساني والحضاري أين تذوب في الإسلام كل التّغرات الإقليمية والعرقية، والذي كان مقياسه التقوى بمنطقة الشمال الإفريقي، وجد دعمه لصلة النسب بين الذين حملوا لواء الإسلام وبين أبناء المنطقة، فتكفل الإسلام بصهر أبناء الوطن الواحد في همّ مشترك، فصار في النهاية الانتماء حضارياً واحداً¹.

لذلك شاعت هذه الأريحية الجزائرية بخلفيات ارتباط الشرف بالانتماء لهذا الوطن ومقدساته المطعّمة بالأخلاق الإسلامية، ليبقى الخطاب القومي مُطعماً بعناصر اللغة والدين، زيادة عن عناصر التاريخ والجغرافية، " فمنذ بداية الوعي القومي بالجزائر، كان البعد الإسلامي جوهر الانتماء، فالثلاثي المقدّس للخطاب القومي في الجزائر، الأرض وطناً والعربية لغة، والإسلام ديناً، تبقى فيه العقيدة الإسلامية جوهر الانتماء الحضاري، وجعلت للأمة هوية واضحة المعالم ذات أثر وتأثير محليا ودولياً، جابهت بها الجزائر نفسها المحن الكبرى، عند الهجمة الأوروبية على العالم الإسلامي فاستتجدت بالحكم العثماني وبها أيضاً تصدّت للغزو الإسباني ثم الفرنسي"².

1.1 الحركات الوطنية ودور الشرف في إعلاء الولاية الوطنية

¹ عمر بن قينة (1999): الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية: دراسة، منشورات اتحاد كتاب العرب، ص 32

² عمر بن قينة، نفس المرجع، ص 78

إن العناصر القومية إذ تستمدّ من الإسلام قوتها ومناعتها، فإنها تستند إلى مبرّر شرعي تَشَرَّبَ فيه الشَّرَف من روح الجهاد والدفاع عن الوطن، ونيل الشهادة على ميادين القتال، حيث كانت الجزائر بعنفوان شعبها وشراسة مقاومتها للاحتلال تعرف مخاضاً عسيراً وكبيراً، أَوْصَلَهَا إلى مُنْعَطَف تاريخي قُلبت فيه الأمور رأساً على عقب، من منطلق أن الدفاع عن الوطن يُعد واجب وشرف، الذي حدّد مفهومه البشير الإبراهيمي قائلاً: " إنما ينتسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، فالذين يعمرّون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون، والانتساب للوطن تُوجِبُ تَعَلُّمُ تاريخه والقيام بواجباته، من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية، والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيته، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه"¹، ولن يستقيم الأمر من دون التشبث باقتران الشرف بالوطن.

إنّ إشعال فتيل الحركات الوطنية لروح القتال من زاوية الدفاع عن شرف المواطن، كان ذكاءً ثورياً كبيراً خاصة بعد الاستعادة من محاولة فرنسا تركيع الثائرين في الجزائر، وإذا أشرنا إلى الحركات التحررية منذ الغزو الاستعماري لإسبانيا أو فرنسا، ممثلة في الثورات تحت الحكم العثماني وصولاً إلى جحافل الاستعمار الفرنسي ودور الملاحم التي خلدتها المقاومات الشعبية الجزائرية ودور الأمير عبد القادر الجزائري في نضاله وبيعته لتأسيس الدولة الجزائرية، والحركات التحررية الثورية من 1926-1954، التي نشطت العمل السياسي والنضالي والثقافي والتربوي في الجزائر وبين الجزائريين خارج البلاد.

إذ يتعلق الأمر هنا ب: تيار الاستقلال وانشغاله بالفكر السياسي والمطالب الأساسية الخاصة بالهوية الوطنية من دين ولغة، وتيار الإصلاح الذي اهتم بالمرجعية الدينية الإسلامية وتيار الفرنكفونية بمستوياته المتفاوتة في الحدّة والاعتدال الذي يُطَلَقُ عليه أحياناً تيار الاندماجين أو دعاة المساواة، "غير أن تناول أصول الحركة الوطنية من الوجهة التاريخية قد يكون مضللاً إذا ما تم تناوله فقط إبان الحرب العالمية، واقتصار دورها في الأحزاب السياسية فقط، بيّدا أن تاريخ القومية لا يتفق مع هذا التناول، فنحن نعرف أن معظم الحركات القومية للشعوب المضطّهدة، قد وُجِدَت أولاً في الجمعيات السريّة وتمردات،

¹ الإبراهيمي (1997): آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929-1940، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 467

وصحافة وانتعاش أدبي، ونشاطات اجتماعية كالنوادي، ثم بدأت تتحدّى مضطهدتها بطرق مختلفة بما في ذلك الأحزاب السياسية، لخلق وتعضيد الضمير الوطني¹، الذي لا يلغي بأي حال من الأحوال النضال الشعبي الذي دأب عليه الجزائريون في مقاومة الاحتلال سواء بتسمية الانتفاضة أو التمرد، الجهاد أو الهجرة، أو استعادة الكرامة والشرف، إنما يبدو في الحقيقة مدى إخلاص الجزائريين لوطنهم وبذلهم للغالي والنفيس وتبلور العمل الجمعي لحمل شعار رايات استمرارية الأمة ولأي نضال آتي في سبيل الاستشهاد في ميدان الشرف، وفي سبيل القضية التي طالما ناضلوا لأجلها.

هاته التجربة للثورة الجزائرية ومدى استفادتها من رفع الراية الوطنية تحت شعار المقاومة والقومية أو بلفظة أخرى ودون إنكار العمود الفقري الذي حمل وشكّل القاعدة الصلبة لإنقاذ شرف الجزائر، بفضل الحركات التحررية وكذا أدبيات العمل الثقافي والاجتماعي للمناضلين، الذي تراكم عبر قرون حول هذا المفهوم وتبلور لدى الرغبة الجماعية في الحرية والانعتاق واستقلال الجزائر عن فرنسا، في الحقيقة كان ترجمة لكفاح الشعب الجزائري بمختلف الوسائل والشعارات من أجل طرد المحتل، لذلك "كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ؛ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون، بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف، لإعلاء كلمة الله وما أسألوه من محاربهم في مجالس الدرس لخدمة العلم"².

في مقدمة شعراء الإصلاح والثورة اللذين مارسوا الخطاب القومي بعد الحرب العالمية الأولى، من موقع نضالي نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904-1979)، ينطلق من منطلق وطني ربط الشرف بالحرية حين تطلّع إلى جميلة حسناء هي الحرية التي طال الشوق إليها وعزّ لقاءها في ليل استعماري بغيض، قائلاً³:

دعني من الدنيا أنل حريتي ...*... وأشم كل صبا بها وشمال

¹ أبو القاسم سعد الله (1992): الحركة الوطنية (1900-1930)، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، ص 95.

² عمر بن قينة، نفس المرجع، ص 89.

³ محمد العيد آل خليفة (1979): ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 229-230.

ولقد شجت قلبي وهاجت عبرتي ...*... ورقاء في شرف بعيد عال
حمراء حرّ جيدها من طوقها ...*... في الورق فهي عديمة الأمثال
هتفت ففقت مجاوبا لهتافها ...*... ولحنت عن قصد فقلت تعالي

لقد أطرّد تلازم الأرض والتاريخ واللغة والدين كجوامع في خطاب الفرد الجزائري،
للدلالة على الضمير الداخلي والوجداني الذي يوجّه الفرد نحو سياق الانتماء باعتباره ارتباط
بالأرض والوطن والهوية، لكونه يترسخ في جذور جغرافية وتاريخية وبيئية، وأيضًا من
متطلبات المُوالاة والدفاع عن الوطن بالسلّاح أو الكلمة، "فالمعركة إذن لم تكن معركة واحدة
معينة أو معركة مُرابط متعصّب أو معركة ضدّ دفع الضرائب كما أشاع بعض الكتاب؛
ولكنها كانت معركة دينية وقضية وطنية ضدّ الدخيل الكافر، وحتى لا يدنّس التراب الذي
مشى عليه عقبه بن نافع والصحابة الآخرون والتابعون، وحتى لا يسقط علم الجهاد والوطنية
الذي رفعه الأمير عبد القادر"¹.

وهي من المهام التي حملتها المؤسسات الدينية والتعليمية على عاتقها في تعميق
قيم الولاء والانتماء، ومن دور مؤسسات المجتمع المحلي والمجتمع المدني في غرس فكرة
الانتصار للشرف، كما كانت للمؤسسات والخطاب السياسي في تثقيف الفرد الجزائري
كعضو فاعل في مجتمعه، بما للشرف من قدسية وانعكاساته من مكاسب الرضى الوجداني
من ناحية الإحساس الوطني والشعور النفسي، وإخلاصاً طوعياً وعملياً غير مشروط، "فحتى
سنة 1860 كان المرابطون في الثورة ومعظم الطُرُق الصُوفية ماتزال في عنفوانها قادرة
على تجنيد الأتباع باسم الجهاد وجمع الأموال باسم الدين، وحمل السّلاح دفاعاً عن الأرض
والشّرف والإسلام، ونكاد لا نجد حركة مقاومة خلال هذا العهد دون أن يكون وراءها شريف
أو مرابط أو مولى الساعة، يملأ قلوب الناس بالأمل ويبث فيهم روح التضحية والفداء
ويقودهم إلى النصر أو الاستشهاد"².

بهذا المفهوم ارتبط الشرف بالمقاومة والانتماء والولاء للوطن، وهي من المظاهر
الهامة للحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر التي لم تقبل أبداً بالهزيمة، " ذلكم

¹ أبو القاسم سعد الله (1992): الحركة الوطنية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، ص 332.

² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 332

المجتمع الجزائري الذي بلغ درجة عالية من الوعي السياسي والاجتماعي وتعززت تطلعاته نحو التحرر والانعتاق من براثن الهيمنة الاستعمارية، صاحب الأمجاد التليدة والتاريخ العريق والشخصية الوطنية المتميزة من تحقيق تطوره الطبيعي والتعبير عن ذاتيته بحرية وكرامة¹.

وفي هذا السياق يكفي التذكير بارتباط الشرف بهذه المفاهيم كما سبق وأن أشرنا في أطوار الدراسة، فمن هذا المنظور التاريخي ومرادفات المصطلح الشمولي، ندرس الشرف الذي يرفض النظرة الضيقة التي تقتصر على اعتباره منوط بالعفاف والطهارة والمكانة...، فهذا الوالي العام آبل الذي خلف جونار، يتحدث هو الآخر عن الشرف من منظور واجب فرنسي في قرار 04 فبراير 1919، على أهالي الجزائر، حين أراد أن ينتقم لحادثة المروحية المفتعلة، كذريعة لوّحت بها فرنسا لردّ شرف الدولة الفرنسية آنذاك، قائلاً "إن فرنسا تنتظر من رعاياها الإخلاص...، والآن وفي هذا الإطار هناك مرحلة هامة وهي أن الحصول على الحقوق يقتضي القيام بالواجبات، ويعني بالنسبة للأهالي في هذه المرحلة الخضوع للسلطة الحاكمة واحترام القانون وهذا الولاء شرف قوة فرنسا²"، لذلك فتجاهل العديد من السياقات التي يأتي فهمه موضوعيا وصريحا بعيدا عن الاعتبارات الظرفية، ويحول بيننا وبين رؤية معانيه وتقديم تفسير علمي رصين له، ورسم محدّداته من منظور وطني تحرري شامل.

هذه الحقيقة والإشارة بوضوح إلى المرجعية التي استقى منها الشرف خصائصه ومقوماته التي لم تنحصر فقط في خطاب مفهوم الوطن الذي استعمل كمدلولات مرتبطة بمدى تمسك الفرد بالأرض التي يعيش فيها، بدليل أن الحديث عن الحركات التحررية مرتبط بخطابات متنوعة، قد تكون متقاربة أو متمايزة، متكونة من عناصر مادية وعناصر معنوية، كالاستقرار والتحرر والتضحية لأجل هذا الوطن والدفاع عن مقدساته، وإضمار النوايا المشتركة سواء الإرادية أو الغير إرادية.

وبالتالي باتت حقيقة لمشروع بناء الدولة الجزائرية، في قناعة من تشبعوا برابطة التضامن الاجتماعي إلى حدّ الإيمان والاعتقاد من الجزائريين، بأن الشرف يرتبط بمعاني

¹ بوشخي الشيخ (2018): *الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954-1962*، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 256.

² André Nouschi, *la naissance du nationalisme algérien 1914-1954*, p 54

روحية ووجدانية تتجاوز حدود الزمان والمكان، وفي سياق آخر يقول عبد المالك مرتضى لا يمكننا الحديث عن المقاومة في الجزائر، دون الحديث عن نضال الصحافة وعن مقاومتها للاحتلال الفرنسي وهو النضال الصحفي الذي كان يطلق عليه الجهاد، ولا شك أن أهم الصحف التي اقترن روحها واتجاهها بالشرف هي "جريدة الجزائر"، التي كانت من أهم الصحف الوطنية التي أنشأت في جوان 1925، وصدر منها عددان ثم عطلت من طرف المستعمر، وقد قيل فيها¹:

حيّ الجزائر حيّها *-*-* من عاشق كلف الفؤاد

واذكر مفاخر مجدها *-*-* فالفخر في شرف البلاد

باعتبار أن أهم مبادئ الدولة الوطنية عند الإقبال على التمسك بشرف الجزائري بهويته الجزائرية والبعد الحضاري ومقوماته الروحية والثقافية الأساسية، تمكننا في نفس الوقت الوقوف عند مؤشرات الوجود الاستعماري الاستيطاني الذي جعل مفهوم الوطنية ينمو مع الوقت بفضل التضحيات وتقديم الغالي والنفيس لدى الشخصية الجزائرية، كما أن شعور الفرد الجزائري القومي هو سمة الانتماء إلى هذه الأمة -بوصفها كيان معنوي-، والدولة -باعتبارها كيان إرادي-، لما مثله الشرف فيما بعد- قبل أو بعد فترة الاستقلال-، عماد ومقومات مشاعر الجمهورية في الجزائر، تشعباً وإخلاقاً في الدفاع عن الوطن، ورمزا من رموز المواطنة.

وعلى سبيل المثال حينما خاطب الأمير عبد القادر الجزائريين قائلاً: " إنكم الآن تحت رحمة الرّومي... يقاضيك الرّومي ويُدير شؤونكم الرّومي...إن يوم يقظتكم قد حان! هُبُّوا جميعاً عند سماع صوتي"؛ كان في الحقيقة يثير حماسهم ضدّ الأجنبي لكي يوحدهم كأمة تحت زعامته ويطرد المعتدين، أولئك" اللذين... أهانوا مساجدكم وأخذوا أراضيكم واشتروا أعراض نساءكم، فالأمير عندئذ كان يحاول إيقاظ أمتة وليس خالقها، وحاول أن يدعم عواطفها بالتركيز على الإسلام، والأرض والحرية والشرف ممثلاً في المرأة².

¹ عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج1، ص 203-204

² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص 69-70.

1. 2 الشرف في المواثيق الوطنية والرسمية

تحدّث المحدثون عن الشرف كأحد الثوابت القيمية والقوانين الأخلاقية التي تشير إلى مدى ارتباط الإنسان بالسياق المحدد الذي يأتي فيه الموقف الذي يذكر فيه الشرف حتى يحدد معناه العام وقيده، باعتباره يدخل في سياقات متعدّدة وأهداف عليا، فكل سياق يعطيه معنى حتى تسمو دلالاته، وينتشر في الظروف المحيطة والمناسبة دالاً على دلالة معرفية، ولعلّ ما ساعده على تحقيق الشرعية داخل الوسط الثقافي هو كونه أدمج اهتمامات علمية ضمن الصيرورة المجتمعية الهادفة إلى ترسيخ ثقافة جزائرية، تعي جيداً علاقة التوازن بين الذات والآخر، كالهوس بالطهارة والعفة وامتحان الفحولة وأحياناً فقدان قيمته نظير علاقته بالخيانة والزنا وانتهاك المحرم، ثم تارة بالكرامة والعزة...، إلا أن اللافت للنظر أن التمسك بالشرف ينسف الحواجز بين الذكر والأنثى لأنه مطلب عزيز المنال.

فيتراءى معناه تارة في التصريح الشرفي للفرد لدى المصالح الإدارية كاعتراف يقر فيه صاحبه بصدق معلومات وحقائق معينة، ويكون بعد تصريح على شرفه، بمثابة الصدق والنزاهة في الإدلاء بأقواله قد يكون على أساسها مُعرّضاً للمساءلة القانونية، في حالة تقديم أي معلومات مغلوطة.

كما يتجلّى أيضاً في الدستور الجزائري، عند تحديد شروط حمل الأوسمة والنياشين الوطنية في المرسوم الرئاسي رقم 15-168 المؤرخ في 23 يونيو 2015، والمتضمن إنشاء وسام الشرف، الذي يجب أن يتضمنه مصف الاستحقاق الوطني¹.

وفي المادة 46 من الدستور الجزائري، فإنه أكد على أنه "لا يجوز انتهاك حرمة حياة المواطن الخاصّة، وحرمة شرفه، ويحميهما القانون سرّيّة المراسلات والاتّصالات الخاصّة بكلّ أشكالها مضمونة"²، ويعاقب القانون على انتهاك هذه الحرمة، فهو حق أساسي يضمنه القانون ويعاقب على انتهاكه، وفي المادة 77، جاءت صريحة بأن كل فرد "يمارس

¹ الجريدة الرسمية، العدد 34، الأربعاء 24 يونيو 2015، ص 09.

² رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 2016، مارس 2016، ص 6.

جميع حريّاته، في إطار احترام الحقوق المعترف بها للغير في الدستور، لاسيّما احترام الحقّ في الشرف، وستر الحياة الخاصّة¹.

بل ارتبط أيضا بتجريد ذوي المناصب العليا من هذا التعالق بمعنى الشرف وخدمة الوطن، من لدنّ النائب أو عضو مجلس الأمة، من تلك المكانة التي احتلتها جراء الوظيفة في المادة 124، بأن "النائب أو عضو مجلس الأمة مسؤول أمام زملائه الذين يمكنهم تجريده من مهمّته النيابيّة، إن اقترب فعلا يُخلّ بشرف مهمّته"².

كما نصّ قانون الجنسية الجزائرية في المادة 10 من الأمر رقم 05-01 المؤرخ في 27 فبراير 2005، أنه من شروط اكتساب الجنسية بالزواج من جزائري أو جزائرية "أن تكون سيرته -طالب الجنسية- حسنة ولم يسبق الحكم عليه بعقوبة تخل الشرف"³، ويعرف الأستاذ أحسن بوسقيعة الفعل الماس بالشرف على أنه "الفعل المخالف للنزاهة والإخلاص، سواء كان هذا الفعل يقع تحت طائلة القانون الجزائري أم لا"⁴.

أما في تحليل النشيد الوطني الرسمي الجزائري الذي جاء في النشرة الرسمية للتربية الوطنية متناولة "موضوع النشيد الوطني باعتباره رمزا من رموز السيادة الوطنية يخلد تضحيات الشهداء من أجل تحرير الوطن ويجسد مفهوم الواجب الوطني، المتمثل في معاني البطولة والتضحية، والمعنى الإجمالي لكل مقطع وشرح المفردات للنشيد الوطني، فإن معنى مجد تعني الشرف والعزة والرفعة والعظمة والنبيل"⁵.

وفي المجال الاجتماعي عن طريق التنشئة الاجتماعية وتعزيز المواطنة، والإنجازات الكبرى التي حققها الجيش في سبيل التنمية والتشييد الوطني للنهوض بالدولة، والتي أكدها دستور 1976، الذي اعتبر الخدمة الوطنية واجب وشرف، وبأنها تأسست لتلبية لمتطلبات الدفاع الوطني وتأمين الترقية الاجتماعية والثقافية، وللمساهمة في تنمية البلاد.

¹ دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، نفس المرجع، ص 10.

² دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، نفس المرجع، ص 16.

³ قانون الجنسية الجزائرية، المادة 10، مطبوعات الديوان الوطني للأشغال التربوية، ط 03، 2005، ص 05.

⁴ بوسقيعة أحسن (2003): الوجيز في القانون الجنائي الخاص، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 195-196.

⁵ النشرة الرسمية للتربية الوطنية، وزارة التربية الوطنية، العدد 511، نوفمبر 2007، ص 19-23-26.

وجاء أيضا فاصلاً متوارثاً في المواثيق الوطنية لدى الأسرة الجزائرية، حينما ربطه قانون الأسرة الجزائري في المادة 53 (الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005) بالحق في المطالبة بالطلاق أثناء الخيانة الزوجية، فـ "العيوب التي تحول دون تحقيق الهدف من الزواج: الحكم على الزوج عن جريمة فيها مساس بشرف الأسرة وتستحيل معها مواصلة العشرة والحياة الزوجية"¹.

مع تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر ونشوء الحركة الوطنية والدولة الحديثة حيث بدأ ظهور هذا النوع من الشرف في الجزائر مع أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين تزامناً وتواجد الاستعمار الفرنسي، وهي مرحلة التمثيل والتأصيل والتعميم والتمكين، ويجب التوضيح في هذا المقام بأن الاستعمار الفرنسي لم يكن الفاعل في بناء الدولة الجزائرية الحديثة ولا في بلورت المفهوم، وإنما الممارسات الإجرامية اتجاه الشعب الجزائري من طرف المستعمر ما أدى إلى بروز مقاومة شعبية، "فمنذ غزا الفرنسيون الجزائر أخذوا يطمسون معالمها العربية الإسلامية ويحلون المعالم الفرنسية بدلها. وقد شمل ذلك المدن بدون استثناء مما يدل على عزمهم على البقاء والاحتلال الدائم خلافاً لما يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء وعدمه وشمل الطمس تغيير الشوارع وأسمائها وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها وتحويل الدور والفيلات والقصور إلى معسكرات للجيش، وقد بيعت دكاكين وأضرحة وغيرها إلى الأوروبيين ليتاجروا بها كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات وتهديم بعضها نهائياً دون استبدالها ونفس الموقف كان مع الكتاتيب والزوايا والمدارس، لأنها كانت رمزا للقوة والدين والجهاد"².

هذا ما سمح ب بروز معالم الشرف الوطني من خلال الظهور المبكر للحركة الوطنية، تبعاً لشراسة الاستعمار وأن تكون هي مقدمة للدعوة إلى القومية العربية وتولد الضمير الوطني في عهد السنوات الأولى للاحتلال، الذي ارتبط بالعواطف الإنسانية وتدفقت معها مشاعر الغيرة على الوطن، وبأن الحب الأعلى للوطن المرتبط مع المثل العليا التي يُحتذى

¹ وزارة العدل، قانون الأسرة، الطبعة الرابعة، رقم الإيداع القانوني 406-2003، مطبوعات الديوان الوطني للأشغال التربوية، 2005، ص 13.

² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 1، ص 66.

بها الأفراد والجماعات، إنما هو نيل لتدوين أسمائهم على لائحة شرف الدفاع عن الوطن، الذي يضعهم في مرتبة الاحترام والتقدير.

إن مواثيق الشرف المحلية والدولية وعلى قدر أهميتها وما نصت عليه، فهي تتضمن الشرف في كل جوانب الآداب وأخلاقيات الفرد، التي يتعين عليه أن يلتزم بها وتوطنين نفسه عليها، وارتباطه بمعنى الشعور الذاتي للإنسان بالكرامة الشخصية، ومتضمنًا الرغبة في الحصول على احترام الغير، والمكانة الاجتماعية التي يحتلها من خلال سمعته في المجتمع والصفات التي توارثها أو اكتسبها، ومن ثم تستتبع تقدير الناس له؛ من خلال العلاقات العائلية والمهنية والاجتماعية والاقتصادية، فكل أدى يصيبه في عرضه أو مركزه الاجتماعي أو الأدبي إنما يمس شرفه، وهي المراحل الأولى من الفترات التاريخية للجزائر التي قادت العمل السياسي لمقاومة الاستعمار عن طريق الحركات الوطنية التي تبلور معها مفهوم وتشكيل الشرف وارتباطه بالمواطنة كبعد إنساني، والذي تبنته المقاومة وتبناه بيان نوفمبر حينما قدّم ضمانات للأقلية الأوربية المتواجدة بالجزائر، وهو عبارة عن التزام شرف، جاء به البيان لحماية الأقليات الدينية والعرقية الموجودة في الجزائر، وخاصة منها الطائفة اليهودية¹.

فكانت هذه بمثابة دحض لمعنى الشرف الجزائري على الشرف من منظور فرنسي، والتي يبرز فيها بقوة وعزم إجماع الشعب الجزائري ممثلًا بحركاته الوطنية التحررية على هذا العمل القومي، وهو شرف الدفاع عن العيش بسلام وحوار حضاري بامتياز، لتضع أساسًا ونماذج لمجتمع جديد وفق رؤيتها الأيديولوجية وتجربة المقاومة ومشاربها الثقافية، وبالتالي مشروع بناء دولة ومجتمع يرتكز على درجة من التباين أو على الأقل التمايز بين فترة الاحتلال والاستقلال.

تزايد الكفاح المسلح على نطاق واسع واتخذ طابع الحرب الحقيقية واندلعت نيران الكفاح بجميع أرجاء الجزائر بصورة منقطعة ولكنها عنيفة وقاسية ضد أعمال التخريب والتحريق والأعمال الانتقامية التي كان يقوم بها المستعمر في حق الأهالي العزل، الذين

¹ مراد بوعباش، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية: 1919-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2010/2011، ص 395.

كانوا يعتبرون شركاء متواطئين مع الثوار والمجاهدين الجزائريين، ولكن شعور الشرف الذي أدركته المعارك الحربية في نفوس الجزائريين، زاد من وعي الشعب الجزائري أن يحدد بنفسه ما يناسبه، " وقد لعب العمال الجزائريون دورا عظيما في حركة الوحدة الجزائرية كما كان للحركة النقابية الفضل في خلق الوعي الجزائري، ومع أن الشعور الوطني كان يعبر عنه سابقا بطرق تختلف عن الوقت الحاضر فإنه يعكس ظروف زمنه وملابساته، ولكنه لم يكن مطلقا كما يحلو للمستعمرين أن يصوره للعالم تعبيرا عن تعصب أعمى متوحش ضيق الأفق، ويمتاز بكرهه للأجنبي، بل كان مشعبا بروح الوطنية والشهامة والشرف وكرم الأخلاق"¹.

"ومع ذلك فإن الشعور الوطني لم يظهر بهيئته المنتظمة إلا بعد زمن طويل، لأن الفرنسيين عمدوا إلى تحطيم الجهاز الدولي القديم، واتبعوا سياسة محو الشخصية الجزائرية فعرقلوا نمو الشعور الوطني في الجزائر، والحركة الوطنية في الجزائر لم تتخذ وضعها الحقيقي وتنتفض انتفاضتها الجريئة إلا بعد الحرب العالمية الثانية وقد سارت منذ ذلك الحين بخطوات سريعة واسعة، وساعدتها الظروف والعوامل وتشكيل المنظمات المختلفة التي فتحت لها السبل على أوسع مدى، دون أن ننسى الأمير عبد القادر كأول رائد للحركة التحررية وطنية، وأول منظمة قومية مرتكزة على أساس شعبي، باسم نجمة إفريقيا الشمالية على يد مصالي الحاج، الذي برّر مواقفه النضالية بقوله: "إن الذي حدّد نشاطنا مع الجبهة الشعبية هو الكفاح من أجل الحريات الديمقراطية لكافة الجزائريين من أجل لقمة الخبز لهذا الشعب، الذي أفنى عمره في البؤس الأسود، الكفاح من أجل التعليم، الكرامة وشرف الشعب والتحرّر والانعتاق"²، ثم حزب الشعب الجزائري إلى أن تم تأليف جمعية العلماء على يد ابن باديس، ثم قامت إلى جانب الحركة القومية تيارات أخرى تقدمية ممثلة في طبقة مستنيرة تتألف من خليط من العرب والبربر المثقفين بثقافة فرنسية، وتشمل عدد كبير من الأطباء والمحامين ورجال التعليم تحت لواء اتحاد المختارين والذين برز منهم بن جلول وفرحات

¹ مارسيل أجريتو (د.ت): الوطن الجزائري، تر. عبد الله نوار، كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب 114، ص 82.

² Journal El Ouma , mai – juin 1936.

عباس، لنتيح سنوات ما بعد 1944 فرصة للأحزاب الوطنية إلى ضم صفوفهم وتكوين جمعية جديدة عرفت باسم أصدقاء الحرية وحزب حركة نصره الحريات¹.

2- محددات الشرف الوطني في الجزائر

1.2 تدعيم قيم المواطنة وتحديات ممارسة الانتماء للوطن:

الجزائر كغيرها من مجتمعات العالم الثالث عاشت سنوات طويلة بدون سلطة مركزية نتيجة للاستعمارات المتكررة التي حالت دون بروز تراث الدولة بالمصطلح المتعارف عليه، فتبنت إيديولوجية وطنية تستند على العناصر المشتركة بين الجماعة وتعبئة عناصر الهوية الوطنية في سياق بناء الكيان السياسي للأمة، ففي ظل الحزب الواحد الذي رفض المعارضة داخل النسيج الاجتماعي، وألغى الصراعات الداخلية، فإن فكرة الولاء والانتماء تعمل على مطابقة الشعب مع أهدافها، بالتالي أدت إلى هيمنة الدولة على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كما أن هذا التوجه لم يكن راجع إلى عاهة وعجز مستديم، وإنما يرجع إلى تباين ثقافي أمّلته عوامل هيكلية داخلية وملابسات تاريخية عرقلت الديناميكية الداخلية للمجتمع.

و"لعلّ ما تجدر الإشارة إليه هو أن العلاقة القائمة بين السلطة والمجتمع الجزائري لم تكن تستند إلى عقلانية الحقوق والواجبات، أي إلى منطق التكافؤ؛ وإنما إلى قهر في مختلف أشكاله وأبشع صورته، ولأن التقابل كان كلياً بين السلطة والمجتمع، فقد لجأت القوى السياسية والاجتماعية إلى التعبير خارج النسق القائم ضماناً لتوازنها، كما لجأ المجتمع إلى التنظيم خارج دائرة الفضاء السياسي والاقتصادي والثقافي الذي تسوده الدول، من خلال الحرص على حرية التعبير وتماسك الهوية، وإعادة إنتاج قيم الكرامة والشرف².

وطبيعي أن يحدث هذا في فترات التحول التي مرّت بها الجزائر والتي لازالت خيارتها قائمة ولم تتحدد بعد بالوجه الكامل، الأمر الذي يجعلها الأسبق من نظيرتها على الصعيد العلمي عموماً، والسوسيولوجي خصوصاً، الذي يظل قاصراً ومحدوداً إزاء التحولات التي

¹ مارسيل أجزيتو، مرجع سابق، ص 83 و84، 89.

² مجموعة من المؤلفين (1999): الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، المنصف وناس، الدولة الوطنية والمجتمع المدني في الجزائر: محاولة في قراءة انتفاضة تشرين الأول/أكتوبر 1988، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص

تعرفها الجزائر، وهذا الأمر دفع بالمشرع الجزائري إلى البحث عن آلية ونظام حمائي وردعي، في إدماج الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان في القوانين الوطنية؛ كحرية التعبير وإبداء الرأي والمساواة، واحترام حقوق الغير وعدم المساس بشرف المواطنين واعتباراتهم... الخ؛ لأنها ببساطة المدخل الحقيقي لممارسة الكثير من الحريات العامة والحقوق.

نجد أن هناك علاقة إيجابية وحتمية بين الولاء الوطني والمواطنة، ف" الولاء الوطني يشير إلى ارتباط بالأرض وبالنظام السياسي دون تمييز عرقي بين المواطنين أو طبقي اقتصادي أو طائفي ديني أو أصولهم الاجتماعية، بل انصهارهم في بوتقة واحدة وهذا يمثل هدفاً من أهداف التنشئة السياسية؛ ومن ثم فالولاء هو اتجاه نفسي اجتماعي ذو جانب انفعالي عاطفي وجانب سلوكي، يدفع الفرد للقيام بسلوك معين نحو مصلحة ما، تتعلق بانتمائه للجماعة، هذا بالإضافة إلى جانبه المعرفي والذي يتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والقيم التي يستند إليها بالشعور بالولاء"¹.

يدل استقراء المعاجم العربية على أن من معاني كلمة الانتماء هي الانتساب، والإحساس تجاه أمر معين، فيبعث على الولاء له، والفخر به، والانتساب إليه، إذ يعرف الانتماء إلى الوطن بأنه: "السلوك المعبر عن امتثال الفرد للقيم الوطنية السائدة في مجتمعه، كالاعتزاز بالرموز الوطنية، والالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة، والمحافظة على ثروات الوطن وممتلكاته، والتمسك بالعادات والتقاليد، والمشاركة في الأعمال التطوعية، والمناسبات الوطنية، والاستعداد للتضحية دفاعاً عن الوطن"².

والانتماء في علم الاجتماع يعني ارتباط الفرد بجماعة، يسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية، يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها (كالأسرة، والنادي، والشركة...)، وهو مرتبط بالولاء (Allegiance)، ويتفق في المعنى مع الوفاء (Loyalty)، وتستخدم هذه الكلمة

¹ عويد سلطان المشعان (2016): المواطنة وعلاقتها بكل من الولاء الوطني والثقة بالنفس لدى طلاب الجامعة الكويتيين من الجنسين، المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي، المجلد 04، العدد 4، مصر، ص 461.

² محمد عطية أبو فودة (2007): دور الإعلام التربوي في تدعيم قيم الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين في محافظات غزة، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية - غزة، ص 32.

للدلالة على العلاقات والعواطف التي تربط الفرد بالجماعة أو رموزها، أو الإخلاص لما يعتقد الفرد أنه صواب (كالوطن والأسرة والعمل)¹.

و" الانتماء له جانبان: فطري، ومكتسب، وهو حصيلة التفاعل بين ما هو مكتسب وما هو فطري، فالشعور بالانتماء إلى الوطن ينمي في الفرد شعوراً بالأمان والراحة والطمأنينة، واكتساب القيم والاتجاهات الإيجابية التي تجعل سلوكه يتسم بالعطاء والحب والتضحية من أجل دينه ثم وطنه"².

باعتبار كلمة المواطنة المترجمة لكلمة (Citoyenneté) بالفرنسية وترجمة (Citizenship) بالإنجليزية، كمصطلح غربي مشتق من الوطن، الذي يركز على علاقة الفرد والدولة، على أساس أنها صفة تُكتسب لانتماء الشخص إلى وطنه، وتدلّ ضمناً على مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات، فإنه وبهذا المعنى لا يمكن فهم هذا المنطق التلازمي والتعالق الحقيقي، إلا متى أدركنا أنّ "الانتماء والولاء للوطن هو من القيم التي تنطوي تحت لواء مجموعة من المعتقدات والمبادئ والمعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات بحيث تمكنه من اختيار أهدافه التي تحدد مسار حياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العلمي أو الفضي، بطريقة مباشرة وغير مباشرة"³.

كما يعدّ موضوع المواطنة من الموضوعات التي تفرض نفسها بقوة على ساحة البحث العلمي، خاصة عند معالجة أي من أبعاد الشرف والانتماء/الولاء الوطني/ والهوية، لما لها من أهمية كبرى كونها تهدف إلى توفير الاستقرار والرفاهية لأفراد المجتمع من خلال تحقيق الأمن الوطني والاجتماعي لهم، فهي تلك العلاقة التشاركية التي تربط الفرد المواطن ودولته، علاقة منزّهة عن التبعية للأنظمة الاستبدادية والإقطاعية.

¹ أحمد زكي بدوي (1982): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، ص 137.

² بدر بن علي بن عبد الله، مرجع سابق، ص 1563.

³ الجسار سلوى عبد الله (2009): واقع القيم في التعليم المدرسي: رؤية جديدة نحو تطوير أداء المعلم، المنتدى الوطني الثاني للمعلم، كلية التربية الأساسية، الكويت، ص 3.

من منطلق حقّ المشاركة والتساوي لدى المواطنين في الحقوق والواجبات، فإنه" تشير دائرة المعارف البريطانية إلى المواطنة بأنها علاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة، كحق الانتخاب وتولي المناصب العامة (تساوي الفرص من حيث المنافسة على تولي السلطة)، وهي أيضاً مرادف للجنسية¹، فإنه يتضح لما للقيم دور في ضمان إيمان المواطن بمبدأ المواطنة من منطلق آخر غير الجانب القانوني، وهو البعد الإنساني.

أما الوطنية فتُعرف كذلك بالفخر القومي، تُغذّيه الفطرة وتُجليه الحكمة وتشدّ أواصره خصائص الشرف الكاملة، وقد تطور مفهومها من خلال الصيحات النادية بشعار الوطن، إنّها التعلق العاطفي والولاء والانتساب لأمة أو منطقة جغرافية محددة، وقد جاء تعريفها على لسان مصطفى كامل قائلاً: " إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القومية والممالك الشامخة"²، ويتضح منها أيضاً ما تفيض به على لسان أحمد المالكي حين قال " ترتبط الوطنية بالقيم، والأخلاق والأيدولوجيا والسياسة،... وتتقاطع مع أكثر من جذور، فهي أحد المصطلحات الأكثر تعقيداً من حيث التعريف والأعمق صعوبة من زاوية الإدراك والتمثل"³.

في العديد من دول العالم، أنتجت العديد من الرؤى الفكرية حول مفهوم المواطنة والوطنية، الذي انتقل من شكلها التقليدي إلى مفهوم معاصر، فبالرغم من التشابه اللغوي إلا أنه من حيث الاصطلاح " هناك فرق بين المواطنة والوطنية، فالوطنية (Patriotism) تأتي بمعنى حبّ الوطن وهو ارتباط وجداني واستجاب عاطفي، أما المواطنة فهي صفة المواطن، والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، وتتميّز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن

¹ علي خليفة الكواري (2001): مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، ع 264، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 118

² محمد محمد حسين (1984): الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، ط1، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت لبنان، ص 82.

³ أحمد المالكي (1994): الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 24.

طريق العمل المؤسساتي والفردية الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات¹.

الوطنية بهذا المعنى اعتزاز بالانتماء واستعداد للتضحية من أجل الوطن، وسلوك ظاهري يتمثل في الممارسات الحية التي تعكس الالتزام بالمبادئ والقيم والقوانين، وشعور يُترجم إلى المحبة والولاء، وعدم التفريط في الأرض أو العرض أو الشرف الوطني والقومي، والدافعية لتنمية الوطن، والمشاركة الفعالة في كافة الأنشطة والمجالات، فعندما يتعلق الأمر بوجود ما اصطلح عليه من هذه المرادفات المتداخلة، فإن " الوطن وكذا الوطنية (حبّ الوطن)، هي مدلولات مرتبطة بمدى تمسك الفرد بالأرض التي يعيش فيها، وتعتمد الدولة الوطنية من جهتها على مبادئ: أهمها المساواة في المواطنة، وثانيا المواطنة باعتبارها أساس الحقوق الدستورية، وثالثا حرية الانتماء الديني والهوية الثقافية².

نعتمد أن المواطنة ليست حقاً يُمنح للأفراد أو الأقليات المنتمية إلى مجتمع ما بصفة آلية، بقدر ما هي توازن معقد بين الحقوق والواجبات، وتحدّد عبر الاعتراف بفردية كل إنسان، وبالانتماء إلى قيم مشتركة يحترمها الجميع، ويرتكز عليها وجود الجماعة، ومن بين هذه القيم، نجد الشرف المرتبط بغايات محددة صنعها الأجداد، ذلك أن المواطن يعيش في دولة بحكم عقد اجتماعي له حقوق وعليه مسؤوليات، وأهم هذه الواجبات تعبر عن قيمة المسؤولية الملقاة على عاتقه اتجاه وطنه، بداية بالدفاع عن الوطن ومقدساته ورموزه والموت في سبيل شرفه وعرضه، واحترام حرية الآخرين، واحترام القانون... وهذا يعني أن المواطنة سواء تعلق الأمر بمفهومها العام أو الخاص، ليست مُعطى جاهزاً، إنّها سيرورة تاريخية وديناميكية مستمرة، وسلوك مكتسب كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وكلما تهيأت لها الظروف الملائمة.

مع التقدير لتوجهات مفهوم الوطنية بمفهومها العربي وقيمها النبيلة التي يرتبط بها الشرف الوطني في شقّي الانتماء والارتباط وتسعى إليهما الدولة، بمعنى أن الحق واجب

¹ محمد عابد الجابري (1998): *قضايا في الفكر المعاصر*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 135.

² الصادق المهدي (2006): *نحو مرجعية إسلامية متجددة*، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص 86.

والواجب حقّ، نجد أن "مفهوم الوطنية هي حبّ الوطن والشعور بالارتباط الباطني نحوه"¹، وهو الارتباط والشعور الذي تكوّن في وجدان الساكنين على تراب الجزائر، فمكمنه القلب قبل أيّ شيء، والدليل على ذلك ما ذكره المصلحين الجزائريين أمثال الإمامين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، كما " نجد في المقابل أن عناصر الشرف التي يمثل كلّ واحد منها صفة من الصفات العامة التي تمثل تكامل كرامة الإنسان واحترامه، مثل الأمانة والنزاهة والشجاعة والمحافظة على العرض والتمسك بمبادئ الأخلاق والدين؛ فهما تواضعت وظيفية الإنسان يفترض فيه التمتع بحدّ أدنى من هذه الصفات المذكورة"².

من المضامين الكبرى للمواطنة ولاء المواطنين لدولتهم؛ فالولاء هذا لا يُكتفى بالتعبير اللفظي عنه، بل يُستدلّ على استتباب أمره بتبعية هؤلاء المواطنين لنظام الدولة وخضوعهم الإراديّ لقوانينها، "ويتبلور عندئذ المعنى العام للمواطنة في كونها علاقة اجتماعية قائمة بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي، وتتّبنى على أساس تقديم الطرف الأول للولاء والثاني للحماية، وفق ضوابط قانونية محدّدة لهذه العلاقة"³، وهي من الأهداف المقدّسة التي آل إلى تحقيقها منذ الاحتلال الفرنسي مناضلو الحركات التحررية والقضية الوطنية عبر الأجيال، ومفجري ثورة التحرير، وبرنامج مؤتمر الصومام...، باستنهاض مقومات شخصيات المواطن الجزائري، المتضررة من ممارسات المستعمر، ومُصالحّة المواطن مع ذاته، ومساهمة الدولة في صنع أحداث مُحيطها الحضاري والذود عن قيمه.

وهو "ما يمكن رصده من قيم المواطنة في أول دستور للدولة الجزائرية المستقلة الذي صدر في 10 سبتمبر 1963، والتي أعطاهها المشرع الجزائري أهمية كبرى، تكونت من أربعة قيم وهي الحرية والمساواة المشاركة والمسؤولية الاجتماعية، في المواد 10-12-19-20-22-116"⁴، ثم في التعديل الدستوري 1996، الذي كرّس وأكّد على قيمة الحرية في دولة المواطنة في اثني عشر (12) مادّة، وأهم هذه الحريات: حرية المعتقد والرأي،

¹ ساطع الحصري (1985): *آراء وأحاديث في الوطنية والقومية*، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ص9.

² نبيل صقر (2009): *الوسيط في شرح 50 جريمة من جرائم الأشخاص*، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص 90-91.

³ عبد السلام موكيل (2016): *المواطنة وسباق الدولة والهوية: مقارنة فكرية ومعرفية بين الفكر السياسي المعاصر والمنظور الإسلامي*،

العدد الأول، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص 27.

⁴ ناصر لباد (2010): *دساتير الجزائر*، ط2، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف.

والتعبير والابتكار الفني والعلمي، والتجارة والصناعة، والحق النقابي والإضراب، وحتى أداء الضريبة، وهي أبعاد سياسية ومدنية واجتماعية وثقافية في الحياة العامة للمواطن الجزائري، وهذا راجع بالأساس للتطور الذي شهده المجتمع الجزائري طيلة 33 سنة، وهذا يعتبر في العُرف السوسيولوجي بعمُرُ لجيل كامل.

2.2 الشرف ودوره في سياق المواطنة وتعزيز الهوية الوطنية

إذا كانت هويتنا الإسلامية تميزنا عن بقية الأمم الغربية الأجنبية غير الإسلامية، فهويتنا الوطنية الجزائرية تميزنا بدورها عن جميع الأمم العربية الأخرى، لأننا ننطلق من معطيات خاصّة بنا، وبهذا المعنى وعبر مختلف العوامل التاريخية والجغرافية، تعزّز تداخل الانتماء والهوية والوطن، كألحمة متكاملة حتى يكاد لا يتباين ذلك التماهي، فهما أوجه لعملة انصهرت صورهم في لوحة واحدة، وقناعة واضحة في الضمير الشعبي، خصوصاً وأن الولاء تجسّد قديماً فيما معناه الوقوف إلى جانب الدولة بشكل ثابت ومستمر، سواء بوسائل قديمة؛ كحالة التكاثر والتلاحم في حالة الحروب والأزمات والثورات...، أو بشكله المعاصر الذي تمثّل في التحلي بالسلوكيات الحضارية.

فالدولة باعتبارها قمة الوعي المعرفي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع، ذلك النطاق الذي يحمل في محدّداته ما عرفته الموسوعة العربية بأن "الدولة هي السلطة التي ترعى شؤون المجتمع وتُسوّسُه وتَحْمِيه، وتوفّر له الأمن في الداخل والخارج، وتحافظ على مقوماته المادية والمعنوية، وتُنمّيها بكل الوسائل المتاحة من تشريع وتوجيه وتربية وتنقيف ومراقبة، وهي تدافع عن مصالح المجتمع بالحزم والعزم وبالغضب أحياناً"¹.

للتدليل على أهمية مبحث محددات الشرف الوطني في الجزائر فإنه يستهدف إنشاء الهوية المرتبط بإشكالية تحديد الانتماء والولاء سواء للفرد أو الجماعة أو الشعب، إذ تلعب الهوية دوراً هاماً في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية، أين نجد أن "الترابط الإنساني تميز عن غيره من أنواع الترابط الأخرى بالخاصية المعيارية، إذ يعيش الفرد حياة اجتماعية ترابطية؛ هذه الخاصية المعيارية المتمثلة في الثقافة، بمعنى أن الفرد لا يولد مزوداً بالمعايير

¹ الموسوعة العربية، المجلد الثاني، ط1، الجمهورية العربية السورية، رئاسة الجمهورية، ص 354-355.

والأنماط الثقافية السائدة في مجتمعه، وإنما يكتسبها من الآخرين، وتنتقل من جيل إلى آخر بوساطة العلاقات الاجتماعية، كما أنها تتميز بالطابع التراكمي¹.

أضحى موضوع الهوية بصفة عامة مرتبط بتنشئة الفرد على الاعتزاز بالانتماء للوطن؛ والدفاع عنه هو في الحقيقة دفاع عن السيادة الوطنية (الدين، اللغة، الأرض، الوطن، التاريخ، الثقافة)، فهي عوامل تقاسم مشترك لكل مجتمع تجعل منه وحدة متكاملة تنفرد وتتميز عن غيرها من المجتمعات، وبالتالي يتكون من خلالها للدولة مقومات، " فجميع مفاهيم القومية، الهوية والشخصية الوطنية، التي تستعمل في الغالب عند الكثيرين للتعبير عن الجانب الانفعالي المتعلق بالوطن، جاءت لتأخذ في أغلبها منحاً يُشير إلى بُعد الانتماء والثقافة المشتركة داخل المجتمع الواحد، وهو ما نلمسه من خلال التعاريف التي قدمتها قواميس علم الاجتماع، ولم يبتعد بنديكت أندرسون (Benedict Anderson)، أحد أكثر علماء الاجتماع المهتمين بالدراسات السوسولوجية حول القومية والهوية عن هذا المعنى بقوله، أن القومية تتعلق أساساً بأمر ثقافية : اللغة والدين والرموز²، وعليه فسؤال الهوية ينحصر ببعد الانتماء.

لا شك أن لموضوع الهوية أهميته البالغة في الشأن الاجتماعي، إذ أن الإنسان مفطور على التمسك بانتمائه وولائه لوطنه، والاعتزاز بمجتمعه فكراً وتراثاً، وهذه العناصر في مجملها تحدد هوية الإنسان، التي لم يخرج حليم بركات في توصيفها بتوصيفات كثيرة قائلاً: " الهوية وعي للذات والمصير التاريخي الواحد، من موقع الحيز المادي والروحي الذي نشغله في البيئة الاجتماعية، وبفعل السمات والمصالح المشتركة التي تحدّد توجهات الناس وأهدافهم لأنفسهم ولغيرهم، الهوية من حيث كونها أمراً موضوعياً وذاتياً معاً، هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة، أو جماعة أو طبقة، في إطار الانتماء الإنساني العام، إنها معرفتنا: بما، وأين، ونحن، ومن أين أتينا، وإلى أين

¹ أحمد بن نعمان (1988): سمات الشخصية الجزائرية (من منظور الأنتروبولوجيا النفسية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 124-125.

² سمير أبيش (2018): دور اللغة القومية في بناء وتشكيل الوحدة الوطنية (تجربة المجتمعات الأوربية أنموذجاً)، الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص 44.

نَمضي، وبما نُريد لأنفسنا والآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة¹.

وهذا ما يؤكد أن الهوية تنطوي على معان الرمزية والروحية والحضارية الجماعية؛ التي تعطي للفرد إحساسًا بالانتماء إلى الوطن الأم، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بكونه ينتمي إلى جماعة معينة، مثلما يؤكدُه عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر بأن "الهوية إحساس الجماعة بالأصل المشترك، وهي التعبيرات الخارجية الشائعة، مثل الرموز والألحان والعادات، وتميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى، وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها، مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي"².

عبر التاريخ الجزائري تمكّن المستوطنون من الاستلاء على مساحات كبيرة من أرض الجزائر، وأدى ذلك إلى تفتّيت كثير من الأسر الجزائرية، وكما هو معلوم فإن مدينة الجزائر باعتبارها واجهة التمدّن والتحضّر وعاصمة القطر الجزائري، مارست هيمنة نوعية على مُدُن الريف، ولذلك نجد الريف يتأثر بالتغيرات التي تنتجها المدينة مما يسهل على الأخيرة السيطرة عليه بشكل مباشر جغرافياً (الأرض)، وفي المجالات المتعددة (اقتصادياً، ثقافياً، سياسياً...؛) فعبر الريف يتجسد الجانب التطبيقي للوظائف والنشاطات الحضرية، وعلى العكس في الجوانب الثقافية تعتبر المدينة مجال التطبيق، لأن المُدُن تُعاود تصنيع المواد والأفكار والكماليات والضروريات آلياً إلى الأرياف، وبحكم علاقة التآثر والتأثير فقد كانت حدود التواصل بينهما في كل الاتجاهات والميادين.

لذلك فالسلطة المركزية العثمانية لم تملك الأرض كلها، بحيث "تقاسمت الأسر الموسّعة مع السلطة العثمانية سواء في المدينة أم في الريف. ففي الريف كانت الأسر العلمية تحتكر أهم المناصب المسيرة للحياة الثقافية والدينية. مثلما كانت الأسر في الريف تتولى أمور الحياة الاجتماعية؛ وبمجيء الاستعمار الأوروبي حدثت تغييرات كثيرة خاصة

¹ سمير أبيش، نفس المرجع، ص 46.

² علي عبد الرؤوف علي (2014): الاندماج الاجتماعي بين مآزق الهوية وفخ العولمة تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص 443.

بتولي بعض الأسر مهمة المقاومة¹، على خلاف ما حاولت السلطة الفرنسية عمله حين حاولت تفتيت الريف (القبيلة) واستولت على أراضيها، وعلى هذا الأساس يمكن استنتاج أن "سمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية للريف الجزائري كانت تتحدد بالقبيلة وبالعلاقات فيما بينها. وتتحدد كذلك بالنظام العقاري /الأرض/ وبالأدوات الفلاحية؛ وتقابلها سمة الحياة في المدينة بالدكاكين والحرف، فالأرض بالنسبة لسكان الريف هوية وهي في نفس الوقت مردود مادي"².

منذ تاريخ الاضطهاد الذي تعرض له الشعب الجزائري نشأ الخطاب الوطني بناءً على المصلحة الوطنية، فكان الشعور بالانتماء واحداً من أهم عوامل بناء الهوية الوطنية، أين بدأ الانتماء والولاء يتبادلان الأدوار وفقاً لشروط نمط الحياة ومجالاتها (اجتماعية سياسية، دينية...) التي تحكم حياة الفرد والجماعة، "فالفرد يعيش هويته الفردية والذاتية المبنية على الوعي بالذات كما يعيش هويته الجماعية المبنية على العلاقات والتماثلات الاجتماعية التي يكوّنها داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، أما عندما يتعلق الأمر بالانتماء الوطني فإن الفرد يعيش هويته الوطنية التي تتمثل في الشعور بالانتماء إلى جماعة كبرى قد لا يعرف أو يتعامل إلا مع القليل من أفرادها أو لم يزر إلا سوى بعض المناطق منها"³، إذ يشعر فيها الفرد أمام الجماعة أنه يتقاسم معهم أشياء كثيرة.

كلما كانت هناك حركة حقيقية طموحة وجادة لتجاوز كافة الأطر القبلية والعروشية (التعصب التقليدي)، والانصهار في بوتقة قومية شاملة، يستيقظ الانتماء والولاء القومي لدى الفرد الجزائري، كلما تعرضت بلاده لخطر كبير، أو حاولت منه الدولة تحقيق مكاسب مقدسة، أو التطلع إلى إنجازات مهمة، كشرف الدفاع عن أرضه أين تذوب انتماءاته الأخرى (عربي، أمازيغي، مسلم...)، "فالقبايلية والشاوية والمزابية والتارقية...، ليست ثقافات مغلقة ومعيقة للتحديث والوحدة والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية،

¹ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 (2007): آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة، الجزائر، ص16.

² آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، نفس المرجع، ص 13

³ محمد داود (2018): الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر، كتاب جماعي الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص27.

ولا يحق لأي جهة احتكارها، إنها صور متعددة للهوية المستمرة، وهي الخطوط الكبرى التي تتناقل جيلاً بعد جيل، ويكون المجتمع هو ذاته لا الآخر، أما الهوية المتحولة فتتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها وتتحول عموماً داخل هذا الاستمرار ذاته¹.

تعد الحاجة إلى الشرف في سياق المواطنة وتعزيز للهوية، وبوصفه شعوراً وجدانياً، حاجة ماسة في المجتمع الجزائري على وجه التحديد، لأنه يمثل أحد أهم الركائز التي ناضل وقام عليها الشعب الجزائري كفرد أو كجماعة، بغض النظر عن الانتماءات الفردية في الحيز الجغرافي كالانتماءات الإثنية، والواقع العالمي الذي تخطى بخطابه كل الحدود الثقافية والمساحات الاجتماعية، فالعلاقة بين المواطنة والهوية هي عملية التعزيز الإنساني والقانوني للمواطن الجزائري على وجه الخصوص في المشاركة الفاعلة لبناء كيان وطنه، " فالهوية لازمة للمواطنة، لأن المواطنين لا بد لهم من نظام سياسي، وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات، وكل هذا إنما يبنى على معتقدات وقيم ومعايير؛ أي: على هوية معينة، ذلك إن المواطنين مهما كان إخلاصهم لوطنهم وحرصهم على مصلحته لا يمكن أن ينظروا إلى تلك المصلحة باعتبارهم مواطنين فقط، بل لا بد أن ينظروا إليها بحسب هوياتهم، لا بد لهم من هوية، من ثقافة تكون هي المنظار الذي ينظرون به إلى الواقع، والمعياري الذي يقترحون به الحلول لمشكلاته"²، فهي مشحونة بحمولات عاطفية تتجسد في الشعور بشرف الانتماء وحب الوطن، والاستعداد لبذل النفس والنفس، والدفاع في سبيله والتضحية من أجله، ليحقق كل مواطن إيجابي منتمي لوطنه أمن مجتمعه الإنساني، عكس المواطن السلبي الذي لا يحمل من المواطنة إلا قشوراً.

خاتمة:

خلصت دراسة الفصل إلى أن الشرف يرتبط بعدة محددات تؤهل صاحبه لشغل مكانة اجتماعية، نظير إصراره على امتلاك مكتسبات متوارثة وفطرية، وكذا مدى الحفاظ على قيم وأخلاق، كما يتحقق المساس بشرفه فقدان دوره الاجتماعي ومكانته وسمعته، وعلى

¹ عبد الكريم عيادي (2018): الدراسات الثقافية العولمة وإعادة بناء -تشكيل الهوية، الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص 335.

² م. م. تائر رحيم كاظم (2009): العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات)، مجلة الفادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع 01، مجلد (8)، ص 266

هذا النحو نجد عدد معتبر من العناصر التي تتدرج في الثقافة الجزائرية ضمن إطار الشرف القبلي متمثلة في المرأة، الأرض والبيت حسن الضيافة.

ظهرت سمات ثقافية أخرى عملت على تغيير الملمح العام للمجتمع الجزائري حيث أضحى يحتكم إليها المجتمع في تكوين علاقاته الاجتماعية ومرجعياته الفكرية والثقافية، ولعل مفهوم النسب الشريف كان من أبرزها. بحيث لم يكن مجرد تجميل للواجهة الاجتماعية، بل كثيرا ما كان دريعة لطلب الحكم أو تثبيت الأقدام في مواقع السلطة.

من ناحية أخرى يمكن القول إن الشرف متأصل في الذاكرة الشعبية الجزائرية منذ القدم، وظهر بشكل بارز في أهم محطة تاريخية عرفتها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، أين كان للشرف بعده الدلالي وارتباطه بالمدلول الروحي لمقدسات كيان الأمة، وتتآزر قِيَمُهُ عند ذكر الأشراف والأصل والحسب، وهي جوانب تختلف حظوظها في الذكر والتوثيق بخلفيات ارتباط الشرف بالانتماء لهذا الوطن ومقدساته المطعمة بالأخلاق الإسلامية، ليبقى الخطاب القومي مُطعمًا بعناصر اللغة والدين، زيادة عن عناصر التاريخ والجغرافية. تَشَرَّبَ فيه الشرف الوطني من روح الجهاد والدفاع عن الوطن، دون إنكار فضل الحركات التحررية وكذا أدبيات العمل الثقافي والاجتماعي للمناضلين، الذي تراكم عبر قرون حول هذا المفهوم وتبلور لدى الرغبة الجماعية في الحرية والانعتاق واستقلال الجزائر عن فرنسا.

بهذا المفهوم ارتبط الشرف بالمقاومة والانتماء والولاء للوطن، وهي من المظاهر الهامة للحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر، بحيث كانت ترجمة لكفاح الشعب الجزائري بمختلف الوسائل والشعارات من أجل طرد المحتل، لذلك كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ؛ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون، بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف.

وفي هذا السياق يكفي التذكير بارتباط الشرف بهذه المفاهيم كما سبق وأن أشرنا في أطوار الدراسة، فمن هذا المنظور التاريخي ومرادفات المصطلح الشمولي، ندرس الشرف الجمعي الذي يرفض النظرة الضيقة التي تقتصر على اعتبار الشرف منوط فقط بالعدوية والطهارة والمكانة... بل بدليل أن الحديث عنه في هذا الفصل مرتبط كذلك بخطابات متنوعة، قد تكون متقاربة أو متميزة، متكونة من عناصر مادية وعناصر معنوية، كالاستقرار

والتحرّر... والتضحية لأجل هذا الوطن والدفاع عن مقدساته، وإضمار النوايا المشتركة سواء الإرادية أو الغير إرادية.

الفصل السادس: دراسة ميدانية

تمهيد

أولاً: عرض وتحليل المعطيات الميدانية

ثانياً: مناقشة نتائج الدراسة

تمهيد

حاولت دراستنا الميدانية البحث في التصور الاجتماعي لقيمة الشرف عند جيلين من المجتمع الجزائري وذلك بقصد الإجابة عن اشكاليتنا الرئيسية المتمثلة في الكشف عن جملة التحولات التي طرأت على مفهوم الشرف في المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري. وقد اعتمدنا على المنهج المقارن لجيلين من المجتمع الجزائري، جيل الستينيات/السبعينات وجيل الألفية، بحيث أخذنا عينة قصدية مكونة من 360 مفردة (190 من جبل الستينيات/السبعينات و170 من جيل الألفية) وقمنا بتوزيع الاستمارات على كل فرد قصد فهم التصور الاجتماعي لمفهوم الشرف وجملة الممارسات المرتبطة به لدى كل جيل، ومن ثم وقفنا على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف وذلك لتحديد أبرز التحولات التي طرأت على هذه القيمة الاجتماعية في المخيال الاجتماعي الجزائري.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تحديد حجم العينة لم يكن متاح لنا في الوهلة الأولى لرغبتنا في التنقل إلى كامل أنحاء القطر الجزائري لتشمل الدراسة مختلف ربوع الجزائر غير أن الإمكانيات، المادية والزمانية، المتاحة في الدراسة لا تسمح بتحقيق هذا المبتغى من جهة، ومن جهة أخرى، كون الموضوع يندرج ضمن الطابوهات الاجتماعية التي امتنع العديد من أفراد المجتمع الحديث معنا حوله، وهو ما التمسناه في أول خرجة ميدانية لنا للبحث عن اخباريين باعتبارهم المصدر الأولي لمعطيات الدراسة.

وعلى أساس هذه الاعتبارات فقد اعتمدنا على وسطاء بيننا وبين بعض المبحوثين، بحيث ساعدونا في توزيع الاستمارة بخاصة في المناطق الغربية والجنوبية، ما جعل عينة الدراسة تتوسع لتشمل أنحاء مختلفة من المجتمع الجزائري، آخذين بعين الاعتبار معيار الوعي والتجربة، الشخصية أو العلمية، لأفراد العينة بمسألة الشرف وقد توصلنا إلى جمع (يحدد مستقبلا) مفردة من كلا الجيلين.

ومن خصائص العينة في دراستنا الحالية، بالإضافة لتباعد الفئات العمرية، فإنها كانت متنوعة في مكوناتها سواء من حيث الجنس بين الذكر والأنثى أو من حيث المنطقة

الجغرافية بين الريفي والحضري وكذلك المستوى التعليمي الذي كان بين الليسانس والماستر بالنسبة للطلبة والماجستير والدكتوراه بالنسبة للأساتذة.

المتغير	الجنس		الفئة العمرية		الوظيفة			المستور التعليمي			مكان الإقامة	
	أنثى	ذكر	24-18	>45	طالب	أستاذ	أخرى	ليسانس	ماستر	دكتوراه		ريفي
التكرار	210	150	170	190	140	130	90	100	110	150	70	290
النسبة المئوية	58,33	41,67	47,22	52,78	38,89	36,11	25,00	27,78	30,56	41,67	19,44	80,56
المجموع	360		360		360			360			360	

الجدول رقم 01: خصائص عينة الدراسة

كما أن جيل الستينيات والسبعينات في الجزائر يتميز بكونه جيل عاش مراحل تطويرية مهمة في ظروف سوسيو-اقتصادية-سياسية معقدة ومتنوعة. فقد عاش في نظام سياسي يعرف باسم "الحزب الواحد" ثم انتقل إلى النظام المتعدد الأحزاب، ومن نظام اقتصادي اشتراكي إلى نظام اقتصادي شبه رأسمالي ثم أنه جيل ترعرع في بيئة اجتماعية كان غالب عليها الطابع الريفي أكثر من الحضري، وكل هذا ساهم في بروز خصائص ثقافية تميز جيل السبعينات عن جيل الألفية، ما دفعنا لاختيار هذا الجيل كمنطلق للبحث عن التحولات التي مست التصور الاجتماعي لقيمة الشرف.

ولتحقيق الهدف الرئيسي المتوخى في هذه الدراسة ممثلا في فهم وكشف جملة التحولات التي طرأت على التصور الاجتماعي لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري، حددنا انطلاقا من اعتبارات علمية موضوعية ثلاثة محاور أساسية تمكن من الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف للتصور الاجتماعي لقيمة الشرف بين الجيلين، حيث انبثق من خلالها دلائل المقابلة الذي أجريناه مع المبحوثين. وتتمثل هذه المحاور في:

1) المستوى المعرفي لقيمة الشرف: تطرقنا في هذا المستوى إلى مدى إدراك الأفراد بهذه القيمة من خلال وصف التصور الاجتماعي المركب حولها وذلك برصد وجهات النظر المختلفة حول مفهوم ودلالة الشرف لدى كلا الجيلين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعرفة التي نحن بصدد الكشف عنها لدى المبحوثين ليست المعرفة العلمية لمفهوم الشرف وإنما المعرفة العامية والتي تبرز أساسا في الأوساط الشعبية ما يمكننا من الوقوف على محددات مفهوم الشرف في المخيال الشعبي.

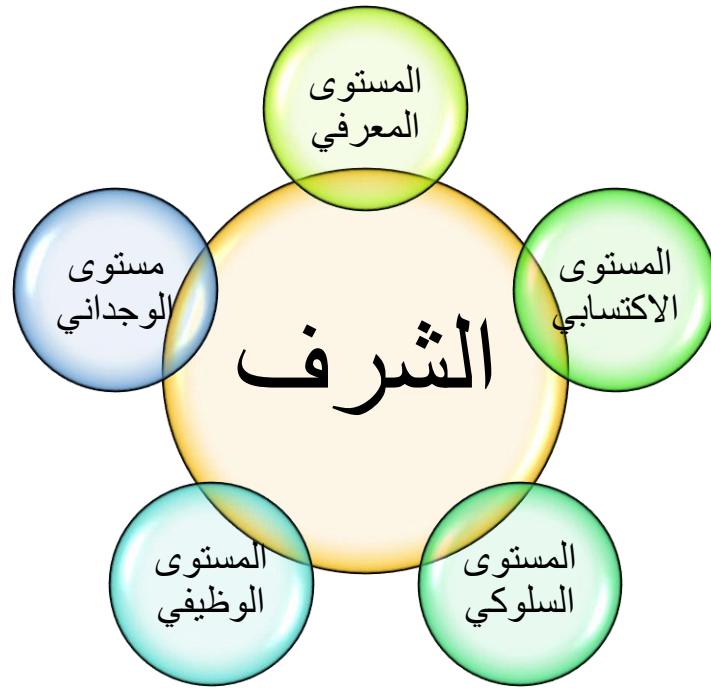
(2) المستوى الاكتسابي لقيمة الشرف: جاء هذا المستوى لتمكيننا من الإلمام بسبل وآليات اكتساب الفرد لقيمة الشرف في بيئته الاجتماعية سواء لدى جيل السبعينات أم الألفية، وذلك بقصد الوقوف على الفوارق العملية حول عملية التنشئة الاجتماعية لقيمة الشرف لدى الجيلين في محيطهما الاجتماعي وكذا التعرف على مدى تمسك الأسر الجزائرية بتربية النشء على هذه القيمة.

(3) المستوى السلوكي لقيمة الشرف: وتتجلى أهمية هذا المستوى في معرفة تبلور قيمة الشرف في السلوك الفردي والجماعي قصد الوقوف على الفوارق السلوكية في تبلور قيمة الشرف لدى الجيلين. بحيث سنبحث أساسا في أبرز السلوكيات المرتبطة بالشرف في الثقافة الجزائرية مثل: اللباس، الوفاء بالوعد، العذرية، ردة الفعل عند انتهاك الشرف.

(4) المستوى الوظيفي لقيمة الشرف: على اعتبار أن الشرف له وظائف سيكولوجية مثل: ضبط سلوك الأفراد، اجتماعية مثل: التضامن الاجتماعي والزعامة، وهي في العموم وظائف متعددة ونسبية تختلف من مجتمع لآخر، فقد جاء هذا المستوى، وهو لا يقل أهمية عن المستويات الأخرى، للكشف عن الفروق بين جملة الوظائف التي يؤديها الشرف في المجتمع الجزائري عبر الجيلين.

(5) المستوى الوجداني لقيمة الشرف: وضعنا هذا البعد بقصد التمكن من معرفة الأهمية والتقدير الذي يوليه المجتمع لهذه القيمة لدى كلا الجيلين، أي الكشف عن أهمية الشرف في نظر جيل السبعينات وجيل الألفية، لك أن أهمية الشيء تبرز في المكانة التي يمنحها إياه المجتمع. وبالتالي فأهم سؤال نتباحثه هنا يكمن في: ماهية الأهمية التي يليها المجتمع لقيمة الشرف؟

في الأخير تجدر الإشارة إلى أننا اخترنا الاستمارة بأسئلة نصف موجهة في رصد المعطيات الميدانية، ذلك أنه، بالإضافة للأسئلة التي قمنا بتحضيرها في دليل المقابلة، يمكن أن تثار أسئلة أخرى خلال الحوار مع المبحوثين ما يساعدنا في إثراء الموضوع. أما عن طبيعة أسئلة المقابلة فقد كانت أسئلة مفتوحة مصاغة بطريقة تتيح للمبحوث بوصف تصورهم من جهة ونظر محيطه الاجتماعي للموضوع من جهة أخرى، بمعنى أنها لم تكن أسئلة موجهة للفرد بحد ذاته وإنما تتيح للمبحوثين من وصف تصورهم ومحيطهم لتقادي أي إخراج، نظرا لطبيعة الموضوع الذي يعد من المسكوت عنه.



شكل 3 مستويات الدراسة لقيمة الشرف

أولاً: عرض وتحليل المعطيات الميدانية

المحور الأول: الشرف على المستوى المعرفي

الجدول رقم (02): ملخص إجابات المبحوثين حول ماهية الشرف في بيئتهم الاجتماعية

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س1	<p>-الشرف بالنسبة لي له علاقة بالوفاء للوطن ولشريك الحياة والمحافظة على سلالة نقية للعائلة. هو كل شيء.</p> <p>-هو التزام اخلاقي وقيمي.</p> <p>العفة، الأمانة، الوفاء بالوعد، الكرامة.</p> <p>-الشرف من الدين؛ والمرء على دينه وشرفه والبناء الأسري والمجتمعي قاعدته الشرف.</p> <p>-مكانة اجتماعية.</p> <p>الأصل، الاخلاق، الصدق، الصفاء، الحرمة.</p> <p>-الشرف هو ما يحدد قيمة الفرد ومكانته بين الناس.</p> <p>-مع انه شيء مبهم وصعب التعريف إلا انه يسيطر على الناس</p>	<p>-صفة تقيم مستوى الفرد في المجتمع.</p> <p>-هو مبادئ الإنسان وقيمته الأخلاقية وقيمته المجتمعية وقبل كل شيء علاقته بدينه وعقيدته.</p> <p>-حفظ العرض والابتعاد عن العلاقات المحرمة بالإضافة للستر في الثياب وفي بعض الاحيان يكون الابتعاد عن المواقف المحرجة لما فيها من انحطاط للكرامة.</p> <p>-كل ما يخص الانثى.</p> <p>-في مجتمعنا تدل كلمة الشرف على الحفاظ على العذرية. وهي تخص البنات أكثر من الذكور.</p> <p>-محور الشخص.</p> <p>-الاخلاق.</p> <p>-السمعة الطيبة.</p> <p>-هو الدين هو الحياء هو التربية.</p>

<p>- أن تكون الفتاة أكثر شرفاً كونها امرأة ان تحافظ على شرفها اما بالنسبة للذكر ان يكون رجلاً كاملاً كلمته تمر .</p> <p>- هو أن يجتمع الشخص على صفات يمكن تحديدها من العادات والتقاليد او الدين تجعله انسان صالح في نظر المجتمع .</p>	<p>في طريقة تفكيرهم وتصرفاتهم وحتى نمط حياتهم .</p> <p>- شيء مقدس وخطوط حمراء .</p> <p>- عدم الدخول في علاقات مشبوهة</p> <p>- هو العرض والمكانة الاجتماعية .</p> <p>- القيمة الاخلاقية والحفاظ على مبادئ الدين .</p> <p>- هو صيانة المرأة لنفسها ولدينها وابوها وأخيها وزوجها .</p> <p>- ألاّ نحط رأسك .</p> <p>- شخص يلتزم بوعدده مهما يكن .</p> <p>عقيدة</p> <p>- يعنى به الثوابت والمبادئ المرسخة في البيئة الاجتماعية بناء على القيم السوسيوثقافية والسمات الاجتماعية للمحيط الاجتماعي</p> <p>- مسألة حياة .</p>
---	--

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم .

يتبين من خلال الجدول رقم 2 أن التصور الاجتماعي لمعنى قيمة الشرف لدى جيل الستينات والسبعينات وكذا جيل الألفية يعبر الشرف عن تلك المثل العليا التي يسعى الأفراد للوصول إليها والامتثال لها .

إذ هو لدى الجيل الأول تلك "الثوابت والمبادئ المرسخة في البيئة الاجتماعية بناء على القيم السوسيوثقافية والسمات الاجتماعية للمحيط الاجتماعي" حيث نجده يعبر على معنى الحياة إذ من خلاله يثبت الفرد وجوده الاجتماعي، فأحد المبحوثين بقول الشرف هو أن "لا تحط رأسك" بمعنى ألا تطأئ رأسك أي أن تعيش مرفوع الرأس وهذا السلوك يقتضي التغذية والتشبع بالمعاني الناظمة لقيمة الشرف باعتباره من المقدرات الثقافية.

ويرى كذلك جيل الألفية بأن الشرف هو مبادئ الإنسان وقيمه الأخلاقية والمجتمعية، بمعنى أن قيمة الشرف تأخذ أسسها من القيم الاجتماعية الناظمة للمجتمع، والتي تسمح للفرد من بناء سمعة طيبة في وسطه الاجتماعي.

والملاحظ هو أن المرأة وجسدها بصفة عامة يشكلان جانب مهم في معنى الشرف لدى كلا الجيلين، إذ أن مسألة العذرية على وجه الخصوص لها رمزيتها في المخيال الاجتماعي لجيل الستينيات والسبعينات وجيل الألفية على حد سواء. إذ تعتبر من الأمور المقدسة التي يليها المجتمع أهمية بالغة، ولا شك في أن هذه الأهمية أو القدسية إن صح التعبير تعود إلى تلك الجوانب الدينية والتقليدية المتجذرة في الثقافة الجزائرية والتي تطرقنا إليها في الفصل الرابع من دراستنا.

أما الفرق بين التصورين لقيمة الشرف لدى الجيلين، يكمن في أن جيل الستينيات والسبعينات يرى بأن الشرف يجد معناه في المكانة الاجتماعية للفرد بمعنى أن الشرف يمنح الأفراد مراتب اجتماعية الأمر الذي يجعل المجتمع يتفاعل وفق تراتبية اجتماعية، في حين أن جيل الألفية يرى بأن الشرف يكمن في السمعة الطيبة التي يتحلى به الفرد الأمر الذي يضع العلاقات الاجتماعية وفق نمط أفقي.

الجدول رقم (03): ملخص إجابات المبحوثين حول الكلمات والمصطلحات الأكثر تداولاً للتعبير عن الشرف في وسطهم الاجتماعي

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س2	الكرامة، الحرمة، العرض، النيف، الانفة، الرجولة، الوفاء، الإخلاص،	الكرامة، الحرمة، العرض، النيف، الرجولة، العز، الأنوثة، ابن/بنت حلال،

النسل، المهنة، الأصل، العذرية، القيمة، العفة، الشهامة، الاخلاق، القيم، المبادئ، العهد، الأمانة، امرأة حرة او رجل حر، القيمة، الدار، الكلمة، المكانة.	الفخر والقيام بالشيء صحيح، النزاهة، العيب، العار، الحشمة، السمعة أو الشهرة.
--	---

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

الملاحظة على هذه المعطيات الكيفية المبينة في الجدول رقم 3 أعلاها، أنها تتشابه في جوانب وتختلف في جوانب أخرى، ويمكن تلخيص هذا التشابه والاختلاف كما يلي:

1- التشابه في المصطلحات الأساسية:

- **الكرامة والحرمة والعرض:** تكررت هذه القيم في إجابات كلا الجيلين، مما يشير إلى أهميتها المستمرة كقيم أساسية مرتبطة بالشرف.
- **الرجولة والأنوثة:** ظهرت كذلك هذه المفاهيم في إجابات كلا الجيلين، مع اختلافات طفيفة في التعبير عنها حيث نجد لدى جيل الستينيات/السبعينيات مفهوم المرأة الحرة والرجل الحر، في حين نجد مفهومي الرجولة والأنوثة لدى جيل الألفية.

2- الاختلافات في التعبير عن القيم:

- **التفاصيل:** استخدم جيل الألفية تعبيرات أكثر تفصيلاً وتنوعاً، مثل "النزاهة" و"القيام بالشيء الصحيح"، بينما ركز جيل الستينيات والسبعينيات على المفاهيم العامة مثل "الكرامة" و"الحرمة".
- **التركيز:** يظهر أن جيل الألفية يهتم أكثر بالقيم المرتبطة بالشخصية الفردية والأخلاق، بينما يركز جيل الستينيات/السبعينيات على القيم الاجتماعية والعائلية.

3- بروز اصطلاحات جديدة:

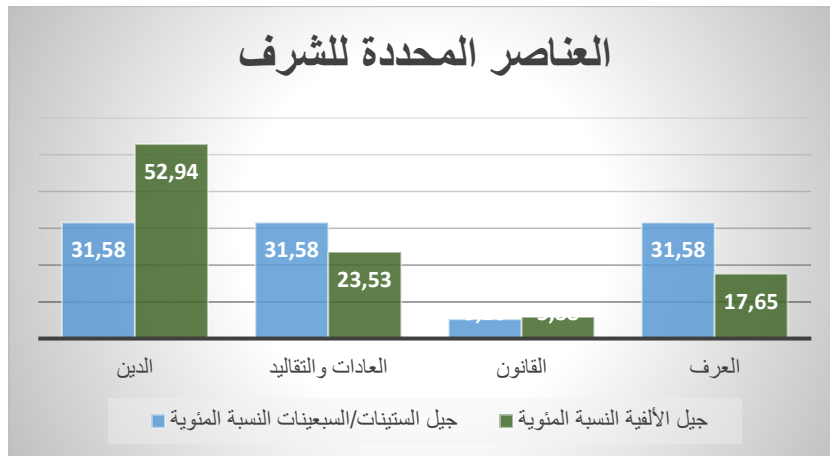
- ظهرت مصطلحات جديدة اعتمدها جيل الألفية للتعبير على قيمة الشرف مثل "الفخر" و"السمعة" و"الشهرة"، مما يعكس اهتمام هذا الجيل بالصورة الذاتية والاعتراف الاجتماعي.

الجدول رقم (04): ملخص إجابات المبحوثين حول العناصر المحددة للشرف في المجتمع الجزائري

المجموع	العرف	القانون	العادات والتقاليد	الدين	الاختيارات	
190	60	10	60	60	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	31,58	5,26	31,58	31,58	النسبة المئوية	
170	30	10	40	90	التكرار	جيل الألفية
100	17,65	5,88	23,53	52,94	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يتبين من خلال القراءة الإحصائية للجدول رقم 04 المبين أعلاه أنه لدى جيل الستينات/السبعينات تنحصر قيمة الشرف بين ثلاث عوامل متحكمة في تحديدها تتمثل أساسا في: الدين، العادات والتقاليد والعرف حيث كل عنصر عُبر عنه بنسبة 31,58%، في حين نجد أن جيل الألفية يرى بأن الدين هو المحدد الرئيسي لقيمة الشرف حيث 52,94% عبروا عن ذلك، في حين 32,53% يروا أن العادات والتقاليد هي المحدد لقيمة الشرف و17,65% يروا أن الأعراف هي المحدد لقيمة الشرف.



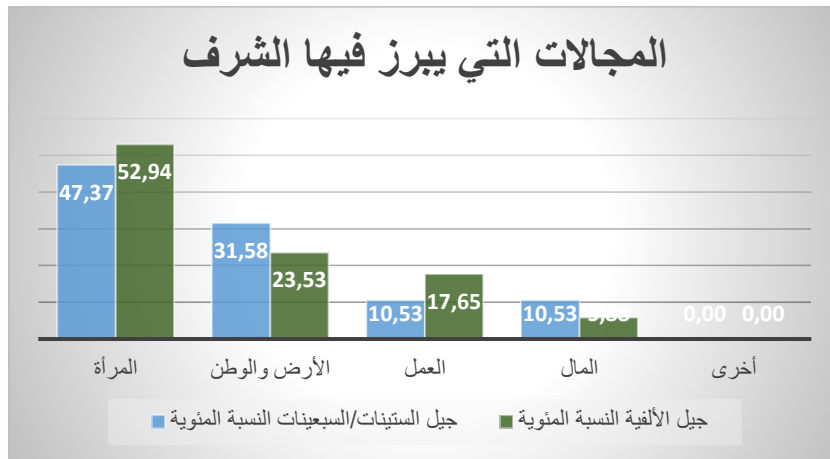
وإن ذل هذا على شيء فإنما يذل على التغيير الذي مس التصور الاجتماعي لمفهوم الشرف عند المجتمع الجزائري، بحيث أصبح الدين المتحكم الوحيد في محددات هذه القيمة الاجتماعية مع تأثيرات طفيفة للعادات والتقاليد والأعراف.

الجدول رقم (05): ملخص إجابات المبحوثين حول المجالات التي يبرز فيها الشرف

المجموع	أخرى	المال	العمل	الأرض والوطن	المرأة	الاختيارات	
190	0	20	20	60	90	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	0,00	10,53	10,53	31,58	47,37	النسبة المئوية	
170	0	10	30	40	90	التكرار	جيل الألفية
100	0,00	5,88	17,65	23,53	52,94	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يظهر أن جيل الستينات والسبعينات يربط مفهوم الشرف بشكل أساسي بالمرأة (47,37%)، ثم بالأرض والوطن (31,58%)، يلي ذلك العمل (10,53%) وأخيرا المال (10,53%). في حين يركز جيل الألفية بشكل أكبر على المرأة (52,94%)، ثم الوطن (23,53%) والعمل (17,65%)، بينما يأتي المال في المرتبة الأخيرة (5,88%).



يتضح من خلال القراءة الإحصائية أن قيمة الشرف كانت تبرز أساسا في مجالين رئيسيين: المرأة، الأرض والوطن حيث المرأة شكلت نسبة 47,37% والأرض والوطن شكلت 31,58%، أما لدى جيل الألفية فالملاحظ أنه فيه تراجع في علاقة الأرض والوطن بالشرف إذ 23,53% عبرت عن هذا التصور في الوقت نفسه شكلت المرأة المجال الرئيسي الذي يتبلور فيه مفهوم الشرف أين عبّر 52,94% على هذا التوجه.

المحور الثاني: الشرف على مستوى الاكتسابي

الجدول رقم (06): ملخص إجابات المبحوثين حول البيئة الاجتماعية التي يكتسب الفرد قيمة الشرف

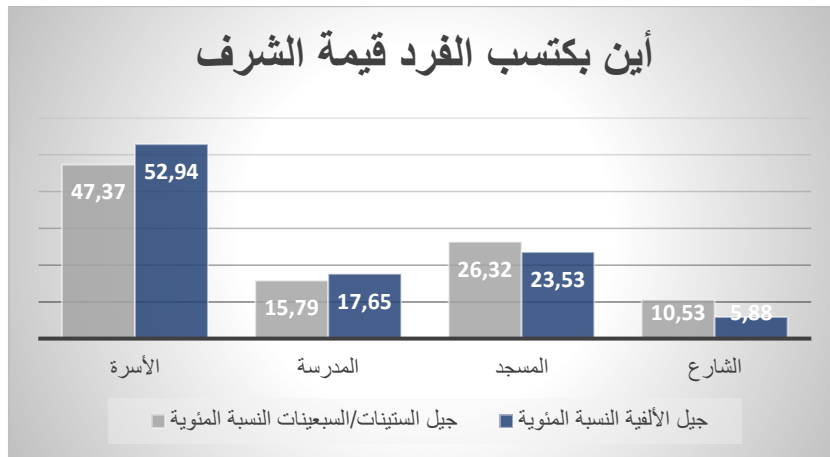
المجموع	الشارع	المسجد	المدرسة	الأسرة	الاختيارات	
					التكرار	جيل الستينات/السبعينات
190	20	50	30	90	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	10,53	26,32	15,79	47,37	النسبة المئوية	
170	10	40	30	90	التكرار	جيل الألفية
100	5,88	23,53	17,65	52,94	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يوفر هذا الجدول نظرة عامة على التغيرات في مصادر اكتساب الشرف بين جيلي الستينات/السبعينات والألفية وتشير النتائج المحصل عنها إلى ثبات دور الأسرة المحوري في تكوين قيم الشرف لكلا الجيلين، حيث (47,37%) من جيل الستينات/السبعينات و(52.94%) من جيل الألفية عبروا عن ذلك، مع زيادة طفيفة في أهميتها بالنسبة لجيل الألفية.

أما باقي البيئات الاجتماعية الممثلة في المدرسة، المسجد والشارع فقد كانت نسبتها ضعيفة لكلا الجيلين مقارنة بالأسرة وهو ما يجعلنا نقدم بأن الأسرة كانت ومازالت المغذي الرئيسي لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري.

وتجدر الإشارة إلى تسجيلنا تراجعاً طفيفاً للدين والمجتمع الديني، باعتبارهما بيئة اجتماعية تغذي قيمة الشرف، لدى جيل الألفية. حيث يشير الانخفاض (1,86%) في نسبة الذين يرون في المسجد مصدراً رئيسياً لاكتساب الشرف لدى جيل الألفية إلى تراجع طفيف في تأثير الدين والمجتمع الديني على هذه القيمة.



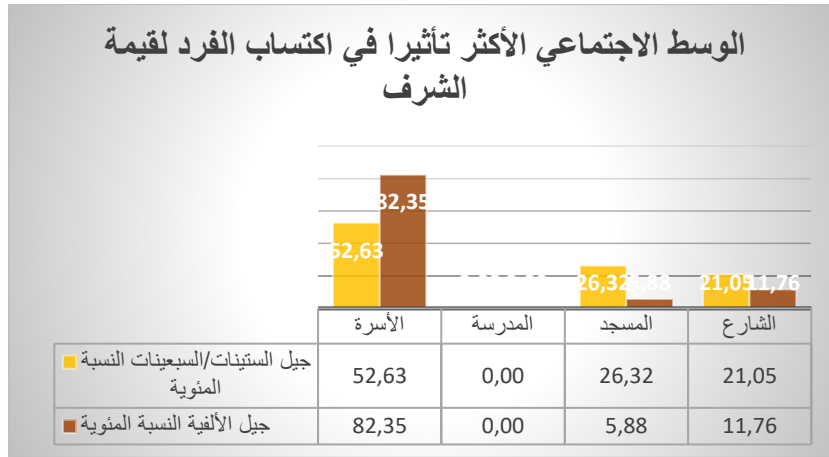
إلا أنه -أي الدين- يبقى المصدر الثاني بعد الأسرة، ذلك أن المدرسة جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة (15,79%) لجيل الستينات/السبعينات و(17,65%) لدى جيل الألفية. قي حين أن الشارع يشهد تراجعاً واضحاً كمرجع لاكتساب الشرف لكلا الجيلين، مما قد يعكس تغير أنماط التنشئة الاجتماعية والعوامل المؤثرة في سلوك الأفراد.

الجدول رقم (07): ملخص إجابات المبحوثين حول الوسط الاجتماعي الأكثر تأثيراً في اكتساب الفرد لقيمة الشرف

المجموع	الشارع	المسجد	المدرسة	الأسرة	الاختيارات	
190	40	50	0	100	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	21,05	26,32	0,00	52,63	النسبة المئوية	
170	20	10	0	140	التكرار	جيل الألفية
100	11,76	5,88	0,00	82,35	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تشير المعطيات الإحصائية إلى أن الأسرة تلعب دوراً محورياً في تكوين قيم الشرف لدى الأفراد، ويزداد هذا الدور أهمية بشكل ملحوظ لدى جيل الألفية أين عبر أفراد العينة على ذلك بنسبة عالية جدا (82,35%) مقارنة بجيل الستينات/السبعينات (52,63%).



ويظهر كذلك تراجع دور المؤسسات الأخرى في التأثير على الأفراد في تكوين تصورهم حول قيمة الشرف. إذ نلاحظ تراجع ملحوظ في تأثير الشارع والمسجد مثلا على تكوين قيم الشرف لدى جيل الألفية، مقارنة بجيل الستينات والسبعينات.

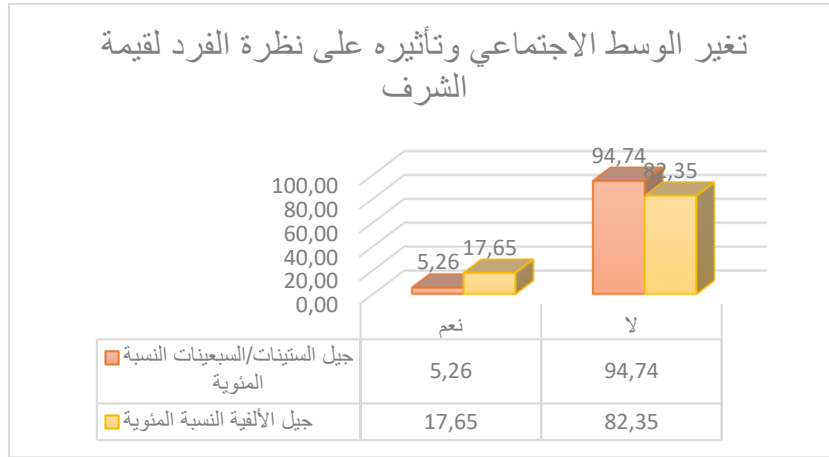
والملفت للانتباه هو أن عينة الدراسة لدى كلا الجيلين تنفي نفيًا قاطعًا تأثير المدرسة على الأفراد في تكوينهم لقيمة الشرف حيث لم يُجب ولا مبحوث على هذا العنصر، والسبب في ذلك هو أن الشرف في نظر المبحوثين قيمة أسرية خاصة أكثر منها مجتمعية عامة. **الجدول رقم (08): ملخص إجابات المبحوثين حول تغير الوسط الاجتماعي وتأثيره على نظرة الفرد لقيمة الشرف**

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	180	10	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	94,74	5,26	النسبة المئوية	
170	140	30	التكرار	جيل الألفية
100	82,35	17,65	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تبرز النتائج الإحصائية أن تغير البيئة الاجتماعية لا تؤثر على نظرة الفرد لقيمة الشرف وهذا ما عبر عنه كلا الجيلين وبخاصة جيل الستينات/السبعينات حيث 94,74% أقرّوا بأن الوسط الاجتماعي لا يؤثر على نظرته لقيمة الشرف، وبالرغم من أن النسبة

تتخفف نوعاً ما لدى جيل الألفية بـ: 12,39% إلا أنها تبقى نسبة معتبرة 82,35% تؤكد على تمسك الأفراد بالتصور الاجتماعي لقيمة الشرف المنبثق من بيئتهم الأولية والمركب أساساً من المؤسسة الأسرية.



وبالرغم من أن التوجه العام يؤكد على أن تغير البيئة الاجتماعية لا يؤثر على نظرة الفرد لقيمة الشرف إلا أنه فيه اعتقاد سائد يرى بأن تغير البيئة الاجتماعية يغير من تصور الفرد لقيمة الشرف وهو ما عبر عنه 5.26% من جيل الستينات/السبعينات ونسبة أكبر عند جيل الألفية حيث 17,65% أشاروا إلى ذلك.

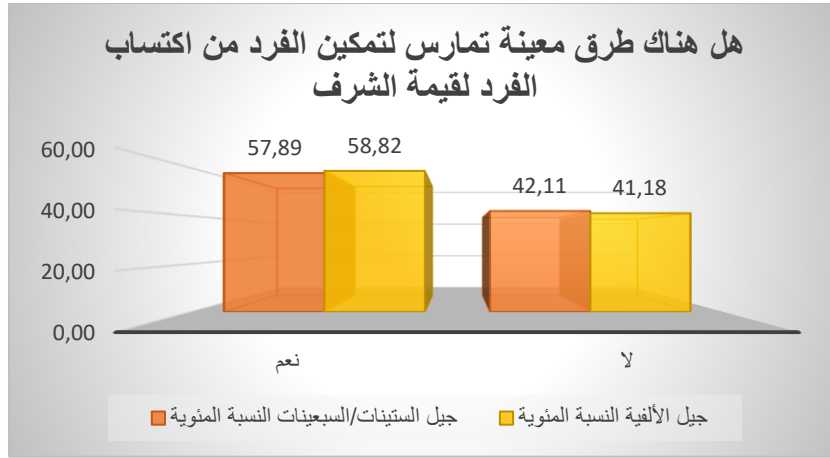
الجدول رقم (09): ملخص إجابات المبحوثين حول الطرق الممارسة لتمكين الفرد من اكتساب قيمة الشرف

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
190	80	110	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	42,11	57,89	النسبة المئوية	
170	70	100	التكرار	جيل الألفية
100	41,18	58,82	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يظهر من خلال الجدول الإحصائي المبين أعلاه عن وجود اتجاه عام يشير إلى أن غالبية أفراد العينة من كلا الجيلين يؤمنون بوجود طرق محددة لاكتساب الشرف. حيث لا

يوجد فرق كبير بين الجيلين في هذه النسبة (57,89% عند جيل الستينات/السبعينات و58,82% عند جيل الألفية) وهي نتائج متقاربة إلى حد كبير.



يمكن القول إن الاعتقاد بوجود طرق محددة لاكتساب الشرف هو اعتقاد شائع بين أفراد الجيلين المدروسين، ولا يبدو أن هناك اختلافاً جوهرياً بينهما في هذا الصدد، وهي مسلمة عامة على اعتبار أن القيم بصفة عامة يتم تلقينها للأفراد من خلال مجموعة من الطرق والآليات.

وتتمثل هذه الطرائق حسب ما هو مبين في الجدول رقم (10) والذي شمل إجابات المبحوثين حول طرق تلقين الفرد لقيمة الشرف، أن التنشئة الاجتماعية هي أهم طريقة يمكن من خلالها إدراج قيمة الشرف في السلوك الفردي والجماعي للمجتمع.

كما يشكل "الاحتكاك بالشرفاء" إحدى السبل الأخرى التي تمكن من اكتساب قيمة الشرف في المجتمع الجزائري. كون التفاعل مع أفراد معلوم لهم بالشرف يتيح اكتساب هذه القيمة من خلال الاقتداء بهم وانتهاج مسلكهم، وهي آلية تبرز لدى جيل الستينات والسبعينات.

الجدول رقم (10): ملخص إجابات المبحوثين حول طرق تلقين الفرد لقيمة الشرف

السؤال	إجابات جيل الستينات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س4	- التنشئة الاجتماعية السوية التي تبني على ضوء	- حسب وجهة نظري اي قيمة إذا أردنا اكتسابها يمكننا ذلك، اما بالنسبة لشرف نكتسبه عن طريق

<p>التمسك بأخلاقنا بقيم اخرى كالصدق العدل</p> <p>- فهم العقيدة الإسلامية (من القرآن والسنة)، قراءة سنة الرسول والصحابة</p> <p>- التربية الاسرية والدينية... العلم والتعلم</p> <p>- دراسة اسس الدين الصحيحة والقرآن الكريم</p> <p>- قراءة القران وتفقّه في الدين</p> <p>- التعلم من شخص معروف بحكمته</p> <p>- الرجوع الى الدين</p>	<p>مقومات البيئة الاجتماعية: التربية والعقيدة والأخلاق</p> <p>- الاحتكاك او التعامل مع النزهاء والحكماء ومخالطة ناس شرفاء.</p> <p>- التوارث التلقين التمسك بالدين التوعية</p> <p>- التعليم، النصح، التذكير</p> <p>- تختلف الحالات حسب الأفراد</p> <p>- التمسك بالدين الخفيف</p> <p>- العايلة الكبيرة</p> <p>- الأخلاق الحميدة، القدوة</p>
---	---

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

المحور الثالث: الشرف على المستوى السلوكي

الجدول رقم (11): ملخص إجابات المبحوثين حول الشروط الواجب توفرها في الفرد حتى يكون كامل الشرف.

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينيات	إجابات جيل الألفية
س1	<p>- ان يكتسب القيم التي توراث عليها الاباء والاجداد وان يتمسك بها كمبادئ اجتماعية</p> <p>- يلتزم بمسؤولياته الفردية والأسرية والاجتماعية، يلتزم بعفته ويلتزم بأخلاقيات العمل، يكسب المال الحلال،</p>	<p>- يحبس المرأة عدم ترك بناته يدرسون تزويج البنات مبكرا لشخص أكبر بثلاثة مرات عدم اعطاء الحقوق لأي امرأة في محيطه احتقار النساء وغالبا كل من حوله</p>

<ul style="list-style-type: none"> - لا يدخل في علاقات غير شرعية ولا يقوم بأعمال خاطئة مثل السرقة والمخدرات يكون مثقف ومحترم - الالتزام بمبادئ الدين والتحلي بالقيم الاخلاقية، ان يكون الانسان مستقيم على الدين - احترام الكبير والصغير ذكرا وانثى والابتعاد عن الكلام الفاحش - لالتمزام بأخلاق الدين. واحترام حدود الاخرين - يصون نفسه ودينه ووطنه وعائلته ونسائه - يتبع قيم وأخلاقيات المجتمع المحافظ - يحافظ على نفسه وسمعته وسمعة عائلته - أن يحافظ على كلمته وان لا يكذب - يطبق ما جاء في الإسلام - محترم في كل شيء - سيرته تكون حسنة - عندو النيف 	<ul style="list-style-type: none"> يبتعد عن الاختلاس والاستغلال، يكون أمين - الاخلاص والوفاء للوطن، اختيار المرأة الصالحة، التربية الصحيحة للأبناء، غرس قيمة الشرف في محيطه الاجتماعي. - لابد من التمسك بالقيم الدينية وبتقافة البيئة الاجتماعية والشعور بالانتماء للوطن والمجتمع. - الالتزام بمبادئ الدين والتحلي بالقيم الاخلاقية، ان يكون الانسان مستقيم على الدين - أن يحفظ كرامته ويحترم العادات والتقاليد ويتشبث بالمرجعية العقائدية - أن يتمسك بقيمه ومبادئه في ظل الضغوطات المفروضة عليه - طاعة والديه الابتعاد عن المحرمات التماسك الاسري - في رأيي عليه ان يحترم نفسه اولاً وان يحترم غيره - أن يحفظ كرامته وأخلاقه ويحمي عرضه واسرته 	
---	--	--

	<p>- يجب ان يكون ذو مبدأ ويحترم مبادئه</p> <p>- أن يمارس أخلاق الشرف من منبع الدين</p> <p>- لا يتجاوز الاعراف. والقيم الدينية</p> <p>- التدبير ونقل قيم الشرف لأسرته</p> <p>- الالتزام بالقيم الاسرية</p> <p>- يلتزم بما له وما عليه</p> <p>- Le respect des autres</p>
--	---

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يظهر في الجدول رقم 11 أعلاه نظرة عامة على الفروقات والتشابهات بين الأجيال فيما يخص التصور الاجتماعي حول قواعد الشرف، نوضحها في العناصر التالية:

1. التركيز على القيم الاجتماعية والدينية:

الملاحظ على الإجابات المبينة في الجدول أعلاه أنها تحمل توجه عام مجانس نحو بعض القواعد الناظمة لميثاق الشرف في المجتمع الجزائري نذكر منها:

- الالتزام بالمبادئ والقيم الدينية.
- الوفاء للوطن.
- حماية العائلة.

فيما تبرز بعض الفروقات بين الجيلين حيث نجد جيل الستينات/السبعينات يميل إلى التركيز الكبير على الأخلاق العامة والقيم المجتمعية واحترام العادات والتقاليد، بالإضافة إلى المحافظة على القيم الأسرية. بينما يظهر جيل الألفية اهتماماً أكبر بمسألة القيم الفردية والأخلاقيات الشخصية التي تمنح السيرة الحسنة.

2. مسؤوليات الفرد تجاه المجتمع:

- **جيل الستينات/السبعينات:** يرى الشرف في الالتزام بالواجبات العائلية والمجتمعية، مثل احترام الآخرين، العمل بجد لكسب المال الحلال، وتجنب الاستغلال والغش، والوفاء للوطن والمجتمع.
- **جيل الألفية:** يظهر وعي مماثل نحو المسؤوليات الاجتماعية مثل احترام الآخرين، لكن يبرز لديهم أيضًا أهمية الأخلاق الشخصية والاحترام المتبادل مع الآخرين، بغض النظر عن التقاليد أو العادات.

3. التوجهات حول الحرية الفردية:

يظهر لدى جيل الألفية تصور أكثر تقليدية تجاه الأدوار الاجتماعية، حيث يظهر الميل للحفاظ على التقاليد الاجتماعية مثل تقييد حرية المرأة وفرض الزواج عليها. الأمر الذي لم نلاحظه لدى جيل الستينات/السبعينات برغم تمسكه الكبير بالعادات والتقاليد.

4. الشرف والسمعة الشخصية:

يعتبر جيل الستينات الشرف أمرًا جماعياً إلى حد كبير، حيث يرتبط بشرف الأسرة والأبناء وكرامة العائلة ككل. بينما أفراد جيل الألفية يلتزمون أيضًا بالحفاظ على الشرف، إلا أن هناك تركيزاً على السمعة الشخصية للفرد، بما في ذلك السلوك المحترم وتجنب الأخطاء التي تسيء إلى صورة الفرد.

في المجمل، نجد أن جيل الستينات يركز على الالتزام بالمبادئ المجتمعية والدينية كأساس للشرف، بينما يولي جيل الألفية اهتماماً أكبر بالأخلاق الشخصية والاحترام المتبادل كجزء من مفهوم الشرف.

الجدول رقم (12): ملخص إجابات المبحوثين حول ردة فعل الفرد في حال انتهاك شرفه

السؤال	إجابات جيل الستينات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س2	- هو السعي على الدفاع عن مقومات الشرف من خلال القيام بردود فعل أخلاقية من	- في مجتمعنا ان كان التعدي من طرف الرجل فهو معصوم لا يلام (مجتمع ذكوري) ويقع الذنب كله

<p>على الفتاة بحجة طريقة لبسها او مكان تواجدها.</p> <ul style="list-style-type: none"> - الغضب من الطرف المظلوم ويصل الأمر حتى للقتل - أن يحارب لاسترداده ويلجأ للدين والقانون - الشعور بالعار والهروب من المجتمع - الاكتئاب والاختباء عن الأنظار - الذل والهوان والشعور بالعار - عنفية نوعا ما - الدفاع عنه - المواجهة - قاسية - احراج - الثأر 	<p>خلال فتح فضاءات الحوار السلسلة لرد الاعتبار لمبادئ الشرف وقيم المجتمع مع تعزيز روح المواطنة والانتماء والترويج الموروث الاجتماعي والقيمي للبيئة الاجتماعية</p> <ul style="list-style-type: none"> - على الفرد أن يفرض احترامه وإذا انتهك شرفه أو حقه يلجأ إلى الطرق القانونية - هناك فئة تهتم وفئة اخرى لا يهمها شيء، تختلف ردة الفعل باختلاف الشرف - استرجاعه بكل الطرق المتاحة بما يفرضه العرف والتقاليد او بالقانون - اللجوء للقانون او جماعة من اهل الصلح والخير - حسب الحالة وحسب الاعتقادات بما يمثل الشرف - كل حسب إيمانه بالله وشخصيته - شعور بالإحباط والخيبة - تختلف حسب درجة الانتهاك - عنيفة لأنه عنده مبادئ - الشكوى للجهات المعنية 	
--	---	--

	<ul style="list-style-type: none">- يمكن ان تكون عنيفة- اللجوء الى القانون- صدمة نفسية- العقوبة	
--	--	--

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يتضح من خلال الجدول رقم 12 أن هناك اتجاهات قوية للدفاع عن الشرف بطرق صارمة، بما في ذلك القتال والانتقام، ويمكن أن يصل الأمر حتى للقتل. وهذا لدى كلا الجيلين لما جاء في تعبير أفراد العينة المدروسة. إذ يعتبر الدفاع عن الشرف قضية أساسية مرتبطة بالتقاليد والعرف، ويستند رد الفعل إلى الأعراف القبلية والعائلية مما يؤدي إلى معاملة انتهاك الشرف كقضية جماعية.

إلا أنه هناك فروقات ملحوظة بين ردود فعل جيل الستينات/السبعينات وجيل الألفية حول كيفية التعامل مع انتهاك الشرف.

1-جيل الستينات/السبعينات:

- يميل إلى اتباع ردود فعل أكثر هدوءً وعقلانية، حيث يفضلون التعامل مع قضايا انتهاك الشرف من خلال القنوات القانونية والوسائل السلمية.
- يسعى البعض منهم إلى حل القضايا عن طريق الحوار والانفتاح على مناقشة القيم والمبادئ المجتمعية، حيث يلجأ البعض إلى القانون والبعض الآخر إلى جماعات الصلح، وتظل ردة الفعل متفاوتة حسب شخصية الفرد ودرجة الإيمان بالعرف الاجتماعي.

2-جيل الألفية:

- يميل هذا الجيل إلى لوم المرأة، خصوصًا إذا تعرضت للاعتداء، حيث قد يلقي عليها اللوم وفق معايير المجتمع الذكورية.
- تغيير البيئة الاجتماعية أو كما عبر عنه أفراد العينة بالهروب، ذلك أن انتهاك الشرف برسم وصمت العار على صاحبها.

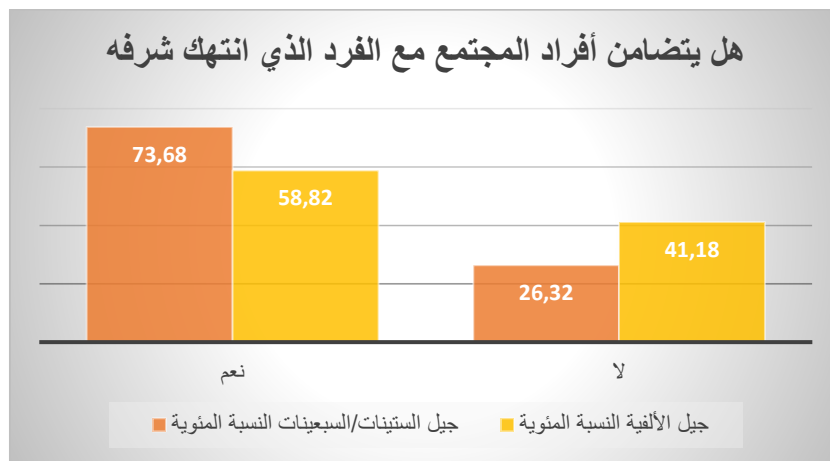
باختصار، يميل جيل الألفية إلى الردود العنيفة والتقاليد المجتمعية الصارمة، في حين كان يعتمد جيل الستينات/السبعينات بشكل أساسي على الحلول السلمية والقانونية مع مراعاة القيم الاجتماعية، مما يعكس تحولاً في المنظور العام لقيمة الشرف.

الجدول رقم (13): ملخص إجابات المبحوثين حول مدى تضامن أفراد المجتمع مع الفرد الذي انتهك شرفه

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	50	140	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	26,32	73,68	النسبة المئوية	
170	70	100	التكرار	جيل الألفية
100	41,18	58,82	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

بشكل عام، هناك نسبة ملحوظة من الأفراد الذين أبدوا تضامنهم مع من انتهك شرفهم. وهذا يدل على وجود حس إنساني وتكاتف اجتماعي في المجتمع. إلا أنه هناك تباين بين الأجيال يظهر في نسبة التضامن.



إذ يلاحظ أن نسبة كبيرة، 73,68%، من جيل الستينات/السبعينات تتضامن مع من انتهك شرفهم. في حين نجد أن في جيل الألفية نسبة معتبرة ترفض التضامن مع من

انتهاك شرفه، حيث 41,18% تشكل هذا التوجه، مقابل 58,82% من أولئك الذين يتضامنون مع ضحايا الشرف.

إن ارتفاع نسبة غير المتضامنين من جبل الألفية مع أولئك الذين انتهاك شرفهم يجد تفسيره في بروز تصورات جديدة لمفهوم الشرف ولا شك أن معنى السمعة والشهرة أهمها.

الجدول رقم (14): ملخص إجابات المبحوثين حول سبل وطرق استرجاع الشرف في حالة فقدانه

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س4	<ul style="list-style-type: none"> - السعي على الدفاع عن مقومات الشرف من خلال القيام بردود فعل أخلاقية من خلال فتح فضاءات الحوار السلسلة لرد الاعتبار لمبادئ الشرف وقيم المجتمع. - الإجابة تتوقف على المقصود بافتقاد الشرف وفي الحقيقة رد الفعل يختلف حسب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد فإذا كان قائما على القانون فيسترجع الشرف عن طريق القانون - توجد العديد من الصور لاسترجاع الشرف. منها الانتقام أو الثورة. - طلب رد الاعتبار، القصاص، تغيير المحيط الاجتماعي. - توكل على الله، ومحاولة تصفية الخلاف 	<ul style="list-style-type: none"> - لا يوجد، لا يوجد، لا يُسترجع - لا يوجد سيتم الحكم عليك بمعاييرهم ثم نبذك. - تغيير مكان العيش وقطع العلاقات القديمة تماما والبدء من جديد أو الابتعاد لفترة. - التحلي بالصبر والايان معرفة الاخطاء واسباب فقدان الشرف لمعالجته. - ترك الأمور التي أدت إلى فقدان الشرف وتوجه نحو إصلاح والتغير من نفسه - استرجاع الحق والدفاع عن النفس بالقانون أو الانتقام (في حال عدم جدوى القانون)

	<ul style="list-style-type: none"> - العدالة، القضاء والقانون، والتعويض او تقاليد القبيلة - التوبة والاستقامة من جديد - تطبيق شريعة الله والدين والعودة إلى الله - الصبر والاندماج
--	---

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يتضح من خلال المعطيات الكيفية المبينة في الجدول رقم 14 أعلاه، أن سبل استرجاع الشرف تختلف من جيل إلى آخر. فبينما يرى جيل الستينات/السبعينات أن استرجاع الشرف يتم من خلال تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية والصبر والاندماج مجدداً في المجتمع أو اللجوء إلى المؤسسات القضائية لتحقيق العدالة واسترجاع ما ضاع من حقوق، يذهب في المقابل جيل الألفية إلى أنه لا يوجد حلول لاسترجاع الشرف لأنه إذا ضاع فلا يسترد، ولو أن الأرقام الإحصائية غير متوفرة، إلا أننا التمسنا، خلال خرجاتنا الميدانية، عدد معتبر يؤيد هذا الاتجاه كون الشرف في تصورهم مقرون بالعدرية.

الجدول رقم (15): ملخص إجابات المبحوثين حول رمزية لباس المرأة في المحيط الاجتماعي

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س5	<ul style="list-style-type: none"> - شرفها - ستر للمرأة وفرض رباني وزينة وانتماء - الحشمة - تلبس ما يشاء لها مع احترام المجتمع - مبادئ وثوابت مجتمعية متوارث عليها - الحجاب او اللباس المحتشم 	<ul style="list-style-type: none"> - شرفها - ستر - هو بالنسبة للمرأة يعبر عن عقليتها وفلسفتها الشخصية هو بالنسبة للرجل فتنة وسبب يتيح للرجل فعل ما يشاء - تفكيرها مستواها الديني والفكري وبالنسبة لبعض الاشخاص هو

اصطناع للتدين وقد يكون كذلك حقاً	- الخلق والتربية والتدين - رمز من رموز الشرف - شخصيتها وقيمتها - تجسيدا للشرف - أخلاق المرأة
- الدين والاحتشام وتربية والأخلاق - يعبر عنها وعن شرفها وشرف أهلها	
- عقدة نفسية للرجال (الغالبية)	
- مرآة المرأة، مقياس لها	
- مرآة تعكس طبيعة التربية	
- أظن أنه يمثل شرف المرأة	
- الحياء وتربية الالهل	
- انعكاس تربيتها	
- هويتها الأولى	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

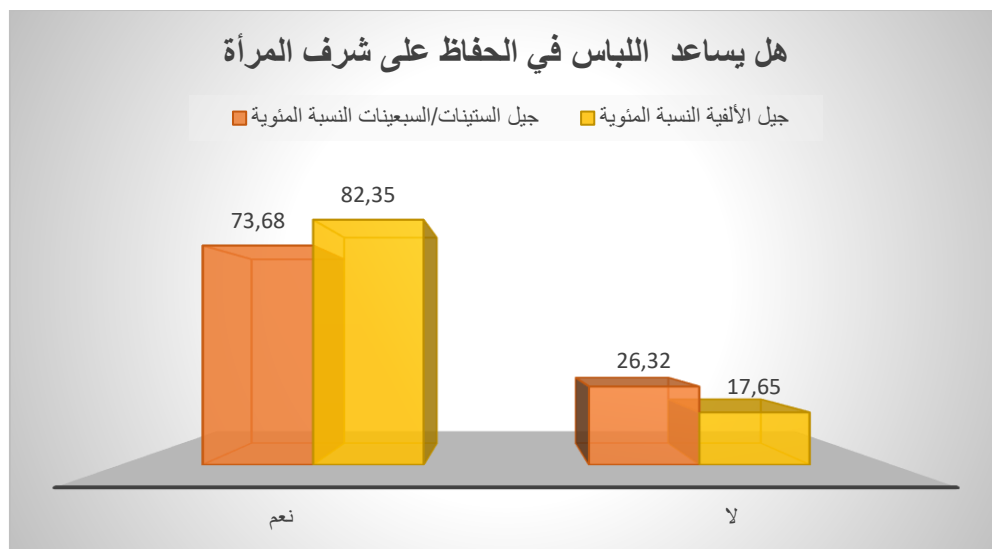
وفقاً للجدول رقم 15 أعلاه والخاص برمزية لباس المرأة في المخيال الاجتماعي للجيلين المدروسين، يتبين أنه لا تظهر اختلافات جوهرية بين وجهات نظر جيل الستينات/السبعينات وجيل الألفية حول التصور الاجتماعي للباس المرأة، إذ نجد أن جيل الستينات/السبعينات يميل إلى ربط لباس المرأة بالحشمة والشرف والتربية والدين. فيعتبر اللباس المحتشم أو الحجاب رمزاً للتدين والشرف ومرآة لأخلاق وتربية المرأة، ويمثل احتراماً لمبادئ وثوابت مجتمعية متوارثة. وهو ما يعكس قيم المرأة وشخصيتها ويعتبر تجسيداً لشرفها وشرف عائلتها. ونفس التصور نجده لدى جيل الألفية، والفرق يكمن في أن الجيل أو جيل الألفية يحمل وجهة نظر أكثر انفتاحاً تجاه لباس المرأة، إذ يعتبرونه خياراً شخصياً يعكس عقلية المرأة وفلسفتها الفكرية والشخصية، مع احترام المجتمع لاختيارها.

الجدول رقم (16): ملخص إجابات المبحوثين حول دور اللباس في المحافظة على شرف المرأة

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	50	140	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	26,32	73,68	النسبة المئوية	
170	30	140	التكرار	جيل الألفية
100	17,65	82,35	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يقدم لنا الجدول رقم 16 نظرة عامة على نتائج استبيان حول دور اللباس في المحافظة على شرف المرأة، حيث يظهر أن معظم المبحوثين من كلا الجيلين يرون أن للباس دورًا في المحافظة على الشرف المرأة.



لكن الملفة للانتباه هو زيادة الاعتقاد بدور اللباس لدى جيل الألفية، إذ هناك زيادة طفيفة ولكن ملحوظة في نسبة المبحوثين من جيل الألفية (82,35%) الذين يرون أن للباس دور في المحافظة على الشرف مقارنة بجيل الستينات والسبعينات الذين عبروا على هذا الاتجاه بنسبة (73,68%).

الجدول رقم (17): ملخص إجابات المبحوثين حول كيف يساهم اللباس في المحافظة على شرف المرأة

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س6	<ul style="list-style-type: none"> - مصداقا لقوله تعالى ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين كما يساعدها عن اجتناب انتهاك سمعتها او شرفها وهو باب العفة - لانه يعكس القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية للمجتمع - لان اللباس يعكس طبيعة ونوع المرأة إذا كانت محترمة او العكس - لان اللباس المحتشم يعني أن الانسان يهتم بالحفاظ على شرفه - لان اللباس الغير محتشم يجلب للمرأة المشاكل وسوء الظن - اللباس يضمن لها الستر والحفاظ عليها - اللباس شرف المرأة وقديستها - الاحتشام يخفي الجسد - لان الشرف ممارسات - يجنب التحرش - لأنه محتشم - سترها 	<ul style="list-style-type: none"> - لان ديننا ينص على ذلك ولان لباس المرأة يحدد رد فعل الناظر لها واستجابته. - الدين هكذا - تطبيقا لأمر الله تعالى، وحفظا لكرامتها واحترامها لنفسها - لم يتم فرض الحجاب في الدين الاسلامي عبثا...الالتزام به وباللباس الساتر يقلل مخاطر التحرش او كل ما يؤدي الى فقدان الشرف حسب المجتمع. - لان المجتمع يحكم على المرأة من لباسها فإن كانت امرأة ساترة لنفسها تعتبر محافظة، وأن كانت امرأة غير محتشمة في لباسها فكل من يراها يلعنها وتصبح فريسة الجنس الاخر - لان المجتمع يقيم المرأة من لباسها - لان اللباس الساتر يساعد في ابعاد المتحرشين ذوي الافكار الجنسية الشاذة - لأنه يسترها ويبعد عنها الشهوانيون - لان لباس المرأة بمثابة طهر لها - اول شيء يدل على شرف المرأة - لأنها تحفظ نفسها من الشر - لكي لا يلقي اللوم عليها

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

لاحظنا بأن معظم المبحوثين من كلا الجيلين يرون أن للباس دوراً في المحافظة على شرف المرأة، والسبب حسب دراستنا الاستطلاعية يعود عاملين مشتركين لدى الجيلين:

الأول ديني، حيث يرى أفراد العينة بأن هذا تطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية محتكمين في ذلك إلى آيات من القرآن الكريم، الأمر الذي يحفظ كرامة المرأة ويزيد من احترامها في وسطها الاجتماعي. ثم أن المسألة تتعدى القيود الاجتماعي بل هي إسلامية يقول أحد المبحوثين "الدين هكا" أي هذا هو الدين ويستوجب تطبيقه مثلما جاء.

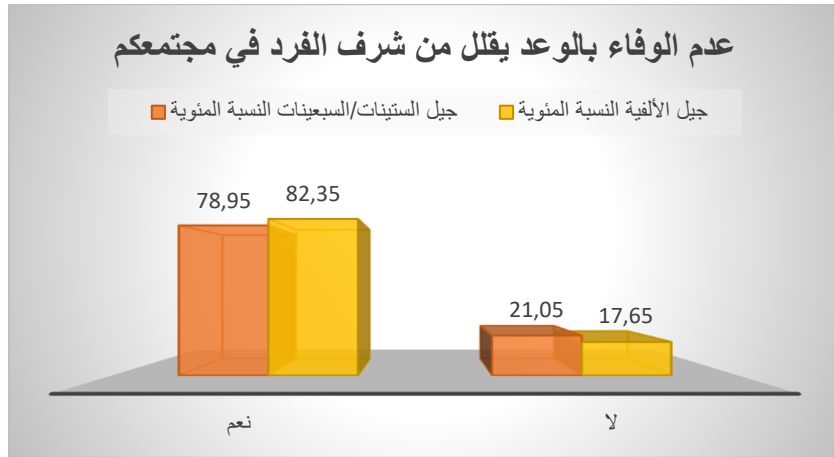
والثاني وهو اجتماعي/ثقافي، حيث يرى أفراد العينة بأن المجتمع يحكم على المرأة من خلال لباسها، بالتالي فنمط اللباس يخضع إلى معايير قيمة يحددها المجتمع وترتبط أساسا بما يسمى بـ: "اللباس المحتشم"، وهو لباس تغطي فيه المرأة جوانب معينة من جسدها كالرأس والذراعين والساقين. وذلك بصدد حجب الأنظار عنها لنبذ الأفراد "الشهوانيون" -أي الذين تغلب عليهم شهواتهم الجنسية- وتحقيق ما يسمى بـ: "السترة" والعفة.

الجدول رقم (18): ملخص إجابات المبحوثين حول الإخلال بالوعد وعلاقته بشرف الفرد

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
190	40	150	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	21,05	78,95	النسبة المئوية	
170	30	140	التكرار	جيل الألفية
100	17,65	82,35	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

من خلال قراءتنا الإحصائية للجدول رقم 18، نجد أن الاتجاه السائد يتمثل في كون عدم الوفاء بالوعد يقلل من شرف الفرد في المجتمع الجزائري سواء لدى جيل الستينات/السبعينات أو جيل الألفية. إذ 78.95% من جيل الستينات/السبعينات عبروا على ذلك و82,35% من جيل الألفية أكدوا ذات الموقف.



وهذا الاتجاه نابع في الحقيقة من ذلك التصور القائمة وراء مفهوم "الكلمة" هذه الأخيرة التي تعني الوفاء بالوعد، إذ يقال في الثقافة الشعبية "الراجل معروف بالكلمة والوعد دين عليه" وهي مقولة استقيناها من أحد المبحوثين، والتي تؤكدت عندما قمنا بتوزيع الاستمارة حيث وجدنا أنه من المفردات التي يعتمدها الجزائريون، بخاصة جيل الستينات/السبعينات، للتعبير على الشرف "الكلمة" أنظر الجدول رقم 03.

المحور الرابع: الشرف على المستوى الوظيفي

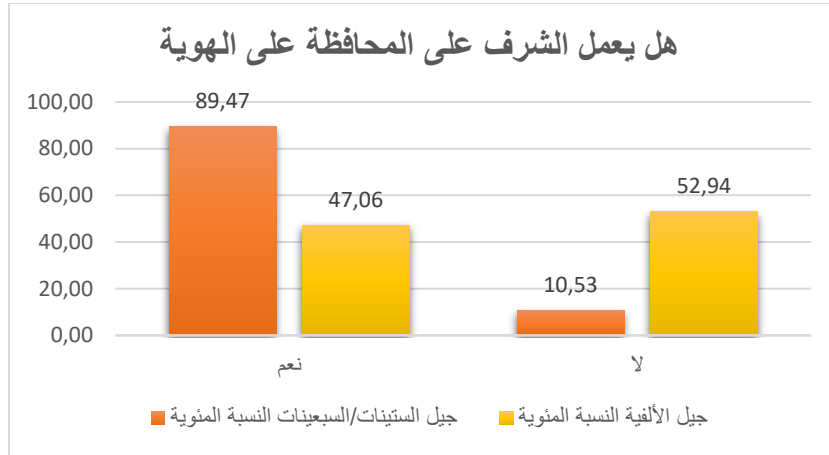
الجدول رقم (19): ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في المحافظة على الهوية

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
190	20	170	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	10,53	89,47	النسبة المئوية	
170	90	80	التكرار	جيل الألفية
100	52,94	47,06	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يتضح من خلال الجدول الإحصائي المبين أعلاه أنه هنالك فروق كبيرة بين الجيلين فيما يخص دور الشرف في المحافظة على الهوية، فبحين 89,47% من جيل الستينات/السبعينات ينظرون بأن الشرف يعمل على المحافظة على الهوية، نجد في المقابل

أن 47,06% من جيل الألفية تعتقد في ذلك و52,94% ترى بأن الشرف لا يعمل على المحافظة على الهوية.



وهذا التباين في الآراء يعتبر من الفوارق المحورية في التصور الاجتماعي لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري، إذ أن جيل الستينات/السبعينات يرى بأن "المبادئ والقيم هي التي ترسم هوية الجماعة وبالتالي فالحفاظ عليها حفاظ على هوية الجماعة" أنظر الجدول رقم 20 الملخص لإجابات المبحوثين حول كيف يعمل الشرف على المحافظة على الهوية. في حين أن جيل الألفية يرى بأن الشرف مجرد حصول الفرد على سمعة طيبة أنظر الجدول رقم 20.

الجدول رقم (20): ملخص إجابات المبحوثين حول كيف يعمل الشرف على المحافظة على الهوية

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س1	<ul style="list-style-type: none"> - المبادئ والقيم هي التي ترسم هوية الجماعة وبالتالي فالحفاظ عليها حفاظ على هوية الجماعة - كلما كان الإنسان شريفا فهو يعبر عن عاداته وتقاليده 	<ul style="list-style-type: none"> - نعود ونرجع دائما للمرأة اذا فقدت المرأة شرفها فوصمة العر تلحق بها و بعائلتها كاملة و كل من يقربها - لما يكون فرد من العائلة شريف تنتشر صورة جيدة عن العائلة بأكملها

<ul style="list-style-type: none"> - تعزيز مشاعر الثقة والمودة - يحصل على سمعة طيبة 	<ul style="list-style-type: none"> وهويته ويحفظها من الاندثار والمسح - يرفع قيمة العائلة ويعزز من قيمة الانتماء والولاء لهذه الجماعة - لان الشرف اهم مظهر لهوية الفرد وتميزه عن الآخرين - إذا كان إنسان شريف، فهو بالضرورة يحافظ على هويته - لان قيمة الجماعة ومكانتها تعتمد على شرفها - بمرور الوقت يصبحون معروفين بالشرف - الشرف يعتبر ضمن هوية الجماعة. 	
---	---	--

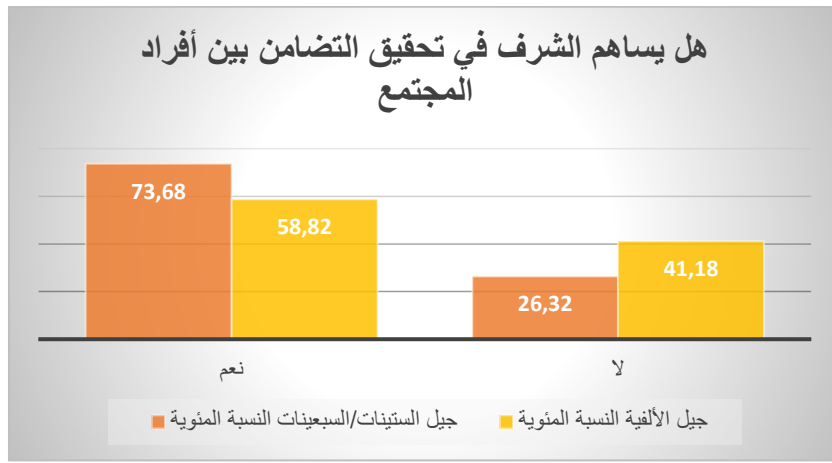
المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

الجدول رقم (21): ملخص إجابات المبحوثين حول مساهمة الشرف في تحقيق التضامن بين أفراد المجتمع

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
190	50	140	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	26,32	73,68	النسبة المئوية	
170	70	100	التكرار	جيل الألفية
100	41,18	58,82	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يهدف الجدول المقدم إلى استكشاف العلاقة القائمة بين مفهوم الشرف والتضامن الاجتماعي في عينة الدراسة. وتشير النتائج إلى أن أغلبية كبيرة من الجيل الستينات/السبعينات (73.68%) تؤمن بأن الشرف يساهم في تحقيق التضامن الاجتماعي. هذا يدل على أن مفهوم الشرف مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيم التضامن والتكاتف في هذا الجيل، وأنهم يرون أن الشرف عامل أساسي في بناء مجتمع متماسك. بينما لا تزال النسبة الأكبر من جيل الألفية (58.82%) تؤمن بدور الشرف في تعزيز التضامن، إلا أنها نسبة أقل بكثير مقارنة بجيل الستينات والسبعينات.



وهذا التراجع النسبي في ارتباط مفهوم الشرف بقيم التضامن، مقارنة بالجيل الأكبر سناً، يشير إلى التحول الحاصل أو الذي يحصل على مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري. حيث لم يبقى يلعب في الدور الرئيسي الذي كان يؤديه في الماضي أين كانت البنية الاجتماعية والثقافية متهيكلت حول قيمة الشرف.

لكن عموماً العلاقة بين الشرف والتضامن لا تزال قائمة ومجمل الإجابات الكيفية (أنظر الجدول رقم 22 أدناه) التي تسنى لنا رصدها توضح كيف للتضامن أن يزيد من شرف الفرد. فمثلاً الإنسان ذو الشرف يتأزر وقت الشدائد والمحن مع جاره أو أخيه أو أقربائه يقول لنا أحد المبحوثين من جيل الستينات والسبعينات. كذلك لدى جيل الألفية الذي يرى، في علاقة طردية، بأنه كلما كان شرف الأفراد نقي كلما زادت درجة التضامن بين أفراد المجتمع.

الجدول رقم (22): ملخص إجابات المبحوثين حول آليات عمل الشرف في تحقيق التضامن

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س2	<ul style="list-style-type: none"> - ان موثيق شرف المجتمع من المقومات والمبادئ التي تتطلب تضامن للدفاع عنها بناء على الانسجام والترابط والتكامل بين انساق المجتمع والافراد. - يصبح الجار لا يسمح لأي كان كي يؤذي جاره كما لا يسمح ان تنتهك أرضه. - يصبح الجار يسعى لحفظ شرف جاره ولا يسمح بان يؤذى غيره. - من خلال الالتزام بالشرف بحيث يصبحون كالعائلة - التآزر والمواساة في المحن - التكافل 	<ul style="list-style-type: none"> - لما ينتشر الشرف تتطابق طرق التفكير والاختيار وتقل الاختلافات في الراي. - نعم، اذا تعاملت بشرف سيقابلك الناس ولو بقليل من ذلك فيتحقق تضامن صغير. - قد يصبح المجتمع متضامن ومتحاب في حال كان شرف الأفراد نقي. - الثقة والعدل والأمن

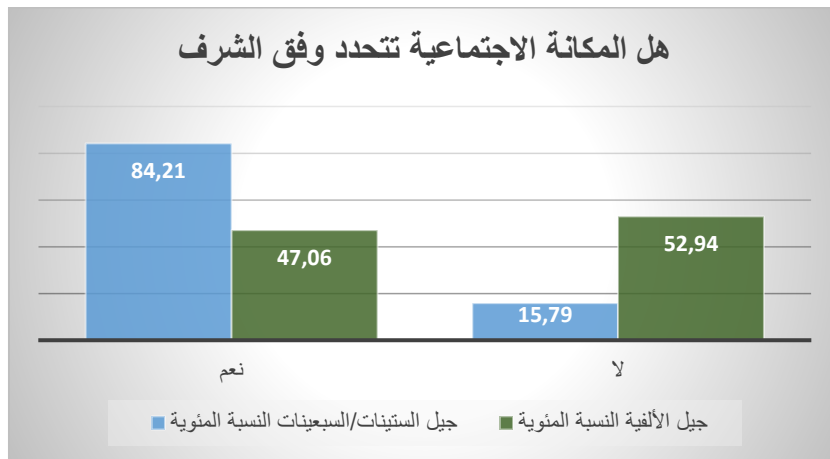
المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

الجدول رقم (23): ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في تحديد مكانة الأفراد والأسر

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	30	160	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	15,79	84,21	النسبة المئوية	
170	90	80	التكرار	جيل الألفية
100	52,94	47,06	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تشير المعطيات الإحصائية للجدول رقم 22، إلى أن الشرف يلعب دور كبير في تحديد المكانة الاجتماعية للأفراد لدى جيل الستينات/السبعينات حيث يظهر هذا الجيل ميلاً أكبر إلى اعتبار الشرف عاملاً مؤثراً في تحديد المكانة الاجتماعية، إذ 84.21% من هذا الجيل اتجه نحو هذا الخيار.



بينما يرى جيل الألفية بأن الشرف لا يحدد المكانة الاجتماعية للأفراد حيث اختار 52,94% هذا الخيار، وذلك أن هذا الجيل يرى بأن الشرف يمنح الشهرة والسمعة الطيبة وهو ما لاحظناه في الجدول الثاني من دراستنا الميدانية، أين اكتشفنا بروز اصطلاحات جديدة لدى جيل الألفية مرتبطة بمفهوم الشرف. إلا أن هذه النسبة لا تمثل جميع أفراد العينة، ففيه عدد معتبر يرى بأن الشرف يمنح الأفراد مكانة اجتماعية مرموقة وهو ما عبر عنه 47,06%.

الجدول رقم (24): ملخص إجابات المبحوثين الذين يروا بأن الشرف يمنح المكانة الاجتماعية

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س3	<ul style="list-style-type: none"> - يمكن تصنيف مكانة الأسر والأفراد بناء القيم التي تفرزها في البيئة الاجتماعية التي تحدد من بينها قيمة الشرف. - الفرد الناجح اقتصاديا ومهنيا وسياسيا لا قيمة له في نظرنا ان لم يكن هذا النجاح الاقتصادي والمهني والسياسي محقق وفق معايير الشرف - كلما كانت الاسرة محافظة و متمسكة بهويتها وعقيدتها تلقى مكانة احترام وتقدير لدى الجميع - عائلة شريفة وتلتزم بالشرف تكون لها قيمة وهيبة اكثر من نقيضها (الغير شريفة) - مثلا الاختيار للزواج يعتمد على الشرف المصاهرة والنسب يعتمد على الشرف - كلما كان الافراد اصحاب خلق ومبادي وقيم كلما اطمأن من يجاورهم اليهم 	<ul style="list-style-type: none"> - يتم التعامل معك على حسب شرف أباك أو أمك أو أحد من أقاربك الذي لا يمثلان شخصك أبدا - فالفرد والاسرة الشريفة تكون صادقة عفيفة ذات كرامة وحق تصون عرضها - أكثر العائلات شرفا هم العائلات المستورة والمحترمة.

	<ul style="list-style-type: none"> - سمعة الأسر والأفراد تلعب دورا هاما في كل المجتمعات - توارث قيمة الشرف من الأجداد إلى الأجيال - الأصلي يبقى أصلي دائما
--	---

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

ويتضح من خلال الجدول رقم 23، بأن الأخلاق والمبادئ الناظمة للشرف هي التي تمكن الأفراد والأسر من تحقيق المكانة الاجتماعية في لدى جيل الستينات/السبعينات في المجتمع الجزائري. حيث التمسك بها والمحافظة عليها تعتبر أهم عامل في تحقيق المكانة الاجتماعية، بالإضافة إلى عنصر النسب والذي بشكل عاملا مهما في تحقيق الشرف وبالتالي تحقيق المكانة الاجتماعية، إذ يتم توارثه عبر الأجيال مثلما عبر على ذلك أفراد العينة.

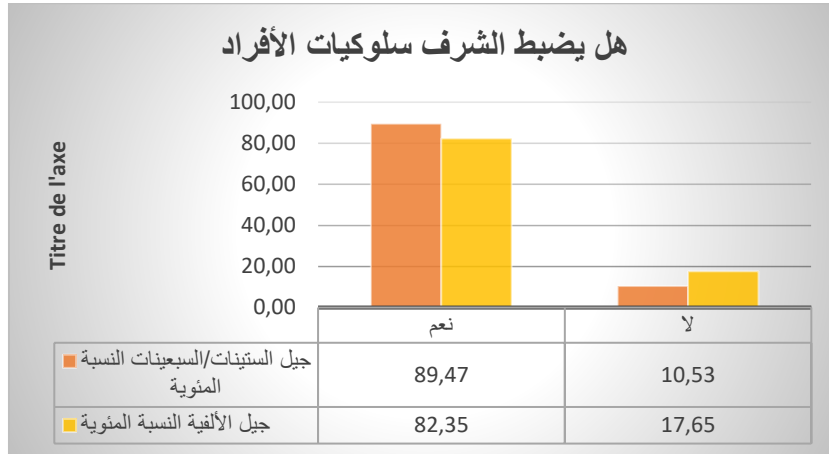
وعامل النسب يبرز كذلك لدى جيل الألفية أين عبر أفراد العينة على هذا الاتجاه، برغم تراجع النسبة، إذ يقول أحد المبحوثين بأن المجتمع يتفاعل معك على أساس شرف أفراد عائلتك.

الجدول رقم (25): ملخص إجابات المبحوثين حول مدى ضبط الشرف لسلوكيات الأفراد

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
190	20	170	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	10,53	89,47	النسبة المئوية	
170	30	140	التكرار	جيل الألفية
100	17,65	82,35	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

توضح المعطيات الإحصائية المبينة في الجدول أعلاه أن الغالبية العظمى تؤمن بأن الشرف له دور في ضبط السلوكيات الفردية، إذ لا يلاحظ وجود فروق كبيرة بين الجيلين فيما يخص دور الشرف في ضبط سلوك الأفراد. فبالنسبة لجيل الستينات/السبعينات عبر 89,47% على هذا الاتجاه ويقابله 82,35% عند جيل الألفية. وهو ما يعكس التأثير القوي الذي تفعله قيمة الشرف على السلوك الفردي والمجتمعي.



الجدول رقم (26): ملخص إجابات المبحوثين حول ضبط سلوك الأفراد من خلال الشرف

السؤال	إجابات جيل الستينات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س4	<ul style="list-style-type: none"> - يزيد من التثبت بهذه القيمة ويجتنب الفرد الوقوع في المحرمات كما يعلمه قيم اهرى لها علاقة بالشرف كحب الوطن - عبر ارساء قيم التنشئة الاجتماعية السوية: التربية الأخلاق وضبط السلوك إرساء المبادئ الاجتماعية للبيئة 	<ul style="list-style-type: none"> - لما تكون رغبة قوية في الشرف فهذا محفز لكي يقوموا الأفراد بسلوكيات سوية - تجمل المسؤولية، احترام الغير، الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر - عن طريق منعهم من الاعتداء على حياة الناس الشخصية وانتهاكها - الخوف من تشوه السمعة يجعل الفرد أكثر تمسكا بشرفه

<ul style="list-style-type: none"> - يقيدهم بما يجب فعله ويعلمهم الصحيح من الخطأ - لانة كلما تخلينا على الشرف انحلت الأخلاق - لا وجود لشريف يتعامل بسلوك سيء. - عن طريق المرجعية الأخلاقية - أكيد لان يضبط عدة أمور 	<ul style="list-style-type: none"> - الشرف هو البوصلة التي يسترشد بها الفرد في كل قراراته وممارساته وتعاملاته - يصبح كل فرد يسعى للحفاظ على شرفه وصونه والحذر من اي مؤثرات خارجية - عبر التربية والتنشئة الاجتماعية كما يقيد ويضبط سلوكيات منحرفة - يصبح الفرد يخجل من تجاوز الاعراف والقيم والاخلاقيات - Quand on respecte les autres on se fait respecter. - يتصرف الإنسان بطريقة ينال بها رضى المجتمع - من خلال التمسك بالمبادئ - يمنعك من ارتكاب الأخطاء 	
--	--	--

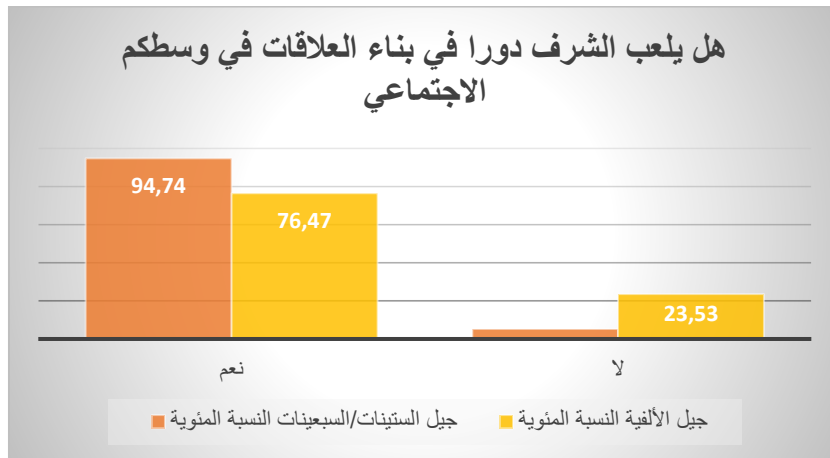
المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

الجدول رقم (27): ملخص إجابات المبحوثين حول دور الشرف في بناء العلاقات الاجتماعية

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	10	180	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	5,26	94,74	النسبة المئوية	
170	40	130	التكرار	جيل الألفية
100	23,53	76,47	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يتبين من خلال الجدول رقم 28، والذي جاء لاستقصاء دور الشرف في بناء العلاقات الاجتماعية بأن قيم الشرف قد تراجعت نسبياً لدى جيل الألفية مقارنة بجيل الستينات/السبعينات. فأفراد هذا الأخير يروا بأن الشرف يلعب دوراً مهماً في بناء العلاقات الاجتماعية حيث عبر على هذا الاتجاه 94,74% من أفراد العينة أما جيل الألفية فقد عبروا على نفس الاتجاه بنسبة 76,47%.



وهذا التراجع النسبي في دور الشرف في بناء العلاقات الاجتماعية، يشير إلى تراجع في التأثير الذي يلعبه الشرف في بناء العلاقات والروابط الاجتماعية، ولو أنه لا يزال يؤثر، إلا أن هذا التأثير مرشح للتراجع أكثر بالنظر إلى التحولات السوسيو-ثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري.

الجدول رقم (28): ملخص إجابات المبحوثين حول كيفية عمل الشرف على بناء العلاقات الاجتماعية

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س5	<ul style="list-style-type: none"> - بعض الافراد يوثقون علاقتهم بك لانك شريف. - تسود الثقة والتفاهم والصدق والامان بين الناس - الشريف يتعامل مع الشريف والنذل مع مثيله - توطيد علاقات الصداقة والمصاهرة - الزواج بذات النسب والصداقة - سهولة التوافق بين الأسر - الانصهار الاسري 	<ul style="list-style-type: none"> - شخصية الانسان وصفاته (ومن ضمنها الشرف) تعد من اهم اسباب اختياره في العلاقات - لأن الشخص ذا شرف يبني علاقة مع شخص ذا شرف والعكس

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يظهر من خلال الإجابات الكيفية المبينة في الجدول أعلاه، أن الأشخاص الشرفاء، أي أولئك المتحلون بمبادئ الشرف، يشكلون مركز استقطاب في المجتمع الجزائري. على هذا النحو يصبح الشرف عنصرا محركا في العلاقات الاجتماعية، أين تقوم علاقات المصاهرة والصداقة على أساس قيمة الشرف وهو ما تؤكد إجابات المبحوثين "الشريف يتعامل مع الشرف" أو "توطيد علاقات الصداقة والمصاهرة".

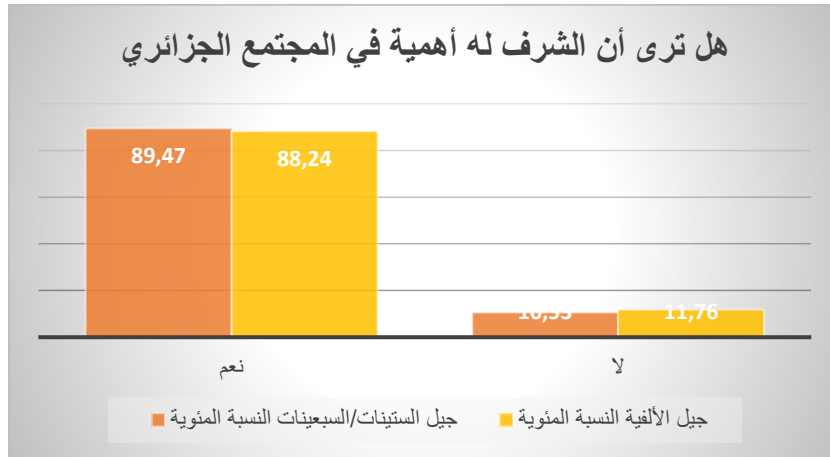
المحور الخامس: الشرف على المستوى الوجداني

الجدول رقم (29): ملخص إجابات المبحوثين حول أهمية الشرف في المجتمع الجزائري

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	20	170	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	10,53	89,47	النسبة المئوية	
170	20	150	التكرار	جيل الألفية
100	11,76	88,24	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تظهر النتائج الإحصائية المبينة أن غالبية أفراد العينة من كلا الجيلين يؤكدون على أهمية الشرف في المجتمع الجزائري، حيث تتجاوز النسبة 88% في كلا الجيلين. وعلى الرغم من الفارق الزمني بين الجيلين، إلا أن هناك تجانسًا كبيرًا في آرائهم حول الأهمية التي يوليها كل جيل لقيمة الشرف.



الجدول رقم (29): ملخص إجابات المبحوثين حول فيما تكمن هذه أهمية الشرف

السؤال	إجابات جيل الستينيات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س1	- له أهمية بالغة في بناء الفرد الجزائري السوي الذي يدافع على قيمه وأخلاقه وشرفه بالعلم والأخلاق تبني الأوطان وتزدهر لان الشرف	- ديننا الحنيف أساسه الشرف الذي يعكس مبادئ وقيم الإسلام - احترام نفسك واحترام الآخرين احترام حقوق الانسان

<ul style="list-style-type: none"> - تعطي هيبة وفي نفس الوقت تضعك كهدف للاستغلال - حفظ شرف المرأة والوطن - بحفظ الهوية الدينية - يحترمه الناس 	<ul style="list-style-type: none"> يعتبر من المعالم التي تبني عليها الفرد - تعديل السلوك وطريقة احترازية في الحد من السلوكيات المنحرفة - اكتساب مكانة اجتماعية- اكتساب مكانة مرموقة- اكتساب سيرة ذاتية ومهنية - تكمن هذه الأهمية في الحفاظ على مكانة الأسر والترابط الاجتماعي. - من خلال الهيبة والاحترام التي يكتسبها مع الوقت في مجتمعه - الغيرة على الوطن وعلى البنات سواء كانت اخت او جارة - A faire avancer la société dans le bon chemin. - أهمية ذات قيمة دينية واجتماعية - العلاقات: الزواج، الصداقات 	
---	---	--

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

يبين الجدول أعلاه التصور الاجتماعي لأهمية الشرف لدى جيلين أهمية الشرف عند جيل الستينات/السبعينات وجيل الألفية، وتتحدد هذه الأهمية لدى جيل الستينات/السبعينات في مجموعة من العناصر:

- الشرف معياراً لتعديل السلوك وتجنب السلوكيات المنحرفة.
 - الحفاظ على مكانة الأسرة والترابط الاجتماعي.
 - دافعا لحب الوطن وتحقيق التماسك الاجتماعي.
 - وسيلة لاكتساب المكانة الاجتماعية.
 - عامل لبناء العلاقات الاجتماعية كالزواج والصدقات.
- أما لدى جيل الألفية فأهمية الشرف تكمن في:

- تحقيق الاحترام.
- إثبات الذات.
- حفظ الهوية.

ظهر من الجدول أن جيل الستينات والسبعينات يعبر عن الشرف كقيمة جماعية مرتبطة بالأخلاق العامة والأسر والأوطان، بينما يعكس جيل الألفية رؤية أكثر شخصية للشرف كقيمة دينية وفردية تهدف إلى بناء الذات لا أكثر.

الجدول رقم (31): ملخص إجابات المبحوثين حول تحسيس أفراد العائلة بأهمية قيمة الشرف

المجموع	نادرا	أحيانا	كثيرا	الاختيارات	
190	10	40	140	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	5,26	21,05	73,68	النسبة المئوية	
170	50	30	90	التكرار	جيل الألفية
100	29,41	17,65	52,94	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تشير القراءة الإحصائية للجدول رقم 30، أن غالبية المبحوثين يقومون بتحسيس أفراد عائلاتهم بأهمية الشرف في الحياة وبوتيرة مكثفة حيث نجد 73,68% لدى جيل الستينات/السبعينات و52,94% من جيل الألفية يقومون بذلك. وهو الأمر الذي يعزز تبلور قيمة الشرف في المجتمع الجزائري.

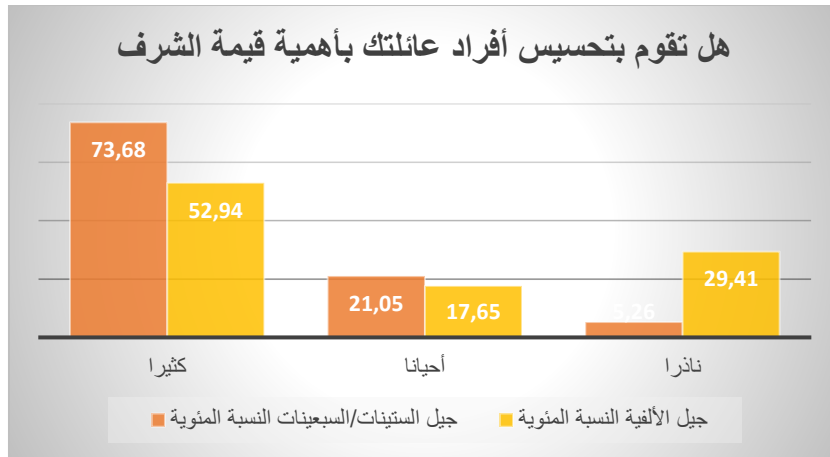
الجدول رقم (32): ملخص إجابات المبحوثين حول أسباب منعك من القيام بتحسيس أفراد العائلة

السؤال	إجابات جيل الستينات والسبعينات	إجابات جيل الألفية
س2	- إنها قيم تأتي من التربية ومن الاحساس بالانتماء. يعني مش حتى تهدرها، كي تتربى وتحس بالانتماء يكون الشرف.	- تشويه المفاهيم في المجتمع وربطه مباشرة بالمجتمع هي ما تجعلني أعيد التفكير في الأمر ودراسته من عدة منطلقات - لأنني الأصغر لا أحد يضع ما أقوله بعين الاعتبار كون الجميع أكبر مني بعقد من الزمن فما فوق - عندهم (أفراد العائلة) معرفة أكثر مني - هم (أفراد العائلة) أدرى مني بذلك - (أفراد) عنيديين ومتعصبون

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

إلا أنه سجل على جيل الألفية ارتفاع نسبة ندرة العملية التحسيسية (29,41%) مقارنة بجيل الستينات/السبعينات (5,26%) والسبب في ذلك يعود إلى جملة من العوامل تظهر في الجدول رقم 32، حيث عوامل: السن، الإدراك والتعصب هي أبرز العناصر إعاقة في القيام بتحسيس أفراد العائلة بقيمة الشرف، فيقول أحد المبحوثين "لأنني الأصغر لا أحد يضع ما أقول بعين الاعتبار"، وعن الإدراك يقول مبحوث آخر "عندهم -أي أفراد

العائلة- معرفة أكثر " بمعنى التحسيس حول قيمة الشرف تقتضي الإمام بالمفهوم من جميع جوانبه لتحقيق أهداف العملية.

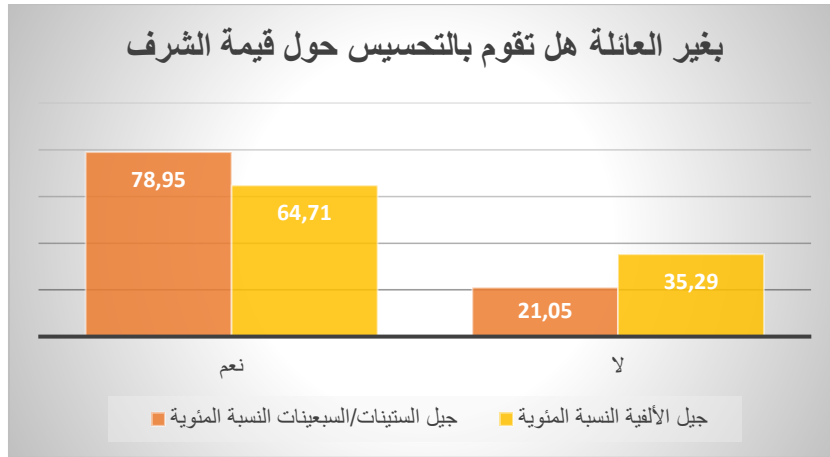


الجدول رقم (33): ملخص إجابات المبحوثين حول بغير العائلة هل تقوم بالتحسيس حول قيمة الشرف

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	جيل الستينات/السبعينات
190	40	150	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	21,05	78,95	النسبة المئوية	جيل الستينات/السبعينات
170	60	110	التكرار	جيل الألفية
100	35,29	64,71	النسبة المئوية	جيل الألفية

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تظهر النتائج الإحصائية المبينة في الجدول 33 أعلاه بأن كلا الجيلين يقومان بعملية التحسيس لأهمية الشرف خارج الأسرة وهو ما عبر عنه 78,95% من جيل الستينات/السبعينات و64,71% من جيل الألفية. وهو ما يؤكد على الانتشار الواسع لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري عبر مختلف المناطق الاجتماعية.



إلا أنه في نفس الوقت يظهر بأن جيل السبعينات/الثمانينات أكثر إقداماً لهذه العملية ويميل بشكل أكبر للموافقة على القيام بالتحسيس حول قيمة الشرف خارج الإطار الأسري مقارنة بجيل الألفية، هذا الأخير الذي تزداد نسبة الرفض لديه.

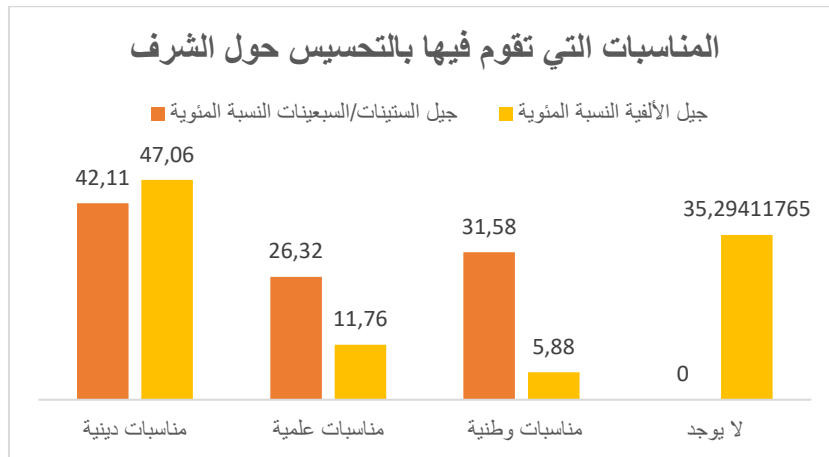
الجدول رقم (34): ملخص إجابات المبحوثين حول ماهي المناسبات التي تقوم فيها بالتحسيس حول الشرف

المجموع	لا يوجد	مناسبات وطنية	مناسبات علمية	مناسبات دينية	الاختيارات	
190	0	60	50	80	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	0	31,58	26,32	42,11	النسبة المئوية	
170	60	10	20	80	التكرار	جيل الألفية
100	35,29	5,88	11,76	47,06	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

هدف الجدول رقم (34) إلى مقارنة بين جيلي (الستينات/السبعينات والألفية) فيما يتعلق بمناسبات التوعية حول الشرف خارج إطار الأسرة. وتشير القراءة الإحصائية لهذا الجدول إلى أن المناسبات الدينية تحظى بنسبة المشاركة الأعلى بشكل عام لدى جميع الأجيال، حيث نجد 42,11% لدى جيل الستينات/السبعينات و47,06% لدى جيل الألفية يعتمدون على المناسبات الدينية للتحسيس حول قيمة الشرف. مع تسجيل نسبة مشاركة أعلى قليلاً في المناسبات الدينية لدى جيل الألفية مقارنة بجيل الستينات/السبعينات.

وفي حين تأتي المناسبات الوطنية (31,58%) والعلمية (26,32%) في المرتبة الثانية والثالثة على التوالي لدى جيل الستينات/السبعينات كمناسبات يحاول من خلال الأفراد التحسيس لقيمة الشرف، يلاحظ على جيل الألفية عزوف شبه تام عن هذه المناسبات أين شكلت المناسبات العلمية 11,76% والمناسبات الوطنية 5,88%، و35,29% أقرروا بعدم وجود مناسبات للقيام بالعملية التحسيسية.



وهذا، أي الاتجاه الذي أقر بعدم وجود مناسبات للقيام بالعملية التحسيسية، يُفسر بالجدول السابق، رقم 33، أين عبر 35,29% من جيل الألفية عن امتناعهم للتحسيس حول قيمة الشرف خارج الإطار الأسري.

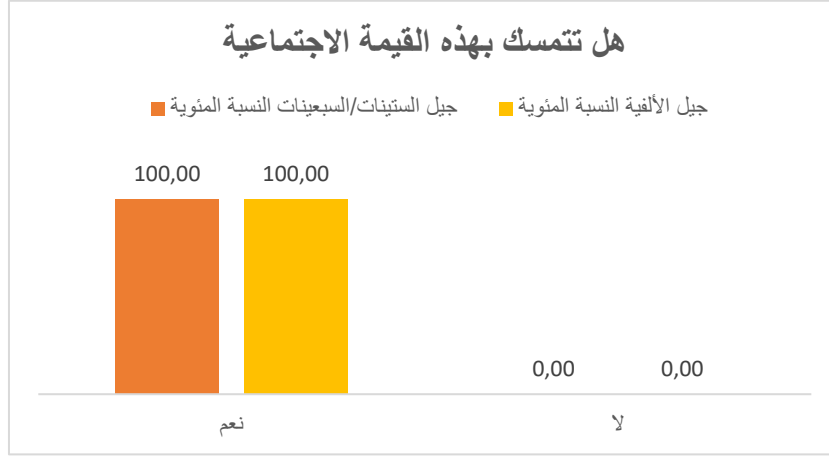
الجدول رقم (35): ملخص إجابات المبحوثين حول مدى تمسكهم بهذه القيمة الاجتماعية

المجموع	لا	نعم	الاختيارات	
			التكرار	النسبة المئوية
190	0	190	التكرار	جيل الستينات/السبعينات
100	0,00	100,00	النسبة المئوية	
170	0	170	التكرار	جيل الألفية
100	0,00	100,00	النسبة المئوية	

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

تبعاً للبيانات الإحصائية المستقاة والموضحة في الجدول رقم 34، نلاحظ أنه لا توجد فروق إحصائية ذات دلالة بين الجيلين الأول والثاني فيما يتعلق بمدى تمسكهما بقيمة

الشرف. فكلا الجيلين أظهرتا درجة عالية جدًا من التمسك بهذه القيمة، حيث بلغت النسبة المئوية 100% لكلا الجيلين. وإن ذل هذا على شيء فإنما يدل على الارتباط الوثيق للمجتمع بقيمة الشرف وتجدد هذه الأخير في الضمير الجمعي للمجتمع الجزائري.



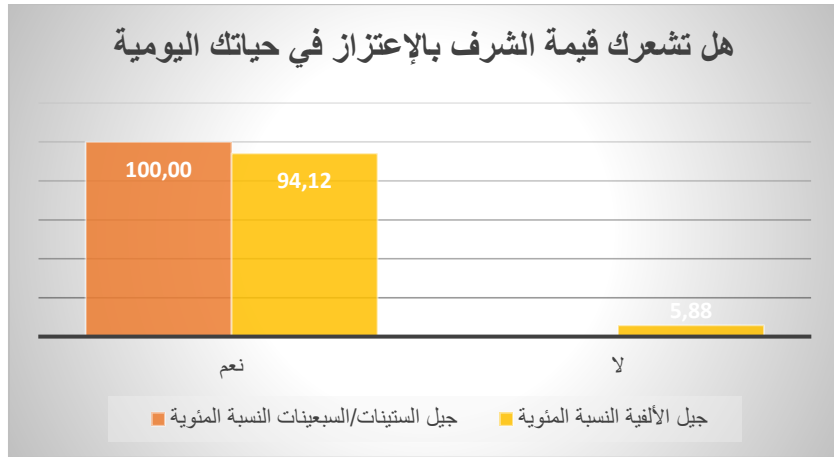
الجدول رقم (36): ملخص إجابات المبحوثين حول هل تشعرك قيمة الشرف بالاعتزاز في حياتك اليومية

المجموع	الاختيارات		
	لا	نعم	
190	0	190	التكرار
100	0,00	100,00	النسبة المئوية
170	10	160	التكرار
100	5,88	94,12	النسبة المئوية

المصدر: من إعداد الباحث بناء على إجابات المبحوثين من خلال الاستمارات الموزعة عليهم.

1-الجيل الأول (الستينات/السبعينات):

100% من هذا الجيل أشاروا إلى أن قيمة الشرف تشعركم بالاعتزاز في حياتهم اليومية. ويمكن تفسير هذه النسبة العالية بتأثير القيم التقليدية والأخلاقية التي كانت سائدة في تلك الفترة، حيث كانت قيمة الشرف تعتبر ركيزة أساسية في تكوين الشخصية الفردية والهوية المجتمعية والأساس في التفاعلات الاجتماعية.



2-الجيل الثاني (الألفية):

94,12% من هذا الجيل أشاروا إلى أن قيمة الشرف تشعرهم بالاعتزاز في حياتهم اليومية. على الرغم من أن النسبة مرتفعة أيضاً، إلا أنها أقل قليلاً من الجيل الأول. ويمكن تفسير ذلك بتغير القيم المجتمعية وتأثير العولمة على الأفراد، حيث أصبحت القيم الفردية والأهداف الشخصية أكثر بروزاً.

ثانياً: مناقشة نتائج الدراسة

1-في ضوء تساؤلات الدراسة

في ضوء التساؤل الفرعي الأول: ماهي محددات الشرف في الثقافة الجزائرية؟

بناء على المعطيات الإحصائية المحصل عليها من خلال دراستنا الميدانية وكذا تلك التاريخية المقدمة في مستهل حديثنا عن الشرف في سياقه الثقافي والتاريخي في المجتمع الجزائري يمكن القول بأن أهم العناصر الناظمة لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري هي: المرأة والأرض والبيت، باعتبارها عناصر رئيسية في بناء التصور الاجتماعي لقيمة الشرف. ثم تأتي عناصر ثانوية وهي لا تقل أهمية عن الأولى بل مكملتها كالرجولة والأنوثة، والأنوثة والعفة على اعتبار أنها الصفات التي يختص بها الفرد الغيور على عرضه والمدافع والمحافظ على حرمة.

وهي تصورات منبثقة من التصور الدين، ذلك أن العامل الديني من أبرز العوامل هيمنة على السلوكيات الفردية والجماعية للمجتمع الجزائري، حيث أظهرت النتائج أن قيمة الشرف تحدها المضامين الدينية لدى الأجيال السابقة وبدرجة أكثر لدى الأجيال الجديدة.

في ضوء التساؤل الفرعي الثاني: ما هو الثابت والمتغير في محددات الشرف في المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري؟

يظهر من خلال الدراسة الميدانية التي أجريناها أن الثابت في التصور الاجتماعي لقيمة الشرف هي المرأة حيث لاحظنا نسب عالية في إجابات المبحوثين حول مجمل الأسئلة التي تشير إلى الشرف وارتباطه بالمرأة سواء من حيث المعنى والدلالة. وهذا لما للمرأة من رمزية ثقافية في المخيال الاجتماعي الجزائري كونها منبع الحياة بدرجة أولى ومصدر للمحافظة على النسب هذا الأخير الذي يشير إلى مفهوم الشرف كما لاحظنا في الإطار النظري لدراستنا.

يظهر كذلك بأن مفاهيم مثل العرض، الحرمة والنيف من الاصطلاحات الثابتة في التعبير على مفهوم الشرف في المجتمع الجزائري، وهو ما التمسناه في الأسئلة المفتوحة التي عرضناها على المبحوثين. حيث كان تعبير أغلب أفراد العينة باعتماد المصطلحات المذكورة سلفا كمرادفات لمفهوم الشرف.

أما المتغير فهو الأرض إذ الملاحظ على إجابات المبحوثين أن الجيل السابق كان يولي أهمية للأرض وينظر إليها على أنها جزء من شرفه، حيث وجدنا أن 31,58% من جيل الستينات/السبعينات عبروا على هذا الاتجاه، في حين نجد أن النسبة انخفضت لدى جيل الألفية حيث 23,53% فقط اعتنقوا هذا التوجه. وهذا التغير في التصور هو نتيجة التحولات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الجزائري على مر السنين.

كما تبين كذلك بأن الدين هو أبرز العوامل وأهم المصادر المهيكلة لمفهوم الشرف لدى جيل الألفية، في حين يظهر أنه في السابق كان هناك عوامل أخرى بجانب الدين تعمل على هيكلة محددات الشرف في المجتمع الجزائري وأبرزها العادات، التقاليد والعرف.

في ضوء التساؤل الرئيسي: ما هي التحولات التي طرأت على مفهوم الشرف في المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري؟

ومن التحولات التي طرأت على قيمة الشرف في المخيال الاجتماعي لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري هو، أولاً بروز اصطلاحات جديدة في التعبير على قيمة الشرف

واختفاء مفاهيم قديمة. فنجد السمعة والشهرة أبرز تلك المفاهيم. وإن ذلك هذا على شيء فإنما يدل على تغير أو بداية تغير في القواعد الناظمة لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري، وهو ما ظهر في تغير بعض الوظائف أهمها تحقيق المكانة الاجتماعية.

فالشرف في السابق كان يعمل على اكتساب الفرد للمكانة الاجتماعية سواء في الحياة العامة بخاصة في المجال السياسي أين كانت سلطة الشيوخ في زمن القبيلة تعود إلى الأشراف من القوم، أو في الحياة الخاصة ونعني هنا الأسرة أين تعود السلطة للأب. في حين اليوم أصبح يعمل الشرف على تحقيق الشهرة مثلما أظهرته الدراسة الميدانية.

2- في ضوء أهداف الدراسة

بناء على المعطيات الإحصائية المحصل عليها من خلال دراستنا الميدانية وكذا تلك التاريخية المقدمة في مستهل حديثنا عن الشرف في سياقه الثقافي والتاريخي في المجتمع الجزائري يمكن القول بأن أهم العناصر الناظمة لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري هي: المرأة والأرض والبيت، باعتبارها عناصر رئيسية في بناء التصور الاجتماعي لقيمة الشرف. ثم تأتي عناصر ثانوية وهي لا تقل أهمية عن الأولى بل مكملتها كالجولة والأنوفة على اعتبار أنها الصفات التي يختص بها الفرد الغيور على عرضه والمدافع على حرمة.

والشرف يتم اكتسابه من خلال التنشئة الاجتماعية وهي عمليات جد معقدة تؤدي على عدة سبل، حيث تشكل الأسرة المحيط الرئيسي الذي ينمي فكرة الشرف والعناصر الناظمة له في المخيال الاجتماعي الذكوري وكذا الأنثوي. ومن أبرز الطرق التي تمارسها الأسر في تلقين قيمة الشرف لدى الأفراد نجد: تعزيز النظام الأبوي، التمييز الجنسي والتنميط الجنسي.

شهدت قيمة الشرف في المجتمع الجزائري حقتين رئيسيتين الأولى كانت قبل الاستعمار الفرنسي والثانية أثناء وبعد الحقبة الاستعمارية حيث تبلور نوعين من الشرف: الشرف القبلي والشرف الوطني لكل واحد محدداته الرئيسية إلا أن المحدد المشترك بينهما هو الأرض. فهذه الأخيرة تعتبر عنصرا ناظما لقيمة الشرف القبلي والوطني على حد سواء.

3- في ضوء الدراسات السابقة:

من خلال دراستنا الميدانية اتضح أن المجتمع الجزائري يولي أهمية كبيرة لقيمة الشرف وهذه الأهمية لم تتغير هذا ما توصل إليه الباحثان بلحيدة فاطمة الزهراء ومحمد حمداوي أن المجتمع الجزائري لا يزال متمسك بقيمة الشرف على الرغم مما شابها من تغير سواء في طريقة ودرجة تمثيلها، وذلك يعود لارتباطها بعدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، وأن أي تغير يحصل في هذه المنظومات يؤثر لا محال في منظومة القيم الأسرية، وهذا ما يفسر التغيرات النسبية التي مست منظومة القيم الجزائرية في إطار التحديث.

وبعكس ما ذهب إليه عبد الغاني سلامة أن الشرف مرتبط بالمرأة لا بالرجل في المجتمعات العربية، نجد أن الشرف قيمة تخص كلا الجنسين، فقط أن تمثلات هذه القيمة وتصوراتها في المخيال الاجتماعي تختلف حسب الجنس. وهذا راجع إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

كما تتفق نتائج دراستنا مع تلك التي أجرتها ديلماك جولي أليف حيث توصلت إلى أن المبادئ التي ينادي بها الشرف، مثل الصدق والثبات وضبط النفس، تسمح للأفراد بأن يستثمروا في الواجب: هذا الواجب يتمثل في تكريس النظام الاجتماعي. أي أن الشرف يستجيب إلى إقامة مجتمع خيالي ومثالي، حيث يتم فيه إبعاد كل انحراف. وهو ما التمسناه في الوظائف السلوكية للشرف في المجتمع الجزائري حيث يرى أفراد عينتنا بأنه يساهم في تنمية السلوك السوي.

وتتوافق نتائج دراستنا إلى حد ما مع دراسة بيار بورديو، في كون النيف والحرمة مفهومين متلازمان، إذ كلما كانت العائلات غير محصنة بالحرمة أي الشرف، كلما توجب عليها امتلاك "النيف" للدفاع عن مقدساتها، ما يزيد من شأن وتقدير سكان القرية لهذه العائلة. غير أن هذا التصور بدأ بالتراجع بالنظر إلى الرموز الجديدة، على غرار مفهوم "الشهرة"، والتي بدأت تهيك تصور جديد لمفهوم الشرف.

4- في ضوء المقاربة النظرية

من خلال تناولنا للتراث النظري وبالتحديد المقاربة التأويلية الرمزية المتبلورة عند كليفورد غيرتر وفكتور تورنر، نلاحظ بأن ما ذهب إليه النظرية في أن السلوك الإنساني مطوّقٌ بشبكات الرموز التي يصنعها الإنسان نفسه، حقيقة تبرز في المجتمع الجزائري من خلال مسألة الشرف الذي وجدنا بأنه بأخذ معاني تجد تفسيراتها في المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري وتبرز في جملة الرموز المتبلورة في السلوكيات اليومية للأفراد.

وهذه الأخيرة، أي جملة الرموز المتبلورة في السلوكيات اليومية للأفراد، هي الواقع الذي لا يمكن فهمه أو قراءته إلا من خلال سلوكيات الأفراد ومواقفهم؛ فالواقع موجود ككل متجانس من الأفكار المنبثقة عن الفاعلين الاجتماعيين التي تعبر عن ثقافتهم.

من جهة أخرى، ووفقا للتصنيف الذي وضعه فيكتور تورنر للرموز الثقافية، نلاحظ بأن الرموز النازمة للشرف في المجتمع الجزائري، على غرار الأرض، كانت تشكل عنصرا مهما في نظام الشرف في المجتمع الجزائري، باعتبارها رمزا محددًا ومهيمنًا على قيمة الشرف في الثقافة الجزائرية، أضحت مع مرور الزمن رمز أداتي، أي أن وجودها ليس له تأثير على قيمة الشرف للفرد والمجتمع وإنما هي وسيلة فقط لتحقيق امتيازات اقتصادية.

الخاتمة

في ختام هذا العمل الذي جاء موسوماً بـ: "الشرف في المجتمع الجزائري: دراسة في محدداته وتحولاته" والذي سعينا من خلاله إلى محاولة تقديم فهم أعمق لمفهوم الشرف في المجتمع الجزائري، وتسليط الضوء على أهم التحولات التي طرأت عليه، إذ يمكن القول أن سفر البحث والتنقيب في موضوع مثل الشرف وفي مجتمع مثل المجتمع الجزائري لم يكن بالأمر الهين، ذلك أننا واجهنا عدد لا بأس به من الصعوبات وفي مقدمتها الفرد الجزائري الذي كان جد متحفظاً في إجاباته على أسئلتنا وذلك لكون موضوع الشرف من المواضيع الحساسة في المجتمع الجزائري.

كما يمكننا رصد جملة من النتائج والتي نلخصها في العناصر التالية:

أن الشرف في المجتمع الجزائري يأخذ أنواعاً يمكن حصرها في بعدين البعد الفردي والبعد الجماعي، أما الأول فنجد فيه شرف المرأة وشرف الرجل وهما نوعان قائمان على النوع الجنسي بحيث شرف المرأة قائم على المحددات الجسمانية لا سيما منها العذرية التي تعتبر دليل مادي على نقاوة المرأة وثبوت عفتها من أي شوائب، وشرف الرجل فهو قائم على المحددات الأخلاقية المتمثلة في الوفاء بالوعد والقدرة على الدفاع على الممتلكات وهي كلها محددات تلخص معنى الرجولة.

أما البعد الجماعي، فنجد فيه الشرف القبلي والشرف الوطني وهما نوعين تطورا تماشياً والتطورات التاريخية التي عرفها المجتمع الجزائري، فالأول تبلور في خضم التنظيم الاجتماعي الذي ساد في الجزائر إلى غاية قدوم المستعمر الفرنسي والثاني ظهر إبان المرحلة الاستعمارية مع تطور الحركة الوطنية.

إن الشرف مفهوم عميق جداً له جذوره التاريخية المقرونة بالتطورات السياسية والاجتماعية التي عاشها المجتمع الجزائري منذ قديم الزمن، وعلى العموم يعبر عنه بالعرض والحرمة وهي اصطلاحات تشير إلى ما هو مقدس في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري. كما أنه يأخذ معنى المكانة الاجتماعية بخاصة لدى الأجيال السابقة، ويأتي بمعنى السمعة والشهرة لدى الأجيال الجديدة.

هنا تنتهي هذه الدراسة بما حملته من نتائج واستنتاجات ويبقى الموضوع مفتوحا للنقاش والبحث والتتقيب وإجراء دراسات أخرى من شأنها أن تفتح المجال حول زوايا طرح جديد تساهم في بناء رصيد معرفي حول موضوع الشرف في المجتمع الجزائري بصفة خاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الكتب

باللغة العربية:

1. إبراهيم السعدني (2003): محاضرات في تاريخ الفن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
2. الإبراهيمي (1997): آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929-1940، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
3. ابن أحمد الفراهدي (2003): كتاب العين، الجزء الثاني، تحقيق هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. ابن الأحمر (2001): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
5. ابن الصغير (د.ت): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
6. ابن عذاري المراكشي (1971): البيان في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت.
7. ابن كثير (2007): تفسير ابن كثير، دار نور الكتاب، الجزائر.
8. ابن منظور (د.ت): لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت.
9. ابن منظور (د.ت): لسان العرب، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت.
10. ابن منظور (د.ت): لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

11. ابن منظور (د.ت): لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت.
12. أبو القاسم سعد الله (1992): الحركة الوطنية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت.
13. أبو القاسم سعد الله (1992): الحركة الوطنية (1900-1930)، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت.
14. أبو حمو موسى الزياني (1279 هـ): واسطة السلوك في سياسة الملوك، المطبعة التونسية، تونس.
15. أبو عبد الله الرصاع (1993): الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق: محمد أبو الأجنان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
16. أبو عبد الله النفزاوي (1993): الروض العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، لندن.
17. أبوضيف مصطفى أحمد (1982): أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
18. أحمد أبو زيد (1964): التأثر دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد، دار المعارف، القاهرة.
19. أحمد بن نعمان (1988): سمات الشخصية الجزائرية (من منظور الأنثروبولوجيا النفسية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
20. أحمد زكي بدوي (1982): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، بيروت.

21. آرتور شوبنهاور (2018): فن العيش الحكيم تأملات في الناس والحياة، تر. عبد الله زارو، منشورات الاختلاف، الجزائر.
22. إسماعيل بن حماد الجوهري (2009): الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة.
23. أمحمد المالكي (1994): الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت.
24. أنور الجندي (1986): الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، دار الكتاب اللبناني، لبنان.
25. بدوي أحمد زكي (1980): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-فرنسي-عربي، مكتبة لبنان، بيروت.
26. بربرا سميث (2009): سيكولوجيا الجنس والنوع، تر. سامح وديع الحفش، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.
27. بشر فارس (1939): مباحث عربية، مطبعة المعارف، مصر.
28. بلاشير ريجيس (د ت): الأدب العربي (العصر الجاهلي)، تر: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق.
29. بن حجر العسقلاني (د.ت): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت.
30. بن قرية صالح وآخرون (2007): تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.

31. بوبريك رحال (2012): زمن القبيلة السلطة وتديبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقرق، الرباط.
32. بوسقيعة أحسن (2003): الوجيز في القانون الجنائي الخاص، ج1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.
33. بوشيخي الشيخ (2018): الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية.
34. بوطالب محمد نجيب (2002): سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
35. بيار بورديو (2009): الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
36. بيشوب موريس (2005): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، المجلس الأعلى للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة.
37. التيفاش شهاب الدين أحمد (1992): نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، رياض الرايس، لندن.
38. الجسار سلوى عبد الله (2009): واقع القيم في التعليم المدرسي: رؤية جديدة نحو تطوير أداء المعلم، المنتدى الوطني الثاني للمعلم، كلية التربية الأساسية، الكويت.
39. جمعة محمد محمود (1949): النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مطبعة السعادة، القاهرة.
40. جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، جامعة بغداد.

41. جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، جامعة بغداد.
42. جواد علي (1993): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، جامعة بغداد.
43. جودت عبد الكريم يوسف (1991): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
44. الحاج حسن حسين (1998): الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
45. حسن العريشي وسلمى الدوسري (2015): الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية، الدار المنهجية، الأردن.
46. حمدان خوجة (1975): المرأة، تقديم وتعريب العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
47. حنا نصر الحتي (د ت): مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
48. دخيل محمد يوسف، قراعة محمود علي (د.ت): ادب العرب في الشعر الجاهلي بحث تحليلي لشعراء الجاهلية، مطبعة وادي الملوك، مصر.
49. دويل ويليام (2015): الأرستوقراطية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة زينب عاطف، هنداوي.
50. ديزيره سقال (1995): العرب في العصر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار المصداقة العربية، بيروت.

51. روجيه كايوا (2010): الإنسان والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
52. ساطع الحصري (1985): آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
53. سعدون بن عباس نصر الله (د.ت): دولة الأدارسة في العصر الذهبي، الطبعة 1، دار النهضة العربية، بيروت.
54. سعيد عبد الفتاح عاشور (1959): أوروبا في العصور الوسطى: النظم والحضارة، ج2، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية.
55. سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي المهدي (1984): الجزائر في التاريخ العهد العثماني. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
56. سمير أبيش (2018): دور اللغة القومية في بناء وتشكيل الوحدة الوطنية (تجربة المجتمعات الأوروبية أنموذجاً)، الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
57. سيدني فنكلشتين (1981): الواقعية في الفن، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
58. شرابي هشام (1999): النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
59. الشريف الجرجاني (2004): معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة.
60. شكري محمود (1964): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء الثاني، المطبعة الرحمانية، الطبعة الثانية، مصر.

61. شكري محمود (د.ت): بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأول، الطبعة الثانية.
62. شكري محمود (د.ت): بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، الجزء الثالث، الطبعة الثانية.
63. الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1997): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء.
64. الصادق المهدي (2006): نحو مرجعية إسلامية متجددة، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
65. صلاح قنصوه (2010): نظرية القيم في الفكر المعاصر، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
66. صوفية السحيري بن حتيرة (2008): الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر، تونس.
67. طقوش محمد سهيل (2009): تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت.
68. عادل مصطفى (2007): فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
69. عاشور محمد (2018): مدخل إلى علم القانون، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا.
70. عبد الرحمان ابن خلدون (د.ت): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

71. عبد الرحمان الجيلالي (1953): تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر.
72. عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني (1991): الألفاظ الكتابية، دار الكتب العلمية، بيروت.
73. عبد الرحيم عطري (2015): احتمالات التحول القيمي: صبح التفاوض والترمييق، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط.
74. عبد السلام زهران (1981): علم النفس الاجتماعي، علم الكتاب، ط2، القاهرة.
75. عبد العزيز خواجه (2005): مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
76. عبد الكريم عيادي (2018): الدراسات الثقافية العولمة وإعادة بناء - تشكيل الهوية، الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
77. عبد الله الخريجي (1990): علم الاجتماع الديني، رامتان جدة، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية.
78. عبد المالك مرتاض (2009): أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج1، دار هومة، الجزائر.
79. عبد المنعم الحفني (1992): الموسوعة النفسية الجنسية، ط1، مكتبة مذبولي، القاهرة.
80. عفيف عبد الرحمان (1984): الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان.

81. علي رضوا (2004): تاريخ الفن في العالم القديم، دار شركة الحريري، الطبعة الثانية، القاهرة.
82. علي زيعور (1982): قطاع البطولة والنجسية في الذات العربية، المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت.
83. علي عبد الحليم حمزة (2003): الجنس وأبعاده، جدل القداسة والإغواء والعنف، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، لبنان.
84. علي عبد الرؤوف علي (2014): الاندماج الاجتماعي بين مأزق الهوية وفخ العولمة تحديات وتحولات عمران المدنية الخليجية المعاصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
85. علي عبد المعطي محمد (د.ت): فلسفة الفن رؤية جديدة، دار النهضة العربية، بيروت.
86. عمر بن بحر الجاحظ (1989): تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
87. عمر بن قينة (1999): الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية: دراسة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.
88. عويس عبد الحليم (1991): دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، دار الصحة، القاهرة.
89. غامب غابرييل (2014): البربر: ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب.
90. غسان خالد (2015): إلهابيتوس العربي قراءة سوسيو معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، بيروت.

91. غوستاف لوبون (2012): حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة الهندواي، المملكة المتحدة.
92. جيردا ليرنر (د.ت.): نشأة النظام الأبوي، تر: أسامة اسير، المنظمة العربية للترجمة.
93. الفاروق زكي يونس (1982): الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، الطبعة الثانية، عالم الكتاب، القاهرة.
94. فاطمة الزهراء أزرويل، فاطمة المرنيسي وآخرون (1991): مقاربات الجسد الأنثوي، دار الفنك، الدار البيضاء، المغرب.
95. فالنتينا غراسي (2018): مدخل إلى علم الاجتماع المخيال نحو فهم الحياة اليومية، تر. محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
96. فؤاد زكريا (2004): آراء في مشكلات الفكر والثقافة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
97. فوزية دياب (1980): القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية، مصر.
98. فيشر ارنيست (1971): ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
99. فيلاي عبد العزيز (2002): تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع.
100. القاضي النعمان (1986): كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) والشركة التونسية للتوزيع (تونس).

101. كاهن كلود (1972): تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدرالدين القاسم، دار الحميمية للطباعة والنشر، بيروت.
102. كريستوف فولف (2009): علم الأناسة التاريخ والثقافة والفلسفة، تر: أبي يعرب المرزوقي، الدار المتوسطة للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
103. كليفورد غيرتر (2009): تأويل الثقافات، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
104. مارسيل أجريتو (د.ت): الوطن الجزائري، ترجمة عبد الله نوار، كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب.
105. مالك شبل (2010): الجنس والحريم روح السراري الممارسات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، تر. عبد الله زارو، أفريقيا الشرق، المغرب.
106. مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر (2000): معجم فلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
107. مجموعة من الباحثين (2004): المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشرق الدولية، مصر.
108. مجموعة من المؤلفين (1999): الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، المنصف وناس، الدولة الوطنية والمجتمع المدني في الجزائر: محاولة في قراءة انتفاضة تشرين الأول/أكتوبر 1988، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
109. مجموعة مؤلفون (1997): مجاني الطلاب، دار المجاني، بيروت.
110. محمد إبراهيم زيد (1978): مقدمة في علم الإجرام والسلوك الإجرامي، مطبعة دار النشر والثقافة، القاهرة.

111. محمد الشبة (2014): مفهوم المخيال عند محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر.
112. محمد العيد آل خليفة (1979): ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
113. محمد داود (2018): الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر، كتاب جماعي الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، أعمال يوم دراسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
114. محمد عابد الجابري (1998): قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
115. محمد محمد حسين (1984): الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت لبنان.
116. محمد ناصر الدين الألباني (1988): صحيح الجامع الصغير وزيادته، المجلد الأول، المكتب الإسلامي، ط03، بيروت.
117. محمود سعيد عمران (1998): حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
118. مصطفى بوتقنوش (1984): العائلة التطور والخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.
119. المكناسي احمد ابن القاضي (1973): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.

120. ملين محمد نبيل (2013): السلطان الشريف: الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، تر. عبد الحق الزموري، مركز جاك بيرك كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط.
121. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 (2007): آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة، الجزائر.
122. منصور محسن حسين (2010): المدخل إلى دراسة القانون القاعدة القانونية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت.
123. الموسوعة العربية، المجلد الثاني، ط1، الجمهورية العربية السورية، رئاسة الجمهورية.
124. النابغة الذبياني (1976): الديوان، تح: الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
125. ناصر لباد (2010): دساتير الجزائر، ط2، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف.
126. ناهد أحمد السيد الشعراوي (2005): عناصر الإبداع الفني في شعر عنتره، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، قناة السويس، مصر.
127. نبيل صقر (2009): الوسيط في شرح 50 جريمة من جرائم الأشخاص، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر.
128. النومري شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب (2004): نهاية الإرب في فنون الأدب، الجزء 28، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.
129. هشام القاسم (2010): المدخل إلى علم القانون، جامعة دمشق، سوريا.

130. الوردى علي (2007): الأخلاق: الضائع من الموارد الخلقية، شركة الورق للنشر المحدودة، بيروت، لبنان.

131. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1983): الموسوعة الفقهية، الطبعة الثانية، طباعة ذات السلاسل، الكويت.

باللغات الأجنبية:

1. Anne Jourdain, Sidonie Naulin (2011) : La théorie de Pierre Bourdieu et ses usages sociologiques, Armand Colin. Paris.
2. Arthur Schopenhauer (1880) : Aphorismes sur la sagesse dans la vie, Tra. Jean Alexandre Cantacuzène, Librairie Germer Baillière, Paris.
3. Badinter, Élisabeth (2002) : L'Un est l'autre. Des relations entre hommes et femmes, Odile Jacob, Paris.
4. Balandier Georges (2004) : Sens et puissance, Presses universitaire de France, Paris.
5. Bourdieu Pierre (1994) : Raisons pratiques, Seuil, Paris.
6. Bourdieu Pierre (2000) : Esquisse d'une théorie de la pratique précédée de trois études d'ethnologie Kabyle, Seuil, Paris.
7. Bourdieu, Pierre (2006) : Sociologie de l'Algérie, Presses Universitaire de France, Paris.
8. Cassar Carmel (2005) : l'honneur et la honte en méditerranée, Edisud, Aix-en-Provence, France.
9. Christiane Chauviré, Olivier Fontaine (2003) : Le vocabulaire de Bourdieu, Ellipses. Paris.

10. Claude Dubois (1979) : **Dictionnaire Encyclopédique Larousse**, Librairie Larousse, Canada.
11. De Saussure Ferdinand (2002): **Cours de linguistique générale**, Talantikit, Bejaia, Algérie.
12. Edward Taylor (1871): **Primitive Culture: Researches into the development of Mythology, Philosophy, Religion, art and Custom**, John Murrey, London.
13. Emil Durkheim (1912) : **les formes élémentaires de la vie religieuse**, PUF, Paris.
14. Encyclopedia of the social sciences (1934): **Symbolism by Sapir Edward**, vol 13, Macmillan compagny, New york, USA.
15. Eric Mension–Rigau (2019) : **Enquête sur la noblesse La permanence Aristocratique**, Perrin, Paris.
16. Evans–Pritchard (1956): **Nuer Religion**, Oxford University Press.
17. François Laplantine (2001) : **l'anthropologie**, Payot, Paris.
18. Frank Henderson Stewart (1994): **Honor**, The university of Chicago, United States of America.
19. Gisèle Sapiro (2020) : **Dictionnaire international Bourdieu**, CNRS, Paris.
20. Herbert Hart (2005) : **LE CONCEPT DE DROIT**, Trad. Michel Van De Kerchove, Presses de l'Université Saint–Louis, 2e édition.

21. Hervé Drévilion et Diego Venturino (2011) : **Penser et vivre l'honneur à l'époque moderne**, Presses universitaires de Rennes, Rennes.
22. Jean Maisonneuve (1989) : **Introduction à la psychologie**, Puf, Paris.
23. John George Peristiany (1965) : **Honour and Shame The values of Mediterranean Society**, Weidenfeld and Nicolson, London.
24. Julian Pitt Rivers (1997) : **Anthropologie de l'honneur**, Pluriel, Paris.
25. **Larousse dictionnaire de français compact**, Paris, 2005.
26. Loyseau, Charles (1610) : **Traité des ordres et simples dignités**.
27. Malek Bennabi (2012) : **Problème de la culture**, 2eme Edition, Dar Samar, Algérie.
28. Malek Chebel (1995) : **Dictionnaire des symboles musulmans: Rites, mystique, Civilisation**. Albin Michel. Paris.
29. Max Weber (1958): **The Religion Of India The Sociology of Hinduism and Budhism**, Tran. Don Martindale and Hans H. Gerth, The Free press Glencoe, United states of America.
30. Max Weber (1971) : **Economie et Société, Tome1 : les catégories de la sociologie**, Plon, Paris.
31. Monque Canto–Sperber (1996) : **Dictionnaire d'éthique et de philosophie moral**, Tome1, PUF, Paris.

32. Morchain Pascal (2009) : **Psychologie sociale des valeurs**, Dunod, Paris.
33. Nafissa Zerdoumi (1970) : **Enfant d'hier : l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien**, Maspero, Paris.
34. Nathalie Heinich (2017) : **Des valeurs : une approche sociologique**, Gaillmard, Paris.
35. Paul Claval (2012) : **Géographie Culturelle une nouvelle approche de la société et des milieux**, Armand Colin, Paris.
36. Paul Ricoeur (1988): *Hemeneutics and the Human Sciences*, translated by John B. Thompson, 1. Cambridge University Press.
37. Pierre Serna (2003) : **Le dictionnaire roturier de Furetière, ou le noble démystifié par l'alphabet**. In: Littératures classiques, n°47. Le Dictionnaire universel de Furetière.
38. Raymon Massé (2015) : **Anthropologie de la morale et de l'éthique**, PUL, Canada.
39. Raymond Jamous (2019) : **Honneur et Baraka: les structures sociales traditionnelles dans le Rif**, Editions de la maison des sciences de l'homme, Paris.
40. Richard Nisbett et Dov Cohen (1996): **Culture of Honor The psychology of violence in the south**, Westview Press, USA.
41. Robert Delort (1982) : **La Vie au Moyen Âge**, Le Seuil, Paris.
42. Robert King Merton (1965) : **Eléments de méthode sociologique**, Plon, Paris.

43. Sally Wehmeier (2000): **Oxford Advanced Learning Dictionary**, Sixth edition, Oxford University Press, China.
44. Turner Victor (1967): **The Forest of Symbols**, Cornell University Press, New York.
45. Un collectif d'anthropologues québécois (1979) : **Perspectives anthropologiques**, Les Éditions du Renouveau pédagogique, Montréal.
46. Wright Mills (1977) : **L'imagination sociologique**, Trad. Pierre Clinquart, Librairie François Maspero, Paris.

المجلات

باللغة العربية:

1. ابتسام غانم (2013): **مسألة البكارة الأنثوية داخل المجتمعات المغاربية المتحولة**، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، م.01، ع.03، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر.
2. أبو زيد ناصر (1981): **الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النص**، مجلة فصول، م.1، ع.3، مصر.
3. الأسود حافظ (1991): **المدخل الرمزي لدراسة المجتمع**، حولية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، ع.14، جامعة قطر، قطر، ص.ص 320 - 325.
4. بدر بن علي بن عبد الله (2018): **الانتماء إلى الوطن وأثره في حماية الشباب من الانحراف**، السجل العلمي لمؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، م.05، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

5. بلحيدة فاطمة الزهراء، محمد حمداوي (2020): القيم الأسرية الجزائرية بين الثبات والتغير: قيمتا الجماعية والشرف، مجلة تدوين، م.07، ع.15، جامعة وهران 2، الجزائر.
6. بلمادي أحلام (2016): سوسيولوجيا القيم والتغير القيمي في المجتمع، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، م.04، ع.07، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر.
7. بن النية رضا (2000): إكرام الضيف في المجال الكتابي أثناء الدعوة الإسماعيلية بين العوائد المحلية والتجاذبات السياسية، مجلة المعيار، ع.51، م.24، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.
8. حارث عبد الرحمن التكريتي، عمار شاكر محمود الدوري (2000): التطرف وأثره في حياة المجتمع الأوربي (دراسة تاريخية في مؤسسة الإقطاع)، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، م.11، ع 44/2، جامعة تكريت مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، العراق.
9. حجة مريم، بوخريسة بوبكر (2021): التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل الأسر الجزائري أسر الشرق الجزائري أنموذجاً، مجلة أنثروبولوجيا، م.07، ع.01، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.
10. خديجة مختاري (2018): شرف المرأة في الثقافة الجزائرية بين الثابت والمتغير (رصد لمحددات تمثل القيمة)، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.45، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر.
11. زيان محمد (2014): مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، م.06، ع.01، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.

12. زينب علي عبد محسن (2013): الثأر السلبي بين الشريعة الإسلامية والتاريخ، م.01، ع.11، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق.
13. سليمان بومدين (2007): تصورات المغاربي لحرمة داره، مجلة إنسانيات، ع.37، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر.
14. سميرة مناد (2005): الزعامة النسوية في المخيال الاجتماعي دراسة ميدانية لتصور الزعامة لدى عينة من النساء بالجزائر، إنسانيات، ع 29-30، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر.
15. صبيحة كيم (2022): إستراتيجية الأسرة الجزائرية في حماية عذرية الفتاة بين استمرارية وتلاشي معتقد الربيط، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، م.17، عدد خاص، الجزائر.
16. صلاح الدين وانس (2018): ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الدين والاستغلال السياسي، مجلة أفاق الفكرية، م.04، ع.09، مخبر البحوث ودراسات الفكر الاسلامي في الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس -سيدي بلعباس-، الجزائر.
17. عبد السلام موكيل (2016): المواطنة وسياق الدولة والهوية: مقارنة فكرية ومعرفية بين الفكر السياسي المعاصر والمنظور الإسلامي، ع.01، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجلفة.
18. علي خليفة الكواري (2001): مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، ع.264، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
19. عهد جبار عبيره (2014): الضبط الاجتماعي وبناء المجتمع، مجلة كلية التربية للبنات، العدد الأول، م.25، جامعة بغداد، العراق.

20. عويد سلطان المشعان (2016): المواطنة وعلاقتها بكل من الولاء الوطني والثقة بالنفس لدى طلاب الجامعة الكويتيين من الجنسين، المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي، م.04، ع.04، مصر.
21. لجلط فاطمة أحلام، عزوز عبد الناصر (2020): دور التنشئة الأسرية في تنمية دور الفتاة في الأسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، م.10، ع.01، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.
22. مصلي رضوان ومداني سلمية (2018): أسباب الطلاق في الجزائر دراسة ميدانية ببلدية بوفاريك، حوليات جامعة الجزائر 1، ع.32، الجزء 2، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.
23. نور الدين كوسة (2021): أهمية توظيف المقاربة التأويلية في الدراسات الأنثروبولوجية لتفكيك المعاني الرمزية، مجلة رفوف، م.09، ع.01، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر.
24. هناء جاسم السبعوي (2013): الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل -دراسة تحليلية-، إضاءات موصلية، ع.74، مركز دراسات الموصل، العراق.
25. هني عبد القادر، تواتي خالد (2021): الشرف القبلي وصناعة النموذج البطولي في العصر الجاهلي (قراءة في نماذج من الشعر الجاهلي)، دراسات معاصرة، ع.02، م.05، جامعة تيسمسيلت، الجزائر.
26. وانس صلاح الدين (2018): ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني والادعاء السياسي، مجلة أفاق فكرية، ع.09، م.04، مخبر البحوث ودراسات الفكر الاسلامي في الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس -سيدي بلعباس-، الجزائر.
27. اليزيد بوعروري (2019): نيهاني كريع ونقد النظام الأبوي، مجلة الحوار الفكري، م.14، ع.15، جامعة أحمد درايا، أدرار، الجزائر.

باللغات الأجنبية:

1. Abdelouahed Houria (2019): **L'hyménoplastie ou à la recherche de la virginité perdue**, Recherches en psychanalyse, vol. 27, no. 1.
2. Barkahoum Ferhati (2007) : **Les clôtures symboliques des Algériennes : la virginité ou l'honneur social en question**, Clio, N°26, France.
3. HÉRISSEON, Audrey (2014) : **Une anthropologie de l'échange de violence**. Inflexions, 2014/3 N° 27, armé de terre, France.
4. Jackie Assayag (2007) : **Clifford Geertz (1926-2006)**, *L'Homme*, 182.
5. Jean-Louis Kupper (2001) : **Chevalerie et croisade. Sur l'œuvre de Jean Flori**, Le Moyen Age, vol. cvii, no. 2.
6. Julie Alev Dilmaç (2014) : **L'honneur : principe de prévention de la déviance ?**, Déviance et Société, vol. 38, no. 3.
7. Laurent Fedi (2016) : **L'honneur est-il sauf : Réflexions sur un concept à l'abandon**. Le Philosophoire, 46, France.
8. Leca, Bernard, et Loïc Plé (2013): **Une épistémologie à hauteur d'homme : l'anthropologie interprétative de Clifford Geertz et son apport potentiel à la recherche francophone en management**, Management & Avenir, vol. 60, no. 2, France.
9. Marie Luce Gélard et Hélène Claudot-Hawad (2000) : **Honneur**, Encyclopédie berbère, 23, document H57.

أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير

1. بريجة شريفة: التغيرات السوسيو-ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، 2015-2016، جامعة وهران 2، وهران.
2. بلقاسم الحاج: المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي داخل الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية وصفية تحليلية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، 2008-2009، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، الجزائر.
3. شادر كريمة (2001): المرأة الجزائرية ونموذج تغير الفتاة في إطار التغير الاجتماعي. دراسة سوسيولوجية ميدانية حول عينة من النساء بالجزائر العاصمة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر.
4. صالحي و داد (2021): المرأة بالمغرب الأوسط بين التأثير والتأثر خلال القرنين (6-9هـ/12-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي.
5. صحراوي وافية، قيم العمل والدافعية للإنجاز لدى إطارات المؤسسات الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
6. عماد أحمد عبد الجواد (2007): الثأر عند العرب مقارنا بالقصاص في الشريعة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة أسيوط، مصر.
7. محمد عطية أبو فودة (2007): دور الإعلام التربوي في تدعيم قيم الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين في محافظات غزة، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية، غزة.
8. مراد بوعباش، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية: 1919-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2010/2011.

المواثيق والقوانين والتشريعات

1. إعلان مؤتمر طرابلس جوان 1962

2. دستور الجزائر 1996، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 76، 08 ديسمبر 1996، المطبعة الرسمية، الجزائر.
3. دستور الجزائر 2020، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 82، 30 ديسمبر 2020، المطبعة الرسمية، الجزائر.
4. قانون الجنسية الجزائرية، المادة 10، مطبوعات الديوان الوطني للأشغال التربوية، ط 03، 2005.
5. وزارة العدل، قانون الأسرة، الطبعة الرابعة، رقم الإيداع القانوني 406-2003،
6. الأمر رقم 66-165 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم.

المواقع الإلكترونية

1. <https://atlasocio.com/>
2. <https://books.openedition.org/>
3. <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/content/accueil-fr?mode=desktop>
4. <https://journals.openedition.org/>
5. <https://mawdoo3.com/>
6. <https://www.aljazeera.net/>
7. <https://www.britannica.com/>
8. <https://www.cairn.info/>
9. <https://www.defense.gov/>
10. <https://www.theheraldrysocietyom/>
11. <https://www.youtube.com/>

الملاحق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

استبيان حول موضوع:

الشرف في المجتمع الجزائري: دراسة في محدداته وتحولاته

إعداد الطالب:

شلابي يوسف عبد العظيم

تحت إشراف:

أ. د حامي حسان

في إطار إنجاز بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، نطلب منكم سيدي/سيدتي المساعدة من خلال إجاباتكم على أسئلة هذه الاستمارة بكل عناية واهتمام. وفي هذا الصدد نؤكد لكم أن كل الإجابات تستعمل في سرية تامة ولا نستخدمها إلا لأغراض بحثية علمية محضة. وعليه المطلوب منكم في كل المحاور القادمة هو أن تعبروا على تصوركم حول قيمة الشرف من خلال الأسئلة المعروضة عليكم.

أخيرا أشكركم على مساعدتكم وتفهمكم.

ملاحظة: يمكنكم استعمال اللغة الدارجة في الإجابة على الأسئلة.

السنة الجامعية: 2025/2024

البيانات الابتدائية

- 1-الجنس: ذكر أنثى
- 2-العمر:
- 3-الوظيفة: طالب أستاذ أخرى:
- 4-المستوى التعليمي: ليسانس ماستر دكتوراه
- 5-مكان الإقامة: منطقة ريفية منطقة حضرية

المحور الأول: المستوى المعرفي لقيمة الشرف

- 1- ماذا يعني الشرف في بيئتك الاجتماعي؟
- 2- ماهي الكلمات والمصطلحات الأكثر تداولاً للتعبير عن الشرف في وسطكم الاجتماعي؟
- 3- برأيكم، ماهي أبرز العناصر تحديداً للشرف في مجتمعكم؟
- الدين: العادات والتقاليد: القانون: العرف:
- 4- ما هي أكثر المجالات التي يبرز فيها الشرف في مجتمعكم؟
- المرأة: الأرض والوطن: العمل: المال: أخرى:

المحور الثاني: المستوى الاكتسابي لقيمة الشرف

- 1- في رأيكم، أين يكتسب الفرد قيمة الشرف؟
- الأسرة: المدرسة: المسجد: الشارع:
- 2- ما هي البيئة الاجتماعية الأكثر تأثيراً في اكتساب الفرد لقيمة الشرف؟
- الأسرة: المدرسة: المسجد: الشارع:
- 3- في نظركم، هل خروجكم من وسطكم الاجتماعي المعتاد (الأسرة، الحي، القرية) نحو وسط اجتماعي آخر (الجامعة، مكان العمل، مدينة أخرى) غير من نظرتكم للشرف؟
- نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف؟

.....

4- هل هناك طرق معينة تمارس لتمكين الفرد من اكتساب قيمة الشرف؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، ماهي هذه الطرق؟

.....

المحور الثالث: المستوى السلوكي لقيمة الشرف

1- حتى يكون الفرد إنسانا كامل الشرف في مجتمعك، ماذا يجب أن يفعل؟

2- في حال تم انتهاك شرف الفرد في المجتمع، ما هي ردّة فعل الفرد؟

3- هل يتضامن أفراد المجتمع مع الشخص الذي أنتهك شرفه؟ نعم: لا:

4- ما هي سبل وطرق استرجاع الشرف في حالة فقدانه؟

.....

5- ماذا يمثل لباس المرأة في محيطكم الاجتماعي؟

.....

6- هل ترى بأن اللباس يساعد في الحفاظ على شرف المرأة؟ نعم لا لماذا؟

.....

7- هل عدم الوفاء بالوعد يقلل من شرف الفرد في مجتمعكم؟ نعم: لا:

المحور الرابع: المستوى الوظيفي لقيمة الشرف

1- في رأيكم، هل يعمل الشرف على المحافظة على هوية الجماعة؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف يحصل ذلك؟

.....

2- هل ترى بأن الشرف يساهم في تحقيق التضامن بين أفراد المجتمع؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف يحصل ذلك؟

.....

3- هل مكانة الأسر والأفراد في بيئتك الاجتماعية تتحدد وفق قيمة الشرف؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف يحصل ذلك؟

.....

4- هل ترى بأن الشرف يضبط سلوكيات الأفراد في المجتمع؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف يحصل ذلك؟

.....

5- برأيكم، هل يلعب الشرف دورا في بناء العلاقات بين الأفراد في وسطكم الاجتماعي؟

نعم: لا: في حال الإجابة بنعم، كيف يحصل ذلك؟

.....

المحور الخامس: المستوى الوجداني لقيمة الشرف

1- هل ترى أن الشرف له أهمية في المجتمع الجزائري؟

نعم: لا: فيما تكمن هذه الأهمية في حال الإجابة بنعم؟

.....

2- هل تقوم بتحسيس أفراد عائلتك بأهمية هذه القيمة الاجتماعية؟

كثيرا: أحيانا: نادرا: في حال الإجابة ب: أحيانا أو نادرا، ما الذي يمنعك

للقيام بذلك؟

.....

- بخلاف عائلتك، هل تقوم بعملية التحسيس حول هذه القيمة الاجتماعية؟

نعم: لا:

- في حال الإجابة بنعم، متى تقوم بذلك؟

مناسبات دينية: مناسبات علمية: مناسبات وطنية: لا يوجد

3- هل تتمسك بهذه القيمة الاجتماعية؟

نعم: لا: في حال الإجابة بلا، لماذا؟

.....

4- هل تشعر بقيمة الشرف بالاعتزاز في حياتك اليومية؟

نعم: لا:

انتهى.

المخلص:

انطلاقا من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع الجزائري والذي يشهد تحولات سياسية واقتصادية جوهرية كان لها تأثيرا على الواقع الثقافي للمجتمع الجزائري، جاءت دراستنا الموسومة بـ: "الشرف في المجتمع الجزائري: دراسة في محدداته وتحولاته" للنظر في موضوع الشرف في المجتمع الجزائري من حيث كيفية تبلور هذه القيمة الثقافية في الوسط الاجتماعي الجزائري، وكذا التباحث في التحولات التي لابتست المفهوم. محاولين في ذات السياق البحث في الحمولة الدلالية للشرف في المجتمع الجزائري واستكشاف مظاهره التعبيرية بالإضافة إلى الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي ألفت بعبء التمثيل الرمزي للشرف على كاهل المرأة بوجه خاص، وصولا إلى إبراز العناصر الثابتة والمتغيرة الملامسة لمفهوم الشرف في المجتمع الجزائري.

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المناهج ممزوجة بين الكيفية والإحصائية الوصفية بغرض تحقيق المبتغى المسطر في بادئ بحثنا، حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن أبرز العناصر النازمة لقيمة الشرف في المجتمع الجزائري هي: المرأة والأرض والبيت، كما اكتشفنا بروز اصطلاحات جديدة يعتمدها الفاعل الاجتماعي للتعبير على الشرف في إطار الثقافة الجزائرية أهمها السمعة والشهرة.

الكلمات المفتاحية: الشرف، المجتمع الجزائري، القيم، الثقافة الجزائرية، التحول.

Abstract :

Based on the social reality experienced by Algerian society, which is witnessing significant political and economic transformations that have impacted its cultural landscape, our study titled "Honor in Algerian Society : A Study of Its Determinants and Mutations" aims to explore the concept of honor within the Algerian context. This involves examining how this cultural value has crystallized within the social milieu of Algeria, as well as discussing the transformations that have accompanied the concept. We also seek to investigate the semantic load of honor in Algerian society and to explore its expressive manifestations, in

addition to the cultural and social backgrounds that have placed the burden of symbolic representation of honor particularly on women. Ultimately, we aim to highlight the stable and variable elements that touch upon the concept of honor in Algerian society.

In our study, we employed a combination of qualitative and descriptive statistical methods to achieve the objectives outlined at the beginning of our research. We arrived at several key findings, the most significant of which are: the primary elements governing the value of honor in Algerian society are women, land, and the home. Additionally, we discovered the emergence of new terminologies used by social actors to express honor within the framework of Algerian culture, notably reputation and fame.

Keywords : Honor, Algerian society, values, Algerian culture, Mutation.